

# الأسلوب القرآني

( دراسة موضوعية وتحليلية )

بحث مقدم للمسابقة البحثية لجائزة كتارا في الدراسات الإسلامية واللغوية  
والبلاغية، اللغة في القرآن الكريم"

الأستاذ الدكتور

أحمد عبده عوض

الدّاعية والمفكّر الإسلامي

١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### المقدمة

تفردت لغة القرآن الكريم من ناحية النظم والتأليف والنسق البياني إلى درجة لا يدانيها ولا يبلغها مرتبة كلام العرب من الفصحاء والبلغاء والأدباء في النظم والترتيب وقوة المعاني، ودلالات ألفاظها وانطباقها على مدلولاتها في جودة بناء وإحكام سبك وفصاحة أسلوب.

فجاء القرآن الكريم بلغة أسلوبية لا يُشاركها ولا يُضاهيها كلام البشر، لا قبله ولا بعده؛ فلا يشوبه سجعٌ ولا مزوجة، فأسلوبه جزل، له رونق وطلاوة ليس فيه زوائد ولا فضول، واللفظ فيه يصل إلى المعاني كأنما رسم له رسماً، ولا يرتفع عن الأفهام ولا عن القلوب بغموضٍ أو تقعر، بل نجده رقيقاً قريباً يُلامس شغاف القلب والروح.

ومن عظمة القرآن الكريم أنه أنشأ الأسلوب السهل الممتع الذي تطرب له الأذان حين استماعه، وتلذذ به الأفواه حين تنطق به، وتضيء بسببه القلوب حين الإصغاء إليه..

وقد تعددت وجهات نظر العلماء في تحديد سرِّ إعجاز الأسلوب القرآني، وبيان أسبابه غير أنهم في دراساتهم المتعددة للقرآن الكريم قد تأكدوا - بما لا يدع مجالاً للشك - أن للقرآن الكريم خصائص أسلوبية ولغوية وبلاغية تمثل حداً فاصلاً بين القرآن، وأي نمط آخر من الأنماط الكلامية المعروفة لدى البشر..

والحديث عن تميز الأسلوب القرآني في جوانبه المتعددة - صوتياً ودلالياً ومعجمياً ونحوياً وصرفياً - يحتاج إلى دراسات قوية ومستمرة ومتابعة لإبراز جانب العظمة في الأسلوب القرآني الذي لا يستطيع مخلوق أن يُلمَّ به..

ومهما طال بنا الزمان وامتدت بنا السنون سنبقى نقشش بكل قوتنا وعزمنا وعزيمتنا؛ بغبة الوصول لبعض مظاهر الإعجاز في الأسلوب القرآني، وليس هذا بغريب فالقرآن بحر خضم، ممتلئ بالكنوز، والدرر، واليواقيت الحسان، وقد أنفق الإمام عبد القاهر الجرجاني عمره بحثاً وتنقيباً عن أسباب الإعجاز في اللغة العربية والأسلوب القرآني خاصة، حتى جاد الله عليه بنظرية النظم التي فسّر بها إعجاز القرآن، تلك النظرية التي لا زالت قائمة إلى الآن في عصرنا الحاضر، والتي لا زال الباحثون في الشرق والغرب يلجؤون، إليها وينهلون

من معينها في دراساتهم لأسلوب القرآن وطريقة نظمه وسر إعجازه، ودليل ذلك أنّ الناظر في علوم اللغة واللسانيات الحديثة، يلاحظ أنّ تلك العلوم بما فيها من تداولية وبنوية قد قامت على هدى من نظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني.

وبعد طول بحث وكثير معايشة استطاع الإمام عبد القاهر الجرجاني أن يُلخّص رحلته اللغوية والإبداعية من خلال كتابين متميزين كانا فتحاً جديداً في الدراسات اللغوية والبلاغية والأسلوبية.

وينبغي أن نُقرّ بأسبقية الإمام عبد القاهر في الإجابة عن السؤال المهم، والذي شغل أذهان العلماء والباحثين منذ القرن الثاني الهجري، وهو: [ من أين يأتي الإعجاز في أسلوب القرآن ولغته؟! ] حتى توصل الإمام عبد القاهر الجرجاني إلى نظرية النظم القرآني التي جسدها في كتابيه: (أسرار البلاغة) - (دلائل الإعجاز)، ولا زالت الدراسات اللغوية والبلاغية والأسلوبية في العالم كله تسير في ظلال نظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني وركابها؛ حيث إنها مصدر ثراء ومعين لا ينضب، ينهل منه كل ظامئ.

وقد عشت دهراً طويلاً متبحراً بشواطئ نظرية النظم على مدى عشر سنوات في رسالتي للماجستير والدكتوراه، ثم أكرمني ربي سبحانه وتعالى بالإشراف على أكثر من ثلاثين رسالة حول نظرية النظم وتطبيقاتها في أكثر من جامعة، بدايةً من جامعة أم القرى، والحمد لله لا زلت أولى نظرية النظم وتطبيقاتها عناية كبيرة، وسأبقى منتعماً بها مع الباحثين بالمخزون التراثي الجميل المبدع المتجدد لنظرية النظم.

والحقيقة أن البحث عن الإعجاز في الأسلوب القرآني ليس بالأمر السهل؛ إذ تتفتح أمام المرء - في كل لحظة - أسرارٌ عجيبةٌ؛ فربما تشدك الآية الواحدة؛ لتُخرجَ منها علومًا وليس علماء، ثم وجود عليك القرآن الكريم ببعض من الأسرار والدقائق، فتظن أنك قد ارتويت، فلا تلبث إلا أن تجد نفسك وروحك أكثر ظمًا وعطشًا، فتعاود الشراب المرة بعد المرة.

وتأتي هذه الدراسة وعنوانها: "الأسلوب القرآني.. دراسة موضوعية وتحليلية"، محاولةً لاستكشاف جوانب جديدة في إعجاز الأسلوب القرآني بكل تواضع، ولا نزع الأسبقية في هذا؛ فإن هناك جيلاً من الأساتذة والباحثين أنفقوا جُلَّ أعمارهم وعلمهم فيما أنفقت فيه عمري في عشق القرآن الكريم ودراسة أسلوبه وبراعته وجزالته، وانسياب آياته وتراكيبه بما حظيت به من جمال في صياغتها، وقدرة في تفرداها عن لغة البشر؛ أفقدت كثيراً من أعداء الإسلام

توازنهم حينما حاولوا مُشاكلتها؛ كما تحدّاهم القرآن الكريم بهذا، كما قال تعالى ﴿ قُلْ لَنْ يَجْتَمَعَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨].

وأثناء إعداد هذه الدراسة وجدت ثراءً عظيمًا من القراءات والدراسات والبحوث العلمية والأكاديمية المتميزة والرصينة، ومنها: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية لمصطفى صادق الرافعي، ودراسة: "خصائص التراكيب - دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني" للدكتور محمد محمد أبو موسى، وكذلك: "فواصل الآيات القرآنية - دراسة بلاغية دلالية"، للدكتور سيد خضر، وكذلك: "قضايا في الأسلوب القرآني" للدكتور السيد عبد الغفار، ودراسة الدكتور محمد ديب ناجي: "النسق القرآني"، وغيرها وغيرها من الدراسات والبحوث التي أثرت مكتبة الدراسات الأسلوبية واللغوية ولا زال عطاؤها مستمرًا وإمدادها ومددها واصلا، وقد جُمعت في نظامٍ متألّئٍ بالقسم الخاص بالمصادر والمراجع في نهاية هذا البحث.

وهكذا تأتي هذه المحاولة، ليست تفردا في بابها ولا استكناها لأسرار حبيسة في أدرج العلماء أو أفئدة الباحثين، ولكنها نقطة في بحر علمهم، ورشفة من شواطئ إبداعهم وكنوز جهدهم، وأعمارهم التي عُمّرت بخدمة القرآن الكريم وجماله وجلاله وروعته، وما أجملها من رحلة، وما أعظمها من حياة القرآن زادا، وأسلوبه وتراكيبه مدادها، والمعاشة معه عبادة ليست كمثّلها عبادة، والحمد لله رب العالمين.

وقد جاءت هذه الدراسة بعد طولٍ مُعاشةٍ قَلبيةٍ ونفسيةٍ وعلميةٍ، وكان هذا الكتاب ثمرة لهذا السعي الحثيث.

وقد تناولت الدراسة الحالية في فصلها الأول والثاني: قضية الأسلوب القرآني كمدخل عامٍ لدراسة خصائص القرآن الكريم، وما يتمتع به من سمات يتفرد بها عن غيره، مُرورًا بأسرار البلاغة القرآنية، ثم العُروج على دَوْرِ اللغة العربية وأسرارها البلاغية، والتي اكتسى منها الأسلوب القرآني جمالياته من خلال استعراض قضايا متعددة، مثل: "التوازن الأسلوبي"، و"الإعجاز في أساليب التوكيد بالقرآن"، و"التنوع الأسلوبي"، وقد اختتمت الدراسة عرضها بفصلها الأخير: "الفواصل القرآنية ..".

وقد حاولت الدراسة الحالية أن تُعالج بعض القصور الذي وقعت فيه عددٌ من الدراسات السابقة أثناء طرحها قضية جماليات الأسلوب القرآني؛ إذ أكثرت بعض هذه الدراسات من الشواهد التطبيقية دون الاهتمام بجانب التأسيس النظري.

كذلك تكرر الشواهد الواردة ببعض من هذه الدراسات رغم ثراء القرآن العظيم بالنماذج والأمثلة، إضافة إلى ما لمسناه من خللٍ واضح ببعض هذه الدراسات في محاولتها استقصاء ما تم اكتشافه واستنباطه من خصائص الأسلوب القرآني؛ حيث نجد أن كل دراسة تُورد ما يرتضيه صاحب البحث من خصائص، ويُغفل البقية، أو أنه يعيد تكرارها، كما وردت فيما سبقته من دراسات دون كثير تفكيرٍ أو تدبيرٍ.

ولمّا كان البحث في أمر إعجاز القرآن من صميم واجب كل مسلم مؤمن فق وجد الباحث نفسه مشدوداً إلى إخراج هذه الدراسة التي لا يزعم فيها جدةً أو ابتكاراً بقدر ما هي محاولة متواضعة منه يبتغي بها وجه الله سبحانه وتعالى بعدما شغفه القرآن بحبه الذي لا يزال يُمثل المتنفّس الأول والأخير للباحث منذ أول آية نقشها الله على قلبه، وهكذا فقد سعى الباحث في دراسته هذه إلى تجميع المتفرّق، ولملمة المنثور، إضافة إلى ما من الله به عليه من استخلاص لخصائص أسلوب القرآن بعد خوض لُجته لأكثر من عشرين عاماً.

ومن هنا فإننا نعنتي في دراستنا هذه بتجميع كل ما توصل إليه علماء العربية من خصائص لأسلوب القرآن الكريم مع الاتفاق عليها، إضافة إلى ما من الله به علينا من استنتاجٍ لكثيرٍ من خصائص الأسلوب القرآني، بعد تفكر في القرآن وتدبر فيه دأماً لفراية ربع قرنٍ من الزمان والله الحمد والمنة، والله ذو الفضل العظيم.

ويأتي ذلك متوازياً مع اهتمام الباحث بكلّ خصيصةٍ من خصائص الأسلوب القرآني وشرحها شرحاً وافياً وتوفيتها حقها من جميع الجهات، ثم التطبيق عليها بشواهد وفيرة من كتاب الله الكريم، ونحن في عرضنا إيّاها قد عُيننا بطريقة العرض التي تُيسر الأمر أمام القارئ العام، ومن هنا فإن دراستنا هذه رغم عمق موضوعها فإنها تتناسب - على حدّ سواء - القارئ العام من ناحية، والمتخصص في الدراسات القرآنية والأسلوبية من ناحية أخرى، ولعل هذا من أهم أهدافنا التي نرجوها خدمةً لكتاب الله العظيم، ونشره بين الناس؛ إعلاء لكلمة الله في أرضه، ونشرا لدينه بين خلقه.

وتطبيقاً لهذا الهدف فإننا عمدنا في كُلِّ خِصِيصَةٍ أسلوبية، أو ظاهرة بلاغية إلى استقراء كل ما ورد على لسان علماء العربية، وما أثبتوه في كتبهم، فقمنا بإعادة ترتيبه وصوغه بطريقة عرضٍ شائقةٍ مائعةٍ مع التقديم لكلِّ خِصِيصَةٍ بما يناسبها ويُقربها من ذهن المُتلقِّي.

ثم تناول الباحث كُلَّ عُنصرٍ بالتأصيلِ والشرح والتحليل والتطبيق، وعلى هذا فإنَّ كتابنا هذا إضافةً إلى كونه دراسة موضوعية وتحليلية لخصائص الأسلوب فإنه يعدّ - كذلك - مُعجماً يضمُّ بين دفتيه ما قد تُوصَلُ إليه - حتى الآن - من خصائص تُميِّز أسلوب القرآن عن غيره من أنماط الكلام المختلفة والمعروفة لدى العرب وغيرهم.

وقد جاءت هذه الدراسة في فصلها الثالث متناولة أسرار البلاغة القرآنية، وهي محاولة أشبه ما تكون بالغوص في قاع المحيط؛ لِمَا يزخر به كتابُ الله عزَّ وجلَّ بوجوه إعجاز متعددة لا حصر لها، كمثل دقة القرآن وعنايته بالألفاظ والمفردات، ووضع كل لفظه في موضعها المناسب، بحيث لا نستطيع بأيِّ حَالٍ مِنْ الأحوال إزالة لفظه، ووضع بدلاً منها لفظه أخرى، وإلا اختلف المعنى حتى ولو خُيِّلَ إلينا ولغيرنا أن الكلمات مُتردّفة.

فالكلمة - كما اكتشفنا - تكتسب قيمتها من سياقها الذي قد وُضعت فيه، وبالتالي فلا قيمة للفظه المفردة مقطوعة عن سياقها والقرآن الكريم مُتفردٌ في هذه المسألة؛ إذ يعجز البشر عن الإلمام بجميع جوانبها، فلو وجدنا من البشر - مثلاً - من يتخيَّر الدقة في استخدام الكلمات القوية نجد أنَّ المعنى يغفل عنه، أمَّا مَنْ كان اهتمامه مُنصباً على المعنى والمضمون نجده يغفل عن اللفظ وقوة إحكامه، ومَنْ حاول المزج بينهما - وهو نادر - وجدناه يغفل عن ربط ذلك بالسياق، ومن حاول فعل ذلك وربطه بالسياق القريب وجدناه يغفل عن السياق العام، ومن وجدناه يحرص على كل ذلك وجدناه ينجح في موضع أو موضعين من كلامه كله؛ فأبي قدرة بشرية تُناظر مثل هذه الدقة المُعجزة التي جاء بها القرآن.

ولنا أن نسأل أنفسنا سؤالاً مهماً: لو كان كل ذلك الجُهد والتعب والإرهاق والوقت الذي يُرهق به الإنسان نفسه في محاولته إحكام كلمةٍ أو كلمتين فقط من كلامه، فما بالكم إنَّ هو تمنى فعل ذلك في كلامه جميعه، تُرى فهل يستطيع؟! ومن هنا فإن هذا الفصل قد جاء ليتناول أهمية البلاغة القرآنية، وأوجه الإعجاز فيها، مروراً ببلاغة اللفظ القرآني من خلال

اتساع دلالاته من خلال الجمع بين الحقيقة والمجاز، كما عرجت الدراسة على بلاغة اللفظ القرآني من خلال جمعه بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي. كما عُنيت الدراسة باللفظ القرآني والفروق المعجمية بين الألفاظ ومناسبتها للسياق والمقام، كما عرجت - أيضا - إلى قضية المشترك اللفظي، وبلاغة اللفظ القرآني واتساع دلالاته من خلال المتواطئ.

وجاء الفصل الرابع للدراسة ليتناول قضية البيان القرآني، وهي من أهم أدوات دراسة قضية الأسلوب القرآني بصفة عامة؛ وذلك لما حاز عليه القرآن الكريم من البيان وهو أعظم الرتب، وأرفع المنازل، وبما وصف القرآن الكريم به نفسه، وقد تنوعت الآيات التي تحدثت في هذا، يقول تعالى: ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٨]، وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ٨٩]؛ فقد جاء البيان في الآية الأولى قبل الهدى والرحمة، وفي الآية الثانية جاء البيان قبل الهدى والرحمة، وهذا يُبين أنه لا وصول لطريق الهداية إلا بالبيان الذي جاء به القرآن الكريم.

كما وصف الله تعالى آيات القرآن بالبيان، كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴾ [البقرة: ٩٩]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لِأَرْتَابِ الْمُبْطِلُونَ . بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴾ [العنكبوت، ٤٨ : ٤٩].

والآيات واضحة الدلالات على ما اشتملت عليه من العلوم النافعة، فكيف يُطلب له دليل وهي الدليل؟ ولا أدل على بيانها من استقرار حفظها في الصدور، ولو كان فيها لبس أو غموض، لَمَا تيسَّرَ حفظها ولَمَا أُتقِنَ ضبطها، فأضحى البيان مع سهولة حفظها في الصدور من خصائص هذا الكتاب العزيز!

وقد تناول هذا الفصل مباحث متعددة، اشتملت على سمات الوضوح بالقرآن الكريم، ودقة التعبيرات القرآنية، وجمع القرآن بين الإجمال والبيان، مروراً بطريقة القرآن الكريم في جمعه بين البيان والإجمال.

هذا وقد جاء الفصل الخامس بعنوان: " التوازن في أسلوب القرآن ولغته "، وهو أحد أركان دراسة الأسلوب القرآني؛ حيث اكتسى القرآن الكريم نظاماً صوتياً خاصاً، من أول كلمة إلى آخر كلمة فيه، وقد تجلَّى ذلك في أصوات ألفاظه، وصفات حروفه وجرسه وفواصله، وطول

كلماته وقصرها، ونظام الوقف والابتداء فيه، حتى صار نظاماً صوتياً يدركه الفاهم لمعانيه والجاهل لها، ولعل هذا من أهم ما يمتاز به القرآن الكريم وهو التوازن في كل جانب؛ لأنه كلام الله العلي القدير، الذي أعجز ببيانه بلغاء العرب، وأسكت بتوازنه أفواه الملاحدة والمتكلمين فيه، والمتصفح لسور القرآن الكريم وآياته يلاحظ ذلك جلياً في كتاب الله عز وجل.

ومن هنا فقد تناولت الدراسة في فصلها الخامس عدة مباحث وقضايا، مثل: قضية الاعتدال في القرآن الكريم والوسطية، وقضية توازن القرآن الكريم في أسلوبه من حيث التدرج في المسائل العقديّة والتعبديّة، وكذلك التوازن في التقديم والتأخير، وقد حُتِمَ الفصل الخامس بقضية جد مهمة وهي: الحذف والإثبات.

وجاء الفصل السادس تحت عنوان: " الجانب الإعجازي في أساليب التوكيد بالقرآن الكريم"، وسر مجيئنا بهذا الفصل هو ما أضافه القرآن الكريم للغة العربية وأساليبها من ثراء وتنوع في الألفاظ والتركيب والأساليب والدلالات، وقد وقع اختيارنا على أسلوب من أساليب اللغة العربية التي أكسبها القرآن الكريم هذا الثراء وذلك التنوع فألبسها ثوباً قشيباً في ليلة عيد لا ينتهي! فكان اختيارنا لأسلوب التوكيد، وكما هو معروف فالتوكيد لا يُؤْتَى به إلا لِحَاجَةٍ، وَمِنْ هُنَا كانت للتوكيد دواعيه وأسبابه، وقد تناول المبحث الأول القيمة الإعجازية في أسلوب التوكيد بالقرآن، ثم عرجنا في المبحث الثاني إلى أغراض التوكيد، مروراً بالمبحث الثالث وهو أساليب التوكيد الواردة بالجملة الاسمية في القرآن الكريم، وانتهى الباحث في المبحث الرابع وهو أساليب التوكيد الواردة بالجملة الفعلية في القرآن الكريم.

وقد جاء الفصل السابع بعنوان: " التنوع الأسلوبي في القرآني"، وناقش فيه الباحث ما يُعرف باسم ظاهرة "المغايرة الأسلوبية" وهي من أهم دلالات إعجاز القرآن الكريم؛ لما تتناوله من ظواهر ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالبلاغة القرآنية، ودقة القرآن في نظمه وتركيبه ودلالاته، وتناولنا في هذا الفصل في مبحثه الأول التنوع الأسلوبي وتعدد المصطلحات، ثم عطفنا إلى التنوع الأسلوبي في مجال البناء النحوي، ثم التنوع الأسلوبي في مجال الضمائر، والتنوع الأسلوبي في مجال العدد، مروراً بالمبحث الخامس: التنوع الأسلوبي في مجال الأدوات، وانتهت الدراسة في هذا الفصل بمبحثها التنوع الأسلوبي في مجال الصيغ.

وفي نهاية الدراسة تناولنا فصلاً خاصاً بقضية " الفواصل القرآنية"، وهي قضية قديمة متجددة؛ لما تنبئه من مسائل شائقة؛ فالمتأمل في كتاب الله عز وجل يلاحظ ما فيه من قُوَّة

وبَيَانٍ وَبِلَاغَةٍ تُؤَثِّرُ فِي الْمُتَلَقِّيِّ بِمَا بَهَا مِنْ مَظَاهِرِ إِعْجَازِيَّةٍ، وَالْقُرْآنَ الْكَرِيمَ أَشْبَهَ مَا يَكُونُ بَعْدَ أَحْجَارٍ كَرِيمَةٍ، وَالْفَوَاصِلَ الْقُرْآنِيَّةَ هِيَ إِحْدَى حَبَّاتِ ذَلِكَ الْعِقْدِ وَالَّتِي شَغَلَتْ الْعُلَمَاءَ بِأَسْرَارِهَا وَجَمَالِهَا وَرُوعَةِ جَرْسِهَا وَمُوسِقَاهَا، وَلِهَذَا عَرَجْتَ دِرَاسَتَنَا إِلَى ظَاهِرَةِ الْفَوَاصِلِ الْقُرْآنِيَّةِ وَفَقَّ مَجْمُوعَةً مِنَ الْعُنَاصِرِ، مِثْلُ: تَحْدِيدِ مِصْطَلَحِهَا لُغَةً وَاصْطِلَاحًا، وَدِرَاسَةِ الْخِلَافِ حَوْلَ مُصْطَلَحِ الْفَوَاصِلِ الْقُرْآنِيَّةِ، وَبَيَانِ كَيْفِيَّةِ تَحْدِيدِ الْفَوَاصِلِ الْقُرْآنِيَّةِ وَطَرِيقِ مَعْرِفَتِهَا، مَرُورًا بِأَهْمِيَّةِ الْفَوَاصِلِ الْقُرْآنِيَّةِ وَأَغْرَاضِهَا وَفَوَائِدِهَا وَأَقْسَامِهَا وَأَنْوَاعِهَا وَأَنْمَاطِهَا وَأَشْكَالِهَا.

وَقَدْ عُنِيَتِ الدِّرَاسَةُ - أَيْضًا - بِالْبِنَاءِ التَّرْكِيبِيِّ لِلْفَاصِلَةِ الْقُرْآنِيَّةِ نَحْوِيًّا وَصَرْفِيًّا وَدَلَالِيًّا، وَإِظْهَارِ أَسْبَابِ تَعَنُّتِ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ وَالْبَاحِثِينَ فِي فَهْمِ الْفَوَاصِلِ الْقُرْآنِيَّةِ وَتَفْسِيرِهَا وَتَحْلِيلِهَا وَنَتَائِجِ ذَلِكَ، كَمَا عَرَجْتَ إِلَى بَعْضِ الدِّرَاسَاتِ الْإِحْصَائِيَّةِ الَّتِي دَارَتْ حَوْلَ الْفَوَاصِلِ الْقُرْآنِيَّةِ وَنَتَائِجِهَا وَدَلَالَاتِهَا، ثُمَّ انْتَقَلْتُ الدِّرَاسَةَ إِلَى الْخِصَائِصِ الْمُمَيَّزَةِ لِلْفَوَاصِلِ الْقُرْآنِيَّةِ.

وَخَتَامًا نَكْرُرُ الْقَوْلَ: إِنَّ هَذِهِ الدِّرَاسَةَ مَحَاوَلَةٌ وَاجْتِهَادٌ، جَاهَدْتَ مَا وَسَعَنِي الْجُهْدُ، وَاجْتَهَدْتَ مَا وَسَعَنِي الْاجْتِهَادُ أَنْ أُخْرِجَ شَيْئًا يَلِيقُ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَأَسْلُوبِهِ وَلُغَتِهِ وَتَفْرَدِهِ، وَمَنْ الْمُؤَكَّدُ أَنَّهَا لَا تَسْلَمُ مِنَ الْخَطَأِ أَوْ السُّهُوِّ أَوْ النِّسْيَانِ؛ فَقَدْ كَانَ لِسَانُ حَالِنَا:

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وَهَذَا جِهْدُ الْمُقْلِ وَرَغْبَةُ الْمُحِبِّ أَنْ تَصِلَ أَنْوَارُ الْقُرْآنِ وَأَسْرَارُهُ إِلَى قُلُوبِ الْأُمَّةِ حَتَّى تَزْدَادَ إِيمَانًا وَإِلَى عُقُولِ الْمَلَاحِدَةِ الَّذِينَ لَمْ يَرْتَشِفُوا مِنْ هَذِهِ الْمَعَانِي، لَعَلَّ هَذِهِ الدِّرَاسَةَ تَفِيْقُهُمْ مِنْ غَفْوَتِهِمْ حَتَّى يَعُودُوا إِلَى الْحَقِّ ..

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ ثَبَاتَ أَهْلِ الْهُدَى، وَهُدَايَةَ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَعِلْمَ أَهْلِ الْهَمَّةِ، وَهَمَّةَ أَهْلِ الْيَقِينِ، وَيَقِينَ أَهْلِ التَّمَكُّنِ، وَتَمَكُّنَ أَهْلِ الْإِتْقَانِ، وَإِتْقَانَ أَهْلِ الصَّلَاحِ، وَصَلَاحَ أَهْلِ التَّقْوَى، وَثَبَاتَ أَهْلِ الْهُدَايَةِ .. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الَّذِي أَعَانَنَا وَهَدَانَا إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، وَمَا نَكُونُ عَلَيْهِ مِنْ خِدْمَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ حَتَّى نَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى، رَاغِبِينَ فِي رَحْمَتِهِ، رَاجِينَ رِضَاهُ مُتَعَلِّقِينَ بِهُدَى حَبِيبِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

الأستاذ الدكتور/ أحمد عبده عوض

١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م

## الفصل الأول

### نظرة عامة على الأسلوب القرآني

- المبحث الأول: سمات الأسلوب القرآني [ نموذج وتطبيق ].
- المبحث الثاني: الإعجاز في الأسلوب القرآني في خواتيم السور.
- المبحث الثالث: نظرة تأملية في آيتين كريمتين من الذكر الحكيم.
- المبحث الرابع: الأسلوب القرآني في تنوع الجمل، والتألف بينها.
- المبحث الخامس: السياق والنسق في الأسلوب القرآني

## المبحث الأول

### سمات الأسلوب القرآني [نموذج وتطبيق]

الناظر في القرآن الكريم يلحظ مدى ما يتسم به القرآن الكريم من سلاسة وسهولة؛ فأسلوبه مُيسرٌ للذكر والتلاوة والعبادة، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: ١٧]، والتيسير بالذكر أي ييسر للجميع بالحفظ والفهم والاستيعاب، ولذا فإن كثيراً من آيات القرآن بالنسبة للقارئ العادي لا تحتاج إلى تفسير، ومن ذلك مثلاً: سورة الفاتحة؛ إذ لا ترى فيها كلمات ليست مألوفة فكلها أسماء الله الحسنى لا صعوبة فيها ولا مشقة، ولو تأملت فيها بداية من البسمة: [بسم الله الرحمن الرحيم]؛ تجدها سلسلة ويسيرة، ولا صعوبة فيها.

وكذلك قوله: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ [الفاتحة: ١]؛ ترى فيها البساطة وسهولة المعنى، وكذلك فإن مخارج الحروف قريبة وسهلة في الأداء، وسرعة الفهم لدى المتلقي.

ثم يُعيدك القرآن مرة ثانية إلى عبودية جديدة عندما يذكرك بالأسماء الحسنى، وذلك في قوله تعالى: ﴿الرحمن الرحيم﴾ [الفاتحة: ٢]، وهذا ليس معيياً؛ لأن البسمة في صدر السورة وفي صدر كلِّ السور، وهي هنا آيةٌ مستقلةٌ في السبع المثاني، وعندما نقرأ قوله تعالى في الآيتين الكريمتين معاً: ﴿الحمد لله رب العالمين. الرحمن الرحيم﴾ [الفاتحة: ١-٢]، يبدو لك جلياً جمال اللغة، ودقة الأسلوب، والإيقاع الصوتي الجميل الهادي، خاصة لمن يحررون القرآن تحريراً، ويرتلون القرآن ترتيلاً، ومن يقفون على المعاني والأحكام بالتأمل والتدبر بالمعاني الجميلة المتتابعة.

وهكذا تعايشنا مع المعاني القرآنية في آيتين فقط رأينا فيهما الدقة والجمال والبراعة، وجزالة الأسلوب، ومثانة الكلمات مع سهولتها، واتضح مخرجها.

فإذا ما طبقنا هذا المنهج على كل آيات القرآن الكريم وعلى باقي سورة الفاتحة، فإننا سنرى عجباً وعجباً لا منتهى له، وقد نحتاج إلى دراسة مستقلة عن الإعجاز في الأسلوب القرآني الفريد المتميز الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، ومن وجهة نظرنا فإن كل سورة في القرآن الكريم تحتاج دراسات مستقلة لدراسة عظمة الأسلوب القرآني، ودقة اللغة القرآنية، بعيداً عن التعمق في الجانب التفسيري، وقد تأخذك آية واحدة إلى أن تتعايش معها لسنوات عديدة، مثل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ

قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ [البقرة: ٧٤] التي سيأتي تناولها بعد قليل إن شاء الله.

أما إذا وقفت متأملاً - مثلاً - في سورة الرحمن، فإن الأسلوب القرآني بفواصله القرآنية الفريدة تكسر أدمغة الكافرين والملاحدة، وتدهش قلوب المؤمنين المحبين العاقلين، ومن ثم تأخذك روعته إلى جمال لغته وأسلوبه، ولك أن تتأمل ما جاء في سورتي الأعراف والشعراء من قصر الآيات، ودقة البيان، والإعجاز في صدر السور، مثل قوله تعالى: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًا . فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا . فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾ [الصافات: ٣]؛ وهكذا فاللغة القرآنية في سورة الصافات - مثلاً - تأتي بسجع غير متكلف، والمعاني المتجددة تضيف إليك جانباً من اليقين في الله رب العالمين، ومن ذلك لو أنك تأملت قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ . وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ [الصافات، ٧٥: ٧٦]؛ فالقارئ لهاتين الآيتين في سورة الصافات يستشعر - وهو يقرأ، أو يستمع للسورة - وابلاً طيباً من المعاني المتجددة، التي لا يقولها إلا الله عز وجل.

ثم إن القارئ أو المستمع يقف متعجباً مع آخر السورة التي جمعت وأوجزت كل ما ورد في السورة الكريمة، وذلك حينما نقرأ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ . إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ . وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات، ١٧٢]؛ مع ملاحظة مدى سرعة الإيقاع، وقوة المعاني، واستخدام كل أساليب التوكيد اللفظي والمعنوي، ثم الجمال الأسلوبي في ختام السورة بالتسبيح والتسليم والحمد في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ . وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات، ١٨٢]؛ تلاحظ - سلمك الله - أن التنوع الأسلوبي هنا لا مثيل له من حيث الصياغة اللغوية، وسهولة المخارج، وقوة السبك وجمال النظم، والتحول الأسلوبي من السين إلى حرف الراء فتظهر الدقة في ختام الآيات بقافية واحدة متمثلة في حرف النون، وهي قافية قوية متجددة المعاني، وفي الوقت نفسه فإنها سهلة وليست من عمق الحنك، وهذا يسهل القراءة والحفظ والترداد في ختام المجالس، كما أخبر المعصوم صلى الله عليه وسلم ببركة ختام المجالس بهذه الآيات المباركات الكريمات، ومن ذلك ما ورد عن أبي سعيد الخدري عندما سُئِلَ: " قلنا لأبي سعيد

هل حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً، قال: نعم، كان يقول: سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ<sup>(١)</sup>.

وكذلك ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: " كُنَّا نَعْرِفُ انْصِرَافَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ: [ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ]<sup>(٢)</sup>.

ومنه حديث زيد بن أرقم - رضي الله عنه - عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " مَنْ قَالَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ : سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَقَدْ اِكْتَالَ بِالْمَكِّيَالِ الْأَوْفَى مِنَ الْأَجْرِ"<sup>(٣)</sup>.

وما دمنا نعرفنا على أهم السمات المميزة للأسلوب القرآني وما تميز به من البساطة وسهولة المعنى وجمال النظم نتعرف في المبحث التالي على الإعجاز الأسلوبي في خواتيم السور.

## المبحث الثاني

### الإعجاز في الأسلوب القرآني في خواتيم السور

جاءت خواتيم الآيات الكريمة جامعةً للبلاغة للقرآنية بكل سورها، وتحتاج إلى دراسات مستفيضة، وجديرٌ بالذكر أنّ ختام السور القرآنية أهم مصادر استمداد الإعجاز في لغة القرآن الكريم ونسقه وجماله وإبداعه؛ لما تكتنزه أواخر السور من كُتْلٍ إعجازية وجب على كل مؤمن مسلم التدبر فيها لفهمها، ومن ثم زيادة إيمانه وترسيخه، وإظهارا لعظمة الرب الخالق الصانع، يقول تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾ [الكهف: ١].

وهذا مبحث خاص شغلني منذ عشرين سنة ولقد جعلته برنامجا تلفزيونيا اسمه: " أسرار وأنوار "، وكان يُذاع على قناة المحور المصرية، وتم طبعه كتابا والله الحمد في مركز الكتاب

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد المؤلف: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيتمي (المتوفى: ٨٠٧هـ) المحقق: حسام الدين القدسي الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م (١٥٠/٢).

(٢) رواه الطبراني في " المعجم الكبير "، (١١٥/١١).

(٣) رواه الطبراني في " المعجم الكبير "، (٢١١/٥)، وعنه أبو نعيم في " معرفة الصحابة " (١١٧٥/٣).

للنشر والتوزيع، عام ٢٠٠٣م، ولقد ركزت فيه على سر الإعجاز في خواتيم السور القرآنية والربط بين خواتيم السورة وصدر السورة التي تليها، ولقد انتفعت فيه باجتهادات السلف - رحمهم الله - في الموضوع نفسه، فضلا عن معاشتي لروح كل سورة وموضوعها وأحداثها وتسلسلها، فوجدنا - مثلا - أن سورة البقرة تُختم بالجملة الدعائية: [ ربنا ] ثلاث مرات، وسورة آل عمران - كذلك - تُختم بالجملة الدعائية [ ربنا ] خمس مرات، فهل يكون هذا خبط عشواء أم أن له صلة وثيقة بأحداث السورة وموضوعها؟!

من المؤكد أن التكرارات في الجمل الدعائية هو قوة عظيمة في المعاني والتراكيب المنسجمة مع بعضها، وكل تركيب يختلف مع الآخر في صدره ونهايته، وسنأخذ مثلا تأمليا على ذلك:

### مثلا في المواضع الخمسة:

١- ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ [آل عمران: ١٩٢]؛ فهذا الدعاء يمكن أن نسميه (دعاء النجاة من النار)، ثم يأتي دعاء آخر مُطوّل له مقدمة ومحتوى وخاتمة في سياق بديع فريد.

أما المقدمة فهي قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ ﴾ [آل عمران: ١٩٣]. وأما المحتوى - محتوى الدعاء - فهو قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا فَاعْرِزْ لَنَا دُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴾ [آل عمران: ١٩٣].

وأما الدعاء الثالث فقد جاء جامعا شاملا لكل أدعية الرسل عليهم السلام في قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٩٤]؛ فقد جمعت هذه الجملة الدعائية - الواردة بالآية الكريمة السابقة - كل أنواع البلاغة حصريا؛ لأنها شملت كل أدعية الأنبياء بأسلوب قرآني فريد، وقد استخدم الوصل ب [ ما ] التي تشمل العاقل وغير العاقل وما فيها من محن وإحزن شديدة أتعبت الأنبياء سلام الله عليهم وصلواته، وقوله تعالى: ﴿ وَعَدْتْنَا ﴾ نفهم منه مدى اليقين عند الأنبياء في الله عز وجل وكما استخدم أسلوب الجر في قوله تعالى: ﴿ عَلَى رُسُلِكَ ﴾، ولم يقل - مثلا - [ مع رسلك ]، وهذه التفاتة قرآنية جميلة تفيد شدة اليقين من الأنبياء في الله عز وجل؛ لأن كلمة الله علوية: ﴿ عَلَى رُسُلِكَ ﴾ لا خلاف عليها، وإذا أردنا أن نتأمل في كل كلمة في الأدعية - هنا - سنجد أمامنا بحرا من جمال الأسلوب القرآني الذي لا يغيض نوره، ولا ينقطع إعجازه.

٢- ولا زلنا نتأمل في جمال الإعجاز في خواتيم سورة آل عمران، حتى يأتي الفرج والاستجابة والقبول مع قوله تعالى: ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٩٥]؛ إذ نلاحظ سرعة الاستجابة للأدعية في حرف الفاء التعقيبية التسريعية التي تجبر خاطر السائل، وتُغيث لهفة المتضرع، ثم استخدم همزة الوصل في قوله: [فاستجاب]، لفهم منها مدى الوصل وقوة الاتصال بين العبد وربّه عندما يستجيب له، وهذا موضوع جميل وجديد، وهو الإعجاز في مواضع الأسلوب القرآني في همزتي القطع والوصل في القرآن الكريم، وقول الله تعالى: ﴿ فَاسْتَجَابَ ﴾، ولم يقل: [فأجابهم]؛ تأكيدا لكونهم عاشوا حالة من الطلب والتضرع والتدرج من اللأواء والمعاناة حتى لم يجدوا بابا إلا باب رحمة الملك سبحانه وتعالى.

٣- ويجب أن نلاحظ أنّ [السين والتاء] فيهما حالة من الترقب والانتظار لدى المتضرع حتى تأتيه لحظات الندى من الرحمن الرحيم، وهذا - أيضا - موضوع مهم يحتاج إلى دراسات مستفيضة مستقلة في الإعجاز في صيغ الأسلوب الطلبي في القرآن الكريم أو في كل سورة على حدة، ولا زلنا نتأمل حتى وصلنا لقوله تعالى: ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٩٥]؛ والمتأمل في الآية الكريمة يلحظ أنّ الله تعالى قد قال: ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ ﴾، ولم يقل - مثلا - [فاستجاب ربهم]؛ حيث إنّ استخدام شبه الجملة هنا يوضح مدى تعلق السائل والمتضرع برحمة الملك سبحانه وتعالى، وكأنه مع موعد مع الفرج لهم مع صدق الرجاء وشدة اليقين، ولم يقل الحق سبحانه وتعالى مثلا: [فاستجاب الله لهم]، وإنما استخدم كلمة: [الرب]، وذلك لتأكيد مدى صلة العبد بربه عندما يشتد الضيق عليه فيلج في الدعاء: [ربنا ربنا ربنا ربنا].

٤- ولا يخفى مدى الجمال في كلمة [الرب] في القرآن الكريم بمعنى السيد والقائم على أمر الكون والمتصرف في أمور عبادته والحامي والحافظ لهم سبحانه وتعالى. وقوله تعالى: ﴿ رَبُّهُمْ ﴾ فالميم في آخر الكلمة التي تفيد مطلق الجمع نفهم منها أنّ الله تعالى هو رب الجميع، ورب الأكوان، ورب العباد، والمغيث لهم في كرباتهم عندما تضيق الحياة عليهم لا يجدون ملاذا إلا ملاذه، يقول تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ﴾ [الأنعام: ٦٤].

٥- ويستمر الإعجاز في خواتيم سورة آل عمران حتى نصل إلى قوله تعالى في الآية: [١٩٥] ﴿ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾؛ والجميل فيها أنها قد بدأت بشبه الجملة مع العطف على سياقات التكريم العظيمة التي جاءت قبلها لمن أخلصوا في الدعاء والهجرة إلى الله عز وجل، والتحمل في سبيل الله فكانت المفاجأة عظيمة في آخر الآية ببيان تفصيلي، يروي كل أرض عطشانة إلى لغة القرآن الكريم البديعة الفريدة خاصة لمن يستمتعون بترتيل الآيات الكريمة مع جمال الإيقاع والتناغم الصوتي وقوة الجمل وجمال التصوير الفني الذي لا مثيل له، وهذا يتأكد عندما نقرأ قوله تعالى: ﴿ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِمَّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

ونعاود التأمل في قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾، نجد تصدير الجملة بالجار والمجرور، يدخل في إطار جملة القصر أو الحصر، أي أن الثواب كله من الله سبحانه وتعالى، ثم يتأكد هذا بقوله: ﴿عِنْدَهُ﴾، أي أن استقرار الجزاء الصالح في أوله وآخره عند الله تبارك وتعالى وليس عند غيره فلا يستطيع أحد أن يكافئ الإنسان الصالح الصابر على ثباته وصدقه إلا الله سبحانه وتعالى، منه الفضل واليه الأمر كله.

وقوله تعالى: ﴿ حُسْنُ ﴾ يفيد مدى تميز الجزاء الأوفى الذي يعطيه الله سبحانه وتعالى لعباده أعظم مما تمنوا خاصة في الآخرة، ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧].

ثم إننا نجد أن الله تعالى قد أضاف كلمة جميلة جدا إلى الآية، وهي كلمة تفوق التوقع البشري؛ إذ لم يقل الله - مثلا - [حسن العطاء]، وإنما قال تعالى: ﴿ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾؛ فكلمة [الثواب] هنا نفهم منها دقة الحساب عند الله تعالى: ﴿ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وهكذا فإن الثواب يكون في مقابله العقاب؛ فالله تعالى لا يتكلم عن الثواب فقط، وإنما يتكلم عن درجات النعيم الأعلى لكل من تحققت فيهم شروط الآية الواردة بسورة آل عمران، وفيها يقول المولى عز وجل: ﴿ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِمَّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

وعندما تأتي الإثابة من الله تعالى فلا سقف لحدود عطائه، ولا تخيل لاتساع خزائنها، كما قال سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿فَأَنبَأَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ٨٥].

### المبحث الثالث

#### نظرة تأملية في آيتين من الذكر الحكيم

من البدهي أننا إذا أردنا أن نستطرد في الإعجاز الأسلوبي في خواتيم السور القرآنية فإننا سنحتاج دراسة مستقلة من الدراسات الموسوعية، غير أننا سنقف مع نماذج من الدقة الأسلوبية الفريدة من القرآن الكريم التي تؤكد لك أن هذا الكتاب العظيم لا يمكن أن يكون كلام بشر، ومن هذه النماذج:

[أ] المثال الأول في قوله تعالى في سورة الفجر ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ . ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً . فَأَدْخُلِي فِي عِبَادِي . وَأَدْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر، ٢٧-٣٠]. وستتوقف - هنا - وقفة أسلوبية تركيبية دلالية مع قوله تعالى: ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي . وَأَدْخُلِي جَنَّتِي﴾؛ إذ نلاحظ مدى التآلف بين اللغة والفكر والألفاظ والمعاني؛ لأن المتلقي يتوقع أن تأتي [فادخلي في جنتي وادخلي في عبادي]، ولكنه أضاف - هنا - معلومة تفسيرية جميلة على مسامعنا؛ حيث إن التماس الصحبة والرفقة مع العباد الصالحين أحب للمسلم عند الله تعالى من الجنة نفسها ومن نعيمها، وأن [عبادي] في الآخرة هم رياحين الجنة قبل نعيم الجنة؛ فلا تحلو الجنة إلا برفقة الصالحين الذي نزع الله ما في صدورهم من غل، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧].

مع ملاحظة أن هذا المعنى يتأكد من أن آيات صفة الجنة لمن فيها قد تزداد في عددها عن صفة نعيم الجنة، وهذا موضوع جميل وممتع في القراءة التفسيرية لألفاظ القرآن الكريم. وكما يتأكد أيضا من ياء النسب التناسب الأسلوبي والإيقاع الصوتي الشيق في قوله تعالى: ﴿عِبَادِي﴾، وقوله تعالى: ﴿جَنَّتِي﴾؛ إذ أن الله تعالى قد نسب العباد إلى نفسه نسبة تشريف كما قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ [سبأ: ١٣]، وكذلك قوله تعالى: ﴿يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الزخرف: ٦٨].

وثمة ربطٌ بين: [عبادي] و [جنّتي]؛ حيث إن الجنة لم تكن شيئاً مفرداً إلا بنجومها الزاهرة من الصالحين الكبار الذين قال الله عنهم: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ٦٣]، ومثل قوله تعالى: ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ. جَنَّاتٍ عَدْنٍ مَّفْتَحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ. مُتَّكِنِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾ [ص: ٥١].

كما أنّ الفاء التسريعية في قوله تعالى: ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ دلّت على مدى الشوق والحميمية لدى أهل الجنة في الاجتماع في التكريم الرباني، ولذا تأتي الفاء لتسريع اللقيا والمحبة والرفقة الصالحة، وبعد أن يتم اللقاء والشوق والحب والرفقة الصالحة، يقول تعالى: ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾.

كما نلاحظ أنّ هذه الأرواح نادى عليها الملك، وقال: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾؛ إذ وصفها بالاطمئنان لما كانت عليه من أعمال صالحات، وبما لهم من تكريم رباني هم جديرون به، ويستحقونه لما نالوا من درجات تكريم في الدنيا على صبرهم واستقامتهم وتعبهم في الحياة، وقد حان الوقت لرحلة السعادة مع أفواج المكرمين، يقول تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ [الزمر: ٧٣]، وذلك بصحبة من قال الله تعالى عنهم: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ. الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠]، وكذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفِدًا﴾ [مريم: ٨٥].

فكل هذه المعاني جسدها بعد ذلك قوله تعالى: ﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ في مقام إجلال وجلال وعظمة وترحاب وتبجيل وزفاف لهذه الأرواح التي اشتاقت إلى لقاء الملك سبحانه وتعالى، منتظرين التحية من الله عز وجل، يقول تعالى: ﴿تَحِيَّاتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٤].

ثم نلاحظ التنوع الأسلوبي في الآية الكريمة التي لم تسر على نمط واحد؛ إذ تعددت الصفات حتى وصلنا إلى هاتين الصفتين العظيمتين: ﴿رَاضِيَةٌ مَّرْضِيَةٌ﴾، وهي راضية لما قدمت عبر حياة حافلة بالأعمال الصالحات النادرات فلا بد أن تكون ﴿رَاضِيَةٌ﴾؛ لأنها عاشت حياتها كلها في إرضاء الله وكي يرضى عنها الله سبحانه وتعالى، يقول تعالى: ﴿وَمِنْ أَنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ [طه: ١٣٠].

وأما كونها ﴿مَّرْضِيَةٌ﴾؛ فلأن الله سبحانه وتعالى أراد بسابق فضله، ومزيد إنعامه أن يعطي لعباده في الآخرة ما يرضيهم حتى يطالعوا النظر إلى وجهه الكريم، ثم يسألهم الملك

سبحانه وتعالى: هل رضيتم؟ وما كانت رحلة الآخرة في نعيمها وجمالها إلا بوصول المؤمن إلى مرحلة شعوره بمرضاة الله عنه؛ فكل هذه المعاني وجدناها في قوله تعالى: ﴿رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾.

كما أن الآية تُضيف جانباً من الانسجام الصوتي في ارتفاع طبقة الصوت في أول الآية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ﴾، ثم يرتفع أسلوب النداء مع أسلوب الوصف مع أسلوب النداء مرة ثانية، وتنتهي بنبرة صوت هادئة فيها سكينه وهدهد وراحة واطمئنان، ويتضح هذا في مخارج الأصوات في أنها في آخر الآية جاءت أصواتاً وحروفاً هادئة وليست قعريّة، وهذا النموذج من القرآن الكريم إذا أردنا أن نطبقه على كل المصحف الشريف سنرى إعجازاً كبيراً؛ وسيكون عندنا جبال من المجلدات، غير أننا نكتفي بهذه الإضاءات السريعة في النقاط التي عرضنا لها آنفاً.

ولا زلنا نُبحر مع التأمل في الأسلوب القرآني مع آية أخرى في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْفَقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤].

وسنبداً - الآن - في رحلة التأمل في الآية الكريمة، وما حفلت به من أسلوب قرآني فائق الإبداع والتميز، وذلك في النقاط التالية:

أولاً - بدأت الآية الكريمة بحرف العطف الذي يفيد الإبطاء وهذا الإبطاء يتناسب مع سرد القصة، وهي قصة ذبح البقرة؛ لأنهم لم يتعظوا بما حدث فظلوا على جهلهم، فقال تعالى: ﴿وَأَذِّقْنَا لَذُنُوبَكُمْ نَجْسًا فَأَدَرَأْتُمُوهَا فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مِمَّا كُنْتُمْ تَكْفُمُونَ . فَعَلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٢: ٧٣]؛ وذلك لأن هذا هو ما كان متوقعا لأمثال هؤلاء الظالمين الفاسدين المارقين، فقال لهم الله عز وجل: ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، ولكن للأسف الشديد لم يعقلوا ولم يتفكروا، ولهذا فإن الله عز وجل قد وصف قلوب أولئك بالقسوة؛ إذ قال المولى سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾.

والإعجاز البياني - هنا - في قوله تعالى: ﴿مَنْ بَعْدَ ذَلِكَ﴾، أي بعد ما أتاح الله لكم فرصة للتوبة والتعقل، ولكن هيهات هيهات أن يتعظوا وأن يعتبروا، يقول تعالى: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد: ١٦]، وهذه الصفة الملازمة في القرآن كله ليست غريبة

عليهم، وتبقى القسوة جزءا من طبيعة قلوبهم؛ التي دأبوا عليها على مدى التاريخ كله، ناهيك عن قتلهم الأنبياء بغير حق، وقولهم قلوبنا غلف، ونقضهم الميثاق ﴿فِيمَا نَقُضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ﴾ وجودهم نعم الله الظاهرة والباطنة، فكان حكما نهائيا من الله عليهم، فقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ [المائدة: ١٣]، وهذا يفسر لك أنهم دخلوا في مرحلة أصعب من القسوة تتحدث عنها النقطة التالية، وهي قوله تعالى: ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾؛ فقد شبه الله تعالى قلوبهم بالحجارة من واقع حالهم الذي وصل بقلوبهم إلى الحالة الصخرية الحجرية، فعندما يتأمل الإنسان في الحجارة، فما الذي أصعب من الحجارة في شدتها إلى أن يكون شيئا لا يأتي على ذهن البشر، وهذا يعطيك مجالا للتأمل في الأشياء الصلدة الصخرية في حياة البشر على طريقة قول الشاعر: [كجلمود صخر حطه السيل من عل].

ويقف الإنسان بعد ذلك منبها متعجبا من هذا الأسلوب القرآني الفريد الذي أتعب البلغاء وأعجز الفصحاء، وأن تصل القلوب إلى هذه المرحلة الصخرية؛ بحيث تكون جامدة أقرب إلى الحديد منها إلى القلوب المعروفة بنبض الحياة.

أما العطف في قوله تعالى: ﴿أَوْ﴾ [فإن [لو] هنا لا تفيد التخيير على طريقة قولهم: [تزوج هذا أو أختها]، وإنما جاءت [أو] بمعنى مغايرة تماما؛ لما يرد على أذهان اللغويين، فهي هنا بمعنى (بل)، وتقدير الكلام: " فهي كالحجارة بل أشد قسوة"، وهذا الكلام الجديد على لغة البشر لا يقوله إلا الله تعالى الذي وصف القرآن الكريم بقوله: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، ولم يكتف القرآن بوصف قلوبهم بالحجارة أو أشد قسوة، وإنما فصل القرآن الكريم الحجارة بأنواعها المعروفة لنا وغير المعروفة، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ حَشِيَّةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾، فأضاف جانبا جديدا في الحجارة، فليس كل الحجارة صخرية صلدة جافة يابسة، وإنما هناك حجارة من خلق الله الملك تتوهج حياة وتفيض حيوية كأنها النهر الفياض أو الينبوع المدرار.

فكلمة (يتفجر) جاءت بإضافات دلالية عجيبة، خاصة أنها جاءت مع الأحجار، فإذا كانت أحجارا لا يخرج منها الماء فقط كأنها ينبوع من ينابيع الماء، كما قال تعالى: ﴿فَسَلِّكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٢١]، لكن المفاجأة - هنا - في أن كلمة [يتفجر] توحى لك

بقوة تدفق الماء العجيب من الحجارة، وكأنها تتسارع في الخروج، والتدفق مما يجعلها كأنها تنفجر أو تنفجر، رأيت جمالا مثل هذا الجمال؟!.

وزد على ذلك أن الله تعالى قال: ﴿يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾، أي أن هناك أنهارا بأكملها مثل نهر النيل يتدفق من جبال في أعلى بحيرة فيكتوريا مثلا، وهذا شيء عجيب لم يُكتشف إلا حديثا أن نهر النيل وغيره يتدفق من قطعة صخرية جبلية فيبعث الحياة في الكون فأضاف القرآن لنا جانبا جغرافيا جميلا في تدفق الحياة من الأحجار؛ فهي ليست جامدة، بل فيها حركة داخلية وخارجية كحركة الجبال، كما قال جل جلاله: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٨٨].

ثم قال الله تعالى في تكملة وصف أنواع الأحجار: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾، وهذه إضافة قرآنية جميلة تنبه إلى وجود أنواع أخرى من الحجارة لا يتفجر منها الماء فقط؛ فيسيل أنهارا، وإنما تتفتح هذه الأنهار كأنها البراكين؛ فيخرج منها الماء كأنه نافورات، وقد شاهدت هذا بنفسي عندما كنت في رحلة دعوية لأوربا في جبال عالية بين إيطاليا وسويسرا (جنوب إيطاليا)، وكان أمرا مدهشا شديدا، وأبكاني، وزلزلني، ورواني سبحان من هذا كلامه، سبحان من هذا بيانه، والعجيب أن كثيرا من أهل أوربا يصعدون أعلى هذه الجبال ويشاهدون هذه المعجزة، ورغم ذلك لا يزالون على غفلتهم وبعدهم عن خالقهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩].

أما قوله تعالى: ﴿لَمَا يَشَّقُّ﴾، فإن تشقيق الحجارة يكون إما بفعل قوة الماء أو لفتح شرايين جديدة يسير فيها الماء، وكل هذا يتضح لك من قوله تعالى: ﴿فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾، أي أن التشقق كأنه تفتح للحجارة ليكون فتحا لمسارات جديدة لها، وهكذا فإن القرآن الكريم ينقلنا إلى هذا الأسلوب التصويري الذي يدعم إيمان المؤمنين، ويزلزل قلوب الغافلين ﴿لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

ثم قال تعالى في بيان أنواع الحجارة في هذا السرد العجيب المنظم المتأخي المتسلسل: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ حَشِيَّةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾، وخشوع الحجارة لله سبحانه وتعالى من المعاني القرآنية المتجددة، نذكر منها: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩]، ومنها قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدَّعًا مِّنْ

خَشِيَةَ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿الحشر: ٢١﴾، ونفهم من قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ أن الحجارة لها حركة منتامية، كما اتضح في قوله تعالى: ﴿يَتَفَجَّرُ﴾ وقوله تعالى: ﴿يَشَقُّقُ﴾، وقد زاد المعنى وضوحاً قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾؛ لأن الهبوط للحجارة يعبر عن حالة السجود مشابهة، يقول تعالى: ﴿وَيَخْرُونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً﴾ [الإسراء: ١٠٩]، ومثل قوله تعالى: ﴿وَخَرُّوا لَهُ سُجْداً﴾ [يوسف: ١٠٠]، كأن الحجارة تقوم بحركة السجود ظاهرة وباطنة بطريقة عجيبة لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى، دون سؤال عن الكيف والماهية؛ لأن كل ما في الكون ساجد لله عز وجل، يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج: ١٨].

وقوله تعالى: ﴿مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ إشارة إلى أن خشية الله إذا استقرت في طبيعة الأشياء فإنها تتغير من كينونتها، وتضفي عليها جانبا من الحياة جديداً قد يبدو غريباً في دنيا الناس، ولكن يدركه كل إحساس صادق.

إن خشية الله عز وجل تضفي على النفس والروح مهابة، حتى تحول الغافل إلى ذاكر والذاكر إلى نكار والأشرار أختياراً وأبراراً.

ثم ختمت آية الحجارة بقوله: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤] بمعنى أن الله تعالى لما له من العظمة والقدرة اللا محدودة التي عشناها فيما تقدم فلا بد أن تكون القدرة والهيمنة والسيطرة على العباد بأفعالهم، وحاشاه أن تأخذه غفلة، أو سنة من النوم فهو القائم على أفعال عباده، يقول تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ تؤكد لنا أن أفعال العباد مرصودة عند رب العباد سبحانه وتعالى الذي أحاط بكل شيء علماً، وبطبيعة الحال لا يغيب عن علمه شيء ولا عن سمعه شيء ولا عن بصره شيء، ومن هنا فإننا نربط بين أول الآية وآخرها؛ ففي أول الآية: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ [البقرة: ٧٤]، أي أن قلوبكم الغافلة عن الله سبحانه وتعالى وصلت في غفلتها إلى اعتقادها المنحرف أن الله لا يحيط بكل شيء علماً فجاء الرد القرآني أن الله تعالى حاشاه أن يغفل فهو يعلم بالأمور قبل وقوعها وبالأحداث قبل

حدوثها، فكيف له أن يغفل عن هذه القلوب الظالمة المتحجرة التي نال منها السواد، وأُشربت حب الغفلة منتاسية أن الله لا يغفل ولا ينام، يقول تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ ويقول تعالى: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤٣].

وهكذا أبحرنا ما وسعنا التبحر، وتأملنا ما وسعنا التأمل، حتى وصلت سفينة الأسلوب القرآني، واللغة القرآنية إلى أجمل مدى وأعظم استبصار، وهذا كله ترقية إلى تثبيت الإيمان وتقوية الوجدان ليتأكد لكل مشكك أن هذا القرآن الكريم لا يكون إلا من رب العالمين.

وبعد ما طوّفنا ببعض آياتِ مِنَ الذِكرِ الحكيمِ نشتم منها رحيقِ إعجازها المتفرد في الألفاظ والمعاني والدلالات، فإننا لن ننسى ما تفردت به لغة القرآن من اتساق أسلوبه في تراكيب جملها بأنواعها المختلفة، وهذا ما سيتم تناوله بالمبحث التالي إن شاء الله.

## المبحث الرابع

### الأسلوب القرآني في تنوع الجمل والتآلف بينها

اتسمت لغة القرآن الكريم بالتمازج الأسلوبية بين أنواع الجمل الثلاث الفعلية والاسمية وشبه الجملة، وكل منها يؤدي وظيفة تتناسب تدفق المعاني ويسطها دون إحساس المتلقي القارئ أو المستمع بأي فجوة، أو جفوة، أو تعقيد لفظي، أو معنوي، أثناء التلاوة، وإذا أردنا أن نقدم أمثلة على ذلك من القرآن الكريم فإننا أمام واحة فيحاء مليئة بأطياب الثمر التي كلما ذقت حلاوتها نادى مُناد من داخلك هل من مزيد؟

فمثلا سورة (ق) المكية، وسورة (الطور) المكية اتسمتا بذلك التنوع في الجمل تنوعا شيقا وسلاسة في الترتيب والتنسيق ومخارج الأصوات، وموسيقى الجرس الصوتي مع الراحة النفسية التي يستشعرها المتلقي، فمثلا نجد في سورة [ق]، يقول تعالى: ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ . بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ [ق: ٢]، فالمتأمل في سورة [ق] وآياتها كلها يلاحظ أن الجملة الاسمية قاطعة الدلالة في صدر السورة؛ لغلق الباب أمام المشككين من الكفار وغيرهم.

﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ وعندئذ لا مشكلة عند كل مسلم موقن بذلك، لكن المشكلة تكمن عند كفار مكة الذين لم يُعجبهم ذلك، فقال الله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِّنْهُمْ﴾، فهذه الجملة الافتراضية تفيد مدى العنت لدى الكفار الذين كان يتوقع أن يكون رد فعلهم هو

المسايرة وليس المغايرة؛ حيث يفرحون بأنَّ فيهم نبيا يعرفونه، ويتخذونه بين الأمم فبدل أن تقولوا: هذا شيء جميل فريد، وإنه شيء عظيم فإذا هم يقولون: هذا شيء عجيب!

وعندما نقرأ هذه الآيات مع نفسك تراها جميلة الإيقاع سريعة الفهم فإنها فعلية، وكونها اشتملت على ألفاظ فعلية، تعكس جانب الحركة والتفاعل من جانب الكفار عند نزول القرآن العظيم ولم يقتصر رد فعلهم على ذلك، بل اعترضوا بجملة استفهامية أخرى في منتهى الغرابة والسطحية والتقلت منهم إذ قالوا: ﴿أَيُّدَا مِثْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ [ق:٣]، والسؤال في الآية الكريمة السابقة هو اعتراض لأجل الاعتراض دون منهجية في الموضوع المتصل بصدر السورة الكريمة، يقول تعالى: ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾، وعودا إلى قوله تعالى على سبيل المحاجاة والاعتراض والتعنت ﴿أَيُّدَا مِثْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾؛ فلم ينكروا ثبوت سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وإنما أنكروا البعث بعد الموت، وهو في حدِّ زعمهم: ﴿رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾، ولكنه عند الله شيء يسير، يقول تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم:٢٧]، ومن المؤكد أنَّ الله تعالى سيصدع رعوسهم بردٍ عقلي وليس إيمانيا عقائديا فما دامت العقيدة مضطربة فإن الحوار ينبغي أن يكون على سبيل المحاجاة، فقال تعالى في الرد عليهم: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾ [ق:٤]، فجاء الرد عميقا قويا مزلزلا أنهم سيموتون وستتحلل أجسادهم بفعل الأرض أمهم، وأنَّ الله تعالى يعلم ما تأكله الأرض من أجسادهم وكل هذا في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى، مصداقا لقوله تعالى: ﴿قَالَ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ [طه:٥٢]، فهل يستطيعون الرد على هذه الجملة القرآنية الدافعة لعقولهم الكاشفة لزيف اعتقادهم؟ فهل يعلمون أنَّ الأرض التي تأكل من أجسادهم لها ذاكرة وتخزين لما استقر فيها من ثراهم، فإذا كان الله تعالى جل جلاله قد أعلمهم أنَّ الأرض ستعيد ما أخذته مرة ثانية منهم عندما يقوم الناس لرب العالمين، فهل سيقتنعون بهذا؟!

إلا أنهم للأسف لم يفتنعوا - كذلك - والدليل قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيحٍ﴾ [ق:٥]، وهذا هو الاستخدام الآخر للجملة الإضرابية ﴿بَلْ كَذَّبُوا﴾، وجعل الله تعالى الآخرة حقا، والإيمان بها واجبٌ أوجب، ومن لم يؤمن بها ويؤمن بتفاصيلها فهذا هو الكفر بعينه والتردد والاعتراض فهم في أمر مريح، وهكذا ردَّ القرآن الكريم على

إنكارهم البعث بأكثر من أسلوب عقلي صادم لهم، وكانت اللغة برشاقتها وجمالها هي الأداة التي تقنع المؤمنين، وترد زيف المدّعين.

والظاهر من سياق الآيات أن كلمة الحق هي الآخرة، ولكننا إذا أعدنا التأمل وجدنا أنّ كلمة [الحق] يمكن أن يُراد بها القرآن الكريم الذي قال الله عنه: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ [الإسراء: ١٠٥]، وكما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا لَلَّهِمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَّا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢]؛ فكلمة [الحق] - هنا - قد يُراد بها القرآن الكريم أو النبي العظيم صلى الله عليه وسلم، وكل هذه المعاني قريبة المنال، ولها تأصيلها القرآني ولا تعارض بينها.

ثم كان الانتقال العجيب إلى الجملة الاستفهامية التي تفرز موجبات الإيمان التي لم يحققوها بالنظر في الآيات الكونية، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦]، وهذا استمرار في الرد عليهم بأسلوب تفرعي شديد وقد ناسب ذلك استخدام لغة الاستفهام، والمعنى - هنا - ربطيّ وتشويقيّ وإعجازي وفيه نقلة فكرية وقلبية عجيبة وكأن المعنى إذا كنتم أنكرتم قدرة الله في إحياء الموتى، فهل تتكرون قدرته في خلق السموات دون أن تكون - هناك - سموات دون مثال سابق، فكيف - إذا - أنشأها الله تعالى وبنّاها؟!

فانظر إلى قوله تعالى: ﴿كَيْفَ بَنَيْنَاهَا﴾، ثم قوله: ﴿وَزَيَّنَّاهَا﴾، ثم قوله: ﴿وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾، فهل يقدر على هذا غير الله عز وجل؟ وهل نظروا لكي يعتبروا؟ وهل اعتبروا لكي يؤمنوا؟!

وللأسف فهم لم يعقلوا ولم يسمعوا ولم يفهموا، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠]، فعقابهم الله عز وجل بتعطيلهم حواسهم عن النظر والاعتبار بظاهر قدرة الله عز وجل، وعندما عطلوا حواسهم إلى النظر في السماء فإنهم عطلوا حواسهم - كذلك - عن النظر والاعتبار في قدرته تعالى في خلق الأرض، يقول تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [ق: ٧].

وقدرة الله تعالى واضحة ظاهرة، ورغم بدهة ظهورها ووضوحها فإنهم يجحدونها وينكرونها، فالسموات تملأ الكون بعظمتها وعلوها وسقفها المحفوظ، ولكنهم معرضون عنها،

كما قال الله تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥].

ولو أنهم تأملوا قوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧].

إن آيات عظمة الله في الأرض التي جردها فصلها القرآن تفصيلاً لمن كان له قلبٌ أو ذرة من إيمان، قال تعالى مُفصلاً نعمه وقدرته في خلق الأرض: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [ق: ٧]، والملاحظ أن هذه الجمل الثلاثة تتكلم عن قضايا كونية لا ينهض بها إلا الخالق سبحانه وتعالى، وهذه الآية الكريمة تتسجم مع نظائرها في الذكر الحكيم كمثل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ [الرعد: ٣]، وفي مثل قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات: ٣٠].

كما نلاحظ في هذه الجملة الفريدة أنها تحولت من الجملة الاسمية ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَا﴾ إلى الجملة الفعلية: ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾، والجملة الفعلية: ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾، وهذه الآية مثالٌ جميلٌ على التعانق بين الجمل الاسمية والفعلية في القرآن الكريم وفي التمازج العلائقي بين الكلمات التي دخلت في [المساواة] فلا هي إلى الإيجاز ولا هي إلى الإطناب، ويبدو ذلك في وصف الأرض بالمد أو الدحو ووصف الجبال الرواسي بالإلقاء، ثم ظاهرة الإنبات التي تحول اليبس إلى خضار، ويبدو ذلك التحول في حركة [الإقلاب]، و﴿وَأَنْبَتْنَا﴾ فأفادت حركة الإقلاب، والتحول في طبيعة الأشياء، وفي طبيعة الأرض التي كانت سوداء قاحلة.

ثم ما استقر فيها من الخيرات من كل زوج بهيج، ومن هذه الخيرات قدرته عز وجل أن جعل الأرض مهادا وقرارا؛ فهي الكوكب الوحيد الذي تدوم عليه حياة، يقول تعالى: ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بِلَ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ . أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

وما ذكره الله عز وجل حول الأمور الثلاثة السابقة، وهي:

[١] قدرة الله في البعث.

[٢] قدرة الله تعالى في خلق السموات وبنائها وزينتها.

[٣] مد الأرض، وبسطها، ودحوها وقدرة الله تعالى، وعظمته في ذلك.

نخلص في النهاية بالإقرار بمدى إعجاز القرآن وتفرد في جمعه الأمور الثلاثة الماضية في آية واحدة متفردة في ختام رائع ومبهر في قوله تعالى: ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ [ق:٨]؛ أما التبصرة فإنها واضحة في خلق السموات والأرض وضرورة النظر العيني والاستبصار القلبي فيما خلق الله عز وجل، يقول تعالى: ﴿قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس:١٠١].

هذا عن أسرار الإعجاز عن قوله تعالى: ﴿تَبْصِرَةً﴾ التي جاءت للتأكيد على ضرورة التبصر والاعتبار في خلق السموات والأرض، أما قوله تعالى: ﴿وَذِكْرَى﴾ فإنها تُرجعنا إلى قوله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾ [ق:٤]؛ فالذكرى - هنا - تتمثل في كون الأرض التي عاشوا عليها وماتوا فيها سيبعثون فيها من جديد، كما أن هذه الأرض تمتلك ذاكرة خاصة بها تسجل كل شيء فيها.

قال تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه:٥٥]، وما دام الناس قد آمنوا بالأولى، وهي: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ﴾، وآمنوا بالثانية، وهي: ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ يعني الموت، فلماذا - إذن - لا يؤمنون بالمرحلة الثالثة، وهي المتمثلة في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾، وهذا الذي نفهمه من قوله تعالى: ﴿وَذِكْرَى﴾؛ فالموت ذكري لهم وأكل الأرض أجسادهم، وبقاء (عُجْبُ الذَّنْبِ)، أليس هذا ذكري وعبرة لهم ولغيرهم؟!

لكن الجميل في الآية الكريمة هو أن الله تعالى قصر الألفاظ والاعتبار على كل عبد منيب، وليس على كل العباد، أي أن الآيات الكونية موجودة ومحشودة أمام الجميع ولا يفقهها إلا أهل البصر والبصيرة الذين يزداد إيمانهم بطول تأملهم وتدبرهم في الملك والملكوت ولسان حالهم ومقالهم قوله عز وجل: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران:١٩١]، ويقف الإنسان منبهراً مشدوهاً أمام هذه الآية الجامعة لمعاني الانتفاع بالآيات الكونية في تحقيق معنى الإيمان.

والجديد في أسلوب القرآن ولغته ومنطقه في قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾؛ أن الله تعالى قد جمع لكل مستبصر بالآيات الكونية بين صفتين، وهما: [العبودية والإنابة]، وهذا قرار بعيد لا يعرفه إلا أهل العلم وذوي الأبواب فإن المسلم لا يصل إلى مرحلة العبودية الحقة إلا إذا عاش مظاهر العظمة والقدرة لله عز وجل؛ فالعبودية تستلزم حضور القلب في

استحضار عظمة الرب سبحانه وتعالى فيكون عبداً مربوطاً بالكتاب الناطق، وهو الكون فإذا وصل إلى مرحلة العبودية الصادقة يكون قد وصل إلى مرحلة الإنابة، والإنابة - هنا - فيها معنى التذكر والمعاشية التي تحقق الإيمان الذي تترتب عليه قوة العبادة وصحة اليقين ومداومة الإخبات في العبادات، يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ [الزمر: ١٧].

### المبحث الخامس

### السياق والنسق في الأسلوب القرآني

#### مدخل:

إن دراسة السياق والنسق القرآني لاقت اهتماماً من المفسرين قديماً وحديثاً، فقد عنوا بدراسة السياق القرآني.. يقول الشيخ عز الدين بن عبد السلام: "السياق مرشد إلى تبيين المجملات، وترجيح المحتملات، وتقدير الواضحات، وكلُّ ذلك بعُرف الاستعمال، فكل صفة وقعت في سياق المدح كانت مدحاً، وكل صفة وقعت في سياق الذمِّ كانت ذمّاً، فما كان مدحاً بالوضع، فوقع في سياق الذم، صار ذمّاً واستهزاءً وتهكماً بعرف الاستعمال، مثاله: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [سورة الدخان: ٤٩] ، أي: الذليل المهان؛ لوقع ذلك في سياق الذم، وكذلك قول قوم شعيب: ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [سورة هود: ٨٧]، أي: السفیه الجاهل؛ لوقعه في سياق الإنكار عليه<sup>(١)</sup>.

#### أهمية دراسة السياق القرآني:

١- إن تفسير النصوص بعضها بعضاً تعتمد على استقراء النصوص (سياق القرآن) منها: تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة<sup>(٢)</sup>.

٢- تفسير النصوص بالقرائن والأحوال، ويبدو ذلك في أقوال الصحابة في التفسير؛ لأنهم شاهدوا التنزيل وعرفوا القرائن والأحوال، وهذا في سياق الموقف<sup>(٣)</sup>.

(١) الإمام في بيان أدلة الأحكام، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، تحقيق: رضوان مختار بن غريبة، دار البشائر الإسلامية، بيروت لبنان، ط١، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، ج١، ١٥٩ - ١٦٠، وبدائع الفوائد، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، تحقيق: هشام

عبد العزيز وآخرون، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م، ج٤، ص٨١٥.

(٢) دلالة السياق وأثرها في التفسير، ردة الله بن ردة بن ضيف الله، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٤هـ ص١٠٦.

(٣) دلالة السياق، ص١٠٦ - ١٠٧.

- ٣- ومن معرفة القرائن والأحوال يعين على معرفة أسباب النزول لأهميتها عند المفسرين، باعتبارها معينا على فهم المراد من الآية.
- وذكر الزركشي فوائد معرفة أسباب النزول، ومنها:
- أ- معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم.
- ب- تخصيص الحكمة عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب.
- ت- الوقوف على المعنى<sup>(١)</sup>.
- ٤- إن السياق القرآني مهم عند المفسرين في حلّ الخلاف والإشكال والتشابه اللفظي في الآيات، والسياق من أعظم القرائن في الترجيح؛ لأن المفسرين تناولوا القرآن من الناحية اللغوية والدلالية في تحليل النص (الآية - السورة) من الناحية اللغوية (صوتية و صرفية ونحوية)، ومن الناحية الدلالية (لفظية وتركيبية وأسلوبية) (معاني وبيان)<sup>(٢)</sup>.
- ٥- يقول ابن القيم: "السياق يرشد إلى تبيين المجمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق وتتوع الأدلة، قال تعالى: {ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ}<sup>(٣)</sup>، فتجد السياق يدلّ على أنه هو الذليل الحقير، وليس العزيز الكريم<sup>(٤)</sup>.
- ٦- والسياق والنسق هو الدال على المناسبات والكاشف لأسرار التعبير، وإن بين الآيات وبين السور هو دراسة نصية السياق فيها، ويظهر ذلك بوضوح فيما سمي بعلم المناسبات.
- ٧- وتأتي أهمية السياق والنسق القرآني في فهم المعنى؛ وذلك لأن الكلمة تكتسب مدلولها من السياق، وأن النظم يتوخى معاني النصوص، وأحكامه ووجوهه، فيما بين معاني الكلم، ولا يُتصور أن تفنقر المعاني المدلول عليها بالجملة المؤلفة إلى دليل يدل عليها زائد على اللفظ، لأنه لا يمكن فهم أية كلمة بمعزل عن الكلمات الأخرى ذات الصلة بها<sup>(٥)</sup>.

(١) البرهان في علوم القرآن" الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية بمصر، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م، ط ١، (٢٢/١) ..

(٢) دلالة السياق، ص ١١٠.

(٣) سورة الدخان: ٤٩.

(٤) بدائع الفوائد، ابن القيم الجوزية، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢، ٢٠١١م، (٩/٤-١٠).

(٥) دلائل الإعجاز، لعبد القاهر الجرجاني، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط ١، ١٩٩٥م، ص ٣٨٢، ٣٨٥، وفي النص الأدبي. دراسة أسلوبية إحصائية، سعد مصلوح، المكتبة العربية بيروت، ط ٢، ٢٠٠٦م، ص ٦٧.

## ومن أنواع السياق:

**السياق العاطفي:** وهو الذي يحدد درجة الانفعال قوة وضعفاً، وسكوناً، إذ يختار المتكلم الكلمات ذات الشحنة التعبيرية القوية إذا تحدث عن أمر فيه شدة انفعال، فهو يتولى الكشف عن المعنى الوجداني، ويحدد طبيعة استعمال الكلمة بين دلالاتها الموضوعية ودلالاتها العاطفية، بمعنى استعمال الكلمة في غير معناها الموضوعية هي له، لباعث عاطفي، كاستخدام لفظ "يود" فهو غير لفظ "يُحب"، على الرغم من اشتراكهما في أصل المعنى، وهو الحب، فإن مضمونهما العاطفي متفاوت، ومثل "يكره" و "يبغض"، ويسمى المفهوم المعنوي بنوعية السياق المقاصدي<sup>(١)</sup>.

فلا يمكن فهم اللغة وقوانين تطورها بمعزل عن حركة المجتمع الناطق بها في الزمان والمكان المعينين؛ لأن فيها من الإنسان فكره، وطرائقه الذهنية، وفيها من العالم الخارجي تنوعه وألوانه، كما صحب هذين القسمين أداء صوتي خاص يشحن المفردات بمعانٍ انفعالية، وقد تصاحبُ الكلام إشارات وإيماءات خاصة، ترمز إلى مثل هذه المقاصد، وهذا الاعتبار يقوم على أساس التشابك العلائقي القائم بين النص، والمتعرض دوماً للتغيير والتحوير، في البنى المعجمية والتركيبية الخاصة به؛ مما أدى إلى تحديد دلالة الكلمة، يحتاج إلى تحديد مجموعة السياقات الواردة فيها، فيجعلها تتكئ على عدة مفاهيم أخرى، مثل: (الوضع) و(الاستعمال) و(المقام التواصلية)، مما يساعد على إنتاج تلك الدلالة<sup>(٢)</sup>.

كما تتنوع السياقات باعتبار النظم اللفظي للكلمة، وموقعها والقرائن والأحوال، يتقسم إلى:

### ١ - السياق اللغوي، (سياق النص):

هو النظم اللفظي للكلمة والبيئة اللغوية للنص من مفردات وجمل وخطاب، المحيطة بالعنصر اللغوي، مثل قوله تعالى: {بَلْ مَلَأَ إِبْرَاهِيمَ حَنِينًا} [سورة البقرة: ١٣٥]، حذف الفعل "نتبع" والذي يقدر فعلاً ناصباً لـ "ملة"، إذ يستعين بالسياق السابق للآية نفسها كأنه قيل لهم: اتبعوا، حين قيل لهم: {كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى} [سورة البقرة: ١٣٥]<sup>(٣)</sup>.

(١) مجلة الإحياء، العدد ٢٥، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م، أثر السياق في فهم النص القرآني، عبد الرحمن بو درع. ص ٧٥.

(٢) البيان في سياق بلاغة النسق القرآني، ص ٣٠ نقلاً عن أرشيف مجلة الفصح، ٣: ٣٦٨٦٣.

(٣) البيان في سياق بلاغة النسق القرآني، ص ٣٢.

ويحلل السياق اللغوي وفق مستويات لغوية مختلفة، كالمستوى الصوتي، ويدخل فيه النبر، والتنغيم والمستوى الصرفي والمعجمي، والمستوى النحوي "التركيبية"، والمستوى الدلالي، وهذا المستوى الأخير هو الركن الرئيس في النظرية السياقية، وخاصة في التفسير القرآني<sup>(١)</sup>، إذن فالسياق اللغوي هو حصيلة استعمال الكلمة داخل نظام الجملة<sup>(٢)</sup>.

## ٢ - سياق الموقف:

وهو القرائن والأحوال الخارجية التي تحيط بالكلام من ظروف وملابسات، والبيئة غير اللغوية التي تحيط بالخطاب، وتبين معناه، وتشمل القرائن والأحوال، أو البيئة زمن المحادثة ومكانها والعلاقة بين المتحادثين، والقيم المشتركة بينهما، والكلام السابق للمحادثة، وسياق الموقف يحدد العلاقة بين موضوع التركيب والأسلوب الذي جاء عليه<sup>(٣)</sup>، ويقرب مفهومها من "دلالة الحال" عند النحاة.

وسياق الموقف نجده ممثلاً في علم المخاطب بغرض المتكلم وموضوع الكلام، حيث يستعان بعناصره في فهم الكلام بعد إنتاجه، وهذا النوع من السياق نجده متمثلاً فيما عُرف "بأسباب النزول" لأنه تحكمه قرائن الأحوال، وإشارات وحركات، ومن أمثلة ذلك: إلقاء التحية بعبارة: السلام عليكم، أنه قد يريد بها التحية فقط، أو تمهّد لكلام بعدها، قد يكون عتبا، أو تشجيعاً على أمر، أو ثناء.

## مستويات السياق اللغوي في النص القرآني:

### أولاً: المستوى الصوتي:

هناك علاقة بين الصوت والدلالة في اللغة العربية أظهر مما في اللغات الأخرى؛ لأن اللغة نظام من الرموز الصوتية، التي تقوم على مجموعة من العلاقات والقواعد، والعناصر المتوافقة فيما بينها، وإن دراسة دور الأصوات في بيان المعنى يسمى في علم الأصوات العام بعلم وظائف الأصوات، ومعرفته من المسلمات في النظرية السياقية، والمستوى الصوتي يعدُّ من الملامح النطقية غير التركيبية المصاحبة للعملية الكلامية، والمشاركة في

(١) دلالة السياق، ص ٥٢ - ٥٣، والسياق والمعنى، عرفات فيصل المناع، مؤسسة السياب، ط ١، لندن، ٢٠١٣م، ص ١٣.

(٢) نظرية السياق، مرجع سابق ص ٨٢.

(٣) البنية الأسلوبية في التراكيب النحوية، مهدي حمد مصطفى عبد الله العاني، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب جامعة بغداد، بإشراف هدى محمد صالح الحديشي، ١٤٢٤ هـ، ٢٠٠٣م، ١٧٦/٨، والسياق والمعنى، ص ٢٥، ونظرية السياق، ص ٨٢.

أداء الرسالة اللغوية، وهذا المستوى له ظواهر أسلوبية مميزة في الكلام المنطوق<sup>(٢)</sup><sup>(١)</sup>، لذا فالمستوى الصوتي أو الدلالة الصوتية هو المعنى المستفاد من نطق ألفاظ معينة<sup>(٣)</sup>، وهو طريقة الأداء اللغوي المصاحب للمنطوق، والذي يسمى في الدراسات الحديثة: الفونيم، وهي: أ- النبر: وهو درجة أو قوة النفس التي ينطق بها الصوت، أو المقطع، والصوت معروف، أما المقطع فهو عبارة عن صوتين الأول صامت، والثاني صائت<sup>(٤)</sup>، والنبر يعني الضغط على مقطع معين من مقاطع الكلمة، فيعطي لها المقطع المنبور قدرًا من التمييز أو الوضوح السمعي، والذي يحمل بدوره قيمة دلالية كالانفعال أو الاهتمام أو التقرير أو التأكيد<sup>(٥)</sup>، أو هو الذي يترجم لنا المواقف الانفعالية التي تتطوي عليها نفسه أو هو ارتفاع الصوت وانخفاضه مراعاة للظروف المؤدى فيها<sup>(٦)</sup>.

**والنبر على ثلاث درجات:** النبر القوي، والنبر المتوسط، والنبر الضعيف، ويقوم النبر بوظيفة التمييز بين المعاني في داخل الكلمة ويعمل جنبًا إلى جنب مع التنغيم في التمييز بين الأساليب، لذا فهو ملمح من ملامح الكلمة أو عنصر من عناصرها التي تميزها عن غيرها، وتحيلها كلاً متكاملاً من حيث البناء والطلاء، وهو ضرب من التطريز، تأكيداً لقيمته النسبية في بنية الكلمة، وهذا التطريز لا يعني مجرد التجويد والتزيين، وإنما يعني فضلاً عن ذلك أنه عنصر يُكسب بنية الكلمة تكاملها، ويمنحها قواماً متميزاً خاصاً بها، الأمر الذي يجعل الكلمة وحدة متكاملة متسقة البناء والطلاء معاً، فيعد النبر مرتبطاً بقوة الصوت وعلوه، والنبر يقع في مقطع من المجموعة الكلامية<sup>(٧)</sup>.

(١) دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، خالد قاسم بن دومي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠٠٦م، ص ٧٣، والسياق والمعنى ص ١٤، ١٥

(٢) أخطاء اللغة العربية المعاصرة عند الكتاب، أحمد مختار عيد الحميد عمر، عالم الكتب بيروت، ط ١ ١٩٩٩م، ص ٤٠.

(٣) الدلالة الصرفية والصوتية في سورة يوسف، نادية رمضان النجار، نشر بكتاب المؤتمر العلمي التاسع لكلية دار العلوم، عنوان الكتاب: الإبداع والحرية في الثقافة العربية الإسلامية، عام ٢٠٠٧م، ص ١.

(٤) ٧٧. السياق والمعنى، عرفات فيصل المناع، مؤسسة السياح، ط ١، لندن، ٢٠١٣م، ص ١٥.

(٥) أصول النظرية السياقية الحديثة، ص ٤١، والنحو والسياق الصوتي، أحمد كشك، دار غريب للطباعة، ٢٣.

(٦) ٤٢. البيان في سياق بلاغة النسق القرآني، الأستاذ الدكتور عقيد خالد حمودي العزاوي، دار العصماء للنشر والتوزيع، سوريا، ٢٠١٦م، الطبعة الأولى ص ٣٦.

(٧) السياق والمعنى، عرفات فيصل المناع، مؤسسة السياح، ط ١، لندن، ٢٠١٣م، ص ١٦، ١٠٥. والمدخل إلى علم اللغة مناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٣، ١٧٤١٧هـ، ١٩٩٧م، ص ١٦٣.

ومثال النبر في قوله تعالى: {يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُ} [القيامة: ١٠]، فلفظة "المفر" موضع النبر فيها يغير معنى الكلام كاملاً، فإذا كانت النعمة هابطة عند النطق بالكلمة "مفر" بحيث تنتهي بحرف الراء، فإن المعنى ينقلب تماماً "مفر" وبالتالي لا بد لقارئ القرآن الكريم أن ينتبه إلى أن يكون النبر صاعداً عند النطق بالفاء وينتهي بالراء: م ف ر<sup>(١)</sup>.

وقد يكون رسم الكلمة واحداً إلا أن النطق يختلف، مثل: "الم" و"ألف لام ميم"، الأحرف المقطعة، على اعتبار الهمزة للاستفهام و"الألم" من الإيلام، فالنبر وحده هو الذي يحل هذا الإشكال. ومثاله في قوله تعالى: {امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا} [يوسف: ٣٠]، فيكون النبر على "امراة"، ويكون المعنى كما يلي: امرأة متزوجة محصنة وتفعل فعلتها تلك! هذا أمر شنيع، والنبر أيضاً على "العزير" ويكون المعنى: امرأة العزيز تفعل ذلك! هذا أمر شنيع، وحول النبر إلى تراود فيكون المقصود كما يلي: المعتاد عن بني آدم، وحتى عند الحيوان أن يكون الذكر هو الطالب للأنثى، وكذلك في لفظة: "فتاها": فما أشنع ما قامت به امرأة العزيز! وفيه معنى لا يخفى على أحد، لو راودت - مثلاً - شاباً أو رجلاً من طبقتها.

ولذا انصهر في النصوص القرآنية الشكل مع المضمون، والصوت مع الدلالة، فانتظمت الأصوات في سياقات تركيبية مناسبة، فاكتمت قوة ومتانة وقدرة إيحائية وتعبيرية خاصة<sup>(٢)</sup>.

ب- **التنغيم**، ويعني: الإطار الصوتي الذي قيدت به الجملة في السياق<sup>(٣)</sup>، وهو أيضاً رفع الصوت وخفضه في أثناء الكلام، للدلالة على المعاني المختلفة للجملة الواحدة<sup>(٤)</sup>.

وهو عبارة عن تتابع النغمات الموسيقية أو الإيقاعات في حدث كلامي معني<sup>(٥)</sup>.

(١) السياق والمعنى: عرفات فيصل المناع مرجع سابق ص ١٦.

(٢) دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، خالد قاسم بن دومي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠٠٦م، ص ٢٢٠، ٢٢١.

(٣) الدلالة الصوتية والصرفية في سورة يوسف، ص ٩، واللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان عمر، عالم الكتب، ط ٥، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م. ص ٢٢٦.

(٤) المدخل إلى علم اللغة مناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٣، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م، ص ١٦٤.

(٥) أسس علم اللغة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط ٨، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م، ص ٩٣.

ولكل أسلوب نغمته الخاصة التي توضح الفرق بين الجمل الخبرية والإنشائية والاستفهامية، لذا هو تغيرات موسيقية تتناوب الصوت من صعود إلى هبوط، أو انخفاض إلى ارتفاع، لغاية أو هدف حسب المشاعر والأحاسيس التي تنتابها من رضا أو غضب، ويأس أو أمل، تأثير أو لا مبالاة، إعجاب أو استقهام، شك أو يقين، نفي أو إثبات، فهو تنويعات صوتية تكسب الكلمات نغمات موسيقية متعددة، ويعد من قرائن التعليق اللفظية في السياق<sup>(١)</sup>، فالوظيفة الصوتية للتغيم هي النسق الصوتي، الذي يستتبط التغيم منها بيان وتوضيح الدلالة من خلال التغيم العام للمقطع في النموذج الفني، فهو يعد وسيلة للتمييز بين المعاني، ويجلي النص ويوضحه ويبين مقاصد الكلام، وهو أكثر إيصالا للمعنى.

فالتغيم له دور في الأداء الصوتي والتناسب التركيبي في بيان الدلالة، وهو قمة الظواهر الصوتية، التي تكسو المنطوق كله، وتتخلل عناصره المكونة له، وتكسبه تلوينا موسيقيا معينا، بحسب مبناه ومعناه، وبحسب مقاصده التعبيرية وفقا لسياق الحال أو المقام<sup>(٢)</sup>.

وهذا ما يفسر لنا قلة اختلاف النحويين والبلاغيين في النص القرآني، لسماعهم إياه من القراء بنبره وتغيمه ووصله وفصله، لأن فيه صفة إيقاعية وانسجاما موسيقيا بين مقاطع الكلمات، ومن ذلك قوله تعالى: {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا} [الإنسان: ١].

فلا اختلاف في أن الأداة "هل" تفيد التحقيق؛ لأنها بمعنى "قد" وهذا الأسلوب خبري لا إنشائي، والذي رجح هذا المعنى هو سماع هذه الآية من القراء بالتواتر، فمعرفة التغيم أو الأداء يعين كثيرا في تحديد الأسلوب<sup>(٣)</sup>.

ومن الملفت للنظر وبخاصة لقارئ القرآن الكريم أنه يجد دقة المستوى الصوتي على مسائل كثيرة، لعل أهمها مسألة المتقابلات في الظاهرة الصوتية، ونعني بها أن في القرآن ألفاظا ترد في نسق صوتي معين في بعض السياقات، وترد على نمط صوتي آخر، في سياق آخر أو سياقات أخرى، نحو: "يشاق"، و"يشاقق"<sup>(٤)</sup>.

(١) الدلالة الصوتية والصرفية في سورة يوسف، ص ٩، وعلم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمد السعران، دار الفكر العربي، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٧ ص ١٦٠.

(٢) السياق والمعنى، عرفات فيصل المناع، مؤسسة السياب، ط ١، لندن، ٢٠١٣، ص ١٦، ١٠٥. والمدخل إلى علم اللغة مناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٣، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م، ص ١٦٣.

(٣) السياق والمعنى، عرفات فيصل المناع، مرجع سابق، ص ١٩.

(٤) دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، خالد قاسم بن دومي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠٠٦م: ص ١٦٣.

## علاقة النبر بالتنغيم:

إن النبر يكون على الكلمة وحدها، ودلالته صرفية والتنغيم يكون على مستوى الجملة ومجاله التراكيب التي كونتها الكلمات داخل السياق، فالنبر صنو التنغيم، مثالا على الفونيم الثانوية، فلا يكون جزءا من تركيب معين للكلمة الواحدة، كالفونيم الرئيسية، فالنبر يكون بزيادة كمية من الهواء على صوت أو أكثر من أصوات الكلمة في التركيب الواحد، فيعلو على بقية الأصوات الأخرى، التي تشكل مقاطع الكلمة، فيحدث التفاوت قوة وضعفا بين الأصوات، فالصوت الذي ينطق أقوى يسمى صوتا منورا، وهو قوة التلطف، وتؤثر درجة النبرة في طول الصائت وعلو الصوت، وللنبر أثر في تغيير بنية الكلمة من معنى صرفي إلى آخر.

فلو نطقنا كلمة "كذَّب" بفتحة على عين الفعل لوجدت أن الأصوات متساوية فيها نبرا، ولكن إذا ما نطقنا بـ"كذَّب" بالتضعيف، فإن عين الفعل تفاوتت في النبر عن الأصوات الأخرى، مما جعله ينقل الكلمة إلى بنية أخرى ذات دلالة معينة، فتغيير الصفة الصرفية يؤدي إلى نوع من التغيير في الوظائف النحوية والدلالية، ومن هنا جاءت أهمية النبر والتنغيم، فبينهما صلة وثيقة، فلا يحدث تنغيم دون نبر، لأن التنغيم تغيرات موسيقية تتأوب الصوت من صعود إلى هبوط، أو من انخفاض إلى ارتفاع، فهذا التغيير النغمي يقوم بدور كبير في التفريق بين الجمل، فهو حَكَم في دلالات التراكيب والجمل.

## ثانيا: المستوى الصرفي والمعجمي:

المستوى الصرفي يعنى بدراسة الكلمة المنفردة، وما يعترىها من ظواهر صرفية معروفة، وهي أبنية الصيغ المكونة لأسلوبنا، أي: مجال انتقال المفردات وتغيرات دلالتها وتغير بنيتها الصوتية، ما يحدث فيها من اشتقاقات وإسقاط وحذف وتسكين، أو إدغام، أو إبدال، أو إعلال، أو دمج، وتبادل بين الحركات يؤدي إلى تفريق صرفي وظيفي؛ فتنتمي صيغة ما إلى جنس صرفي معين، ويتغير مجال انتقالها، أو إحدى حركات هذه الصيغة إلى جنس صرفي آخر<sup>(١)</sup>.

(١) السياق والمعنى، ص ٢٠، ودراسات في علم اللغة، كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر، مصر، ط ٢، ٢٠٠٢م، ٢٠١، ٢٠٢.

والمستوى المعجمي وهو الدلالة الأساس التي تأخذها من الألفاظ الظاهرة على المعنى، إذ يعد من العوامل الرئيسية في فهم النص، سواء كان مسموعاً أو مقروءاً، فنجد لكل كلمة في اللغة دلالة معجمية مستقلة عن الدلالة الصرفية أو الصوتية أو النحوية، وهذه الدلالة متصلة بالمعنى الأساسي أو الأولي أو المركزي<sup>(١)</sup>.

وتلجأ اللغة إلى صنع الكلمات من أساسها من خلال هذا النظام الصرفي على ألفاظ جديدة بتوليد مفردات جديدة من المواد اللغوية فتتطور الدلالة المعجمية وفق ذلك النظام، والدلالة المعجمية أو المعنى المعجمي هو ذلك المعنى الذي تدل عليه الكلمة المعجمية، ويُسمى: المعنى المطلق، أو المعنى العرفي الذي أعطي للكلمة ويصلح أن يسجله المعجم، والعلاقة بين الكلمة ومدلولها هي تلك العناصر اللغوية التي تعبر عن ماهيات التصورات<sup>(٢)</sup>، واتخاذ الكلمات المعجمية مراكز ضبط في حل المشكلات في النص إنشاءً وتحليلاً، لأنها تترايط في الجملة من حيث هي ذوات دلالات مفهومية في الشكل<sup>(٣)</sup>.

فقوله تعالى: {وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبِّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ} [فاطر: ٣٧] والمعنى في لفظة "يصرخون" غير المعنى في لفظة "يصرخون"، لأن الاصطراخ بمعنى الاستغاثة والصياح<sup>(٤)</sup>، وصياح مع جهد ومشقة، وزيادة التحسر على العمل غير الصالح، فضلاً عن طلبهم الاستغاثة، فلا يجدون ما يطلبون، فيتبين أن تغيير المبنى من كلمة "يصرخون" إلى "يصرخون" قد غير المعنى السياقي اللغوي لهذه الآية، مما أدى إلى تأثير ذلك على القارئ أو السامع لهذه الآية<sup>(٥)</sup>.

### ثالثاً: المستوى التركيبي "النحوي":

إن وظيفة اللغة هي التوصيل أو التعبير بواسطة الأصوات الكلامية المؤتلفة في كلمات، حيث تنتظم في ترتيب معين، ومنها ذوات الصيغ المعجمة، ومنها ما لا صيغة له "الضمائر

(١) السياق والمعنى، مرجع سابق ص ٢١.

(٢) دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير، عبد الحكيم بن عبد الله القاسم، ط ١، دار التدمرية - الرياض، ١٤٢٥ هـ ص ٢٨٩.

(٣) المصدر السابق، ٢٩٦، ٢٩٧.

(٤) تفسير الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، تحقيق: أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي بيروت، لبنان، ط ١ ١٤٢٢ هـ،

٢٠٠٢ م، (١١٤/٨).

(٥) الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزخشي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، د.ت، د.ط، (٦١٥/٣).

وحروف الجر " وتحتل الأبواب النحوية الأهمية في ذلك، وتقوم الكلمات التركيبية الأخرى بتلخيص العلاقة بين هذه الأبواب، أو الدلالة عليها، فترتبط الكلمات بعضها ببعض، حتى تصبح، وهي متراسة أفقياً وسيلة لأداء المعنى الدلالي أو المفهوم<sup>(١)</sup>.

وهذا الترابط التركيبي النحوي هو النظم اللفظي للكلمات، والنظام أهم خاصية من خصائص اللغة؛ لأنه يحكم سلوك المتكلمين في استعمالهم للمفردات اللغوية، ولا وجود للغة بمجرد توافر المفردات، بل لا بد من وجود نظام يجمعها ويحميها ليكون لها وجود حقيقي فعلي، وواقع عملي، فالمستوى التركيبي يختص بقواعد اللغة التركيبية وبه نعرف نسق المعاني ونحدد أجزاءها، وبه أيضاً نربط بين معانيها، ولولا هذا النظام من العلاقات الشكلية والمعنوية التي تنظم النص لما كان ما نتكلم به كلاماً يعبر عن معنى<sup>(٢)</sup>.

والمستوى النحوي يرتبط بتنوع المقام والسياق؛ مما يؤدي إلى تنوع الأنماط التركيبية تبعاً لتعدد وظائفها الدلالية للتركيب النحوية يقتضي تتبع السياقات التي ترد فيها هذه التركيب، لأن التركيب بطبعها تفسح مجال الدلالة للألفاظ إذا انتظمت فيها، مما لا يكون هذا المجال لها وهي مفردة، لأن الكلمة المنفردة لا تحمل قيمة دلالية في نفسها إلا إذا تم تنسيقها<sup>(٣)</sup>.

والسياق النحوي يدرس البنية النحوية التي ترد فيها الكلمة بوصفها وحدة نحوية في كل متنسق، فحينما نتتبع ملازمة الفعل "أخذ" للفاعل "العذاب" في قوله تعالى: ﴿وَأَلَىٰ تَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذُرُّوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٧٣]، نجد أن الطرفين المتلازمين يشتملان على العناصر القصصية للسياق الدلالي لقصة ناقة صالح عليه السلام<sup>(٤)</sup>.

وهناك مصاحبات لغوية لا نكاد ننطقها إلا وتصحب معها ألفاظاً أخرى، مثل: "ريح عاصف" "نخلة باسقة" والنظام النحوي هو نظام تركيب المفردات للتعبير عن الدلالة، ويعتمد على النظام الصوتي والصرفي والدلالي.

(١) دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير، عبد الحكيم بن عبد الله القاسم، ط ١، دار التدمرية - الرياض، ١٤٢٥ هـ، ص ٤٠٢، ٤٤٥.

(٢) السياق والمعنى، عرفات فيصل المناع، مؤسسة السياب، ط ١، لندن، ٢٠١٣ م، ص ٢٢.

(٣) البيان في سياق بلاغة النسق القرآني، الأستاذ الدكتور عقيد خالد حمودي العزاوي، دار العصماء للنشر والتوزيع، سوريا، ٢٠١٦ م، الطبعة الأولى ص ٤٧.

(٤) ظواهر اسلوبية في القرآن الكريم - التركيب والرسم والايقاع، عمر عبد الهادي عتيق، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط ١، د.ت، ص ١٣٥، ١٣٦.

## رابعاً: المستوى الدلالي:

المستوى الدلالي للسياق هو التفاعل بين المادة اللغوية والسياق، لذا تبرز أوامر القربى بين المعاني المختلفة للمادة اللغوية، وتختلف قدرة السياق على اجتذاب معاني المادة اللغوية عن سياق آخر، وكلما كان المعنى السياقي عاماً، ازدادت قدرته على خلق التقاطع الدلالي بين المعاني للمادة اللغوية الواحدة وعموم المعنى المراد من السياق<sup>(١)</sup>.

والدلالة السياقية هي الدلالة التي يعيها السياق اللغوي وهو البيئة اللغوية التي تحيط بالكلمة أو العبارة أو الجملة، أو النص، والبحث عن المعنى أو الدلالة هو الركن الرئيسي في النظرية السياقية، وهو النتيجة الحتمية لدراسة المستويات الثلاثة المتقدمة، لأنه يشغل بتحليل المعاني المباشرة وغير المباشرة، والصورة المتصلة بالأنظمة الخارجية عن حدود اللغة، وهذا المستوى من مستويات دراسة العربية هو من أجل ما يعتني به المجتهد والباحث عن تفسير كلام الله تعالى وكلام رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، والفقهاء في العربية عبر مستواها الدلالي هو جناح المجتهد<sup>(٢)</sup>.

## فوائد وحدة النسق القرآني:

### ونجمل فوائد وأهمية وحدة النسق القرآني في النقاط التالية:

١- امتزاج الوجه الديني بالبناء الفني، ويبدو ذلك في أوائل القصص الواردة في السور القرآنية، وهذا يكون للتمهيد للقصة أو في أوائلها، كما في قوله تعالى: {لَنَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ} [يوسف: ٣]، وقوله تعالى: {وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ} [يس: ١٣]، وقوله تعالى: {كَذَّابٍ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} [آل عمران: ١١]، وقوله تعالى: {إِنَّا بَلَّوْنَاهُمْ كَمَا بَلَّوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ} [سورة القلم: ١٧]، وفي نهاية القصة غالباً تعقيب ديني يناسب العبرة فيها، والمقصود من ذكر القصة والهدف والغاية منها، فامتزجت الصورة في الوجه الديني والوجه الفني<sup>(٣)</sup>.

(١) المصدر السابق، ص ١٣٥ - ١٣٦.

(٢) السياق والمعنى، عرفات فيصل المناع، مؤسسة السياب، ط ١، لندن، ٢٠١٣م، ص ٢٤.

(٣) ٤٢. البيان في سياق بلاغة النسق القرآني، الأستاذ الدكتور عقيد خالد حمودي العزاوي، دار العصماء للنشر والتوزيع، سوريا، ٢٠١٦م، الطبعة الأولى، ص ٥٨٧.

٢- امتزاج الواقع المشهود بغرض السورة كما ورد من مشاهد ولوحات واقعية، فقد شملت مشاهد الكون كلها كالإنسان والحيوان والنبات والجماد، واختلطت في بعضها مشاهد السماوات والأرض، والأفلاك والأجرام والظل والشمس والقمر، وغير ذلك، فضلا عن ذكر أحداث ووقائع ونماذج من الحاضر والماضي، وهي ما وقع من أحداث بين الأنبياء وأقوامهم، إذ ورد في صورة قرآنية تستهدف العبرة، والوسيلة للتأثير على البيئة الجاهلية، ومن ذلك قصة ابني آدم، قال تعالى: ﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]، وطوفان نوح، قال تعالى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ (٤٢) قَالَ سَاوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾<sup>(١)</sup> [هود: ٤٢ - ٤٣].

٣- الصورة الحرة في نظام التعبير القرآني، وتأتي على هيئة وصف، أو مشهد، أو صورة حسية يدركها الذهن والخيال والمشاعر، التي تسهم في جلاء التجربة واستشعارها، والكشف عن أبعادها، وهي الصورة الحقيقية للنسق القرآني، والتي تنتقل من مشهد إلى آخر، ومن وصف إلى آخر، داخل السورة الواحدة، قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٢١]، فهنا استشعار حقيقي للخوف يكشفه التوكل على الله تعالى، والإخلاص وعدم اليأس من شدة الخطر، وقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٢٨]، فقد رسمت هذه الآية صورة حسية يدركها الذهن ويستشعرها القلب، ونجدها في "خائفا يترقب" وهي صورة نفسية انفعالية وذهنية، وفي "زحرج عن النار وأدخل الجنة" صورة حركية استشعرها الذهن وأثرت في قوى وإحساس الجسد، صورها الخيال ليحس بها المتلقي نفسه<sup>(٢)</sup>.

٤- الاستبصار بمقصود السورة القرآنية استجلاء لأسرار تكرار القصص واختلاف الآيات المتشابهة في التعبير، فإن كل سورة أعيدت فيها قصة في معنى غير الأول الذي سيقى إليه في السورة السابقة؛ فتختلف عبارات القصة وألفاظها بحسب الأغراض، وتتغير النظم بالتأخير والتقديم، والإيجاز والتطويل، والذكر والحذف، مع أنها لا

(١) نظرات في قصص القرآن، محمد قطب عبد العال، دار مصر للنشر، ط١، ١٩٨٨م، ١٣٨.

(٢) البيان في النسق القرآني مرجع سابق، ص ٦٤.

تخالف شيئاً من ذلك في أصل المعنى الذي تكونت به القصة؛ لأن القصة القرآنية إنما تساق لتفيد عبرة من العبر، أو كلمة ما، ودرس جديد ودلالات كثيرة<sup>(١)</sup>.

ومثال تكرار الآيات بما يناسب مقصود السورة، ذكر الله تعالى قصة زكريا ومريم عليهما السلام في سورة آل عمران، وسورة مريم، وفي كل سورة مقصدها من القصة مع مراعاة الإيجاز والإطالة وأسلوب التعبير والتعريض بين الآيات، ففي ذكر زكريا عليه السلام في سورة آل عمران، قال تعالى: {كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ} [آل عمران: ٤٠]، وفي سورة مريم قال تعالى: {قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا} [مريم: ٩]، وقال تعالى في سورة آل عمران في قصة مريم عليها السلام: {إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ} [آل عمران: ٤٥] وفي سورة مريم قال تعالى: {قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا} (١٩) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (٢٠) قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ} [مريم: ١٩ - ٢١]، فلأجل اختلاف مقاصد السور تغيرت نظم القصص وألفاظها وأساليبها بحسب المقصود، فمقصود سورة آل عمران: التوحيد وابتدأت بالتوحيد، وختمت بما بني عليه من الصبر وما فيه من عظمة التقوى، أما مقصود سورة مريم فكان: شمول الرحمة<sup>(٢)</sup>.

٥-مراعاة نسق السورة وطابعها الخاص على الأسرار البيانية المنطوية تحت الفروق اللغوية والتعبيرية البلاغية في السورة القرآنية، فنجد المعنى الواحد يرد في أكثر من سورة، ولكن بتعبير آخر يلائم سياقها؛ وذلك لأن الكلمات والمفردات والتراكيب تتجه برمتها لخدمة مقصود السورة القرآنية، وتتأثر في صياغتها وسبكها بروحها<sup>(٣)</sup>. ومثال ذلك قوله تعالى: {إِنْ تَبُدُّوا خَيْرًا أَوْ تَخْفَوْهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءِ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا} [النساء: ١٤٩]، وقوله تعالى: {إِنْ تَبُدُّوا شَيْئًا أَوْ تَخْفَوْهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا}، فالسر البياني في الفروق اللغوية يكمن في مقصود السورة، إذ يعزو التعبير بإبداء الخير في آية النساء إلى مناسبة الطابع العام الذي يغلب عليها، وهو طرق الخير وعمل البر، أما في الآية الأخرى

(١) الانتصار للقرآن، محمد بن الطيب الباقلائي، تحقيق: محمد عصام القضاة، دار الفتح، عمان الأردن، ط ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م، (٨٠٣/٢).

(٢) مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور، برهان الدين البقاعي، تحقيق: عبد السميع محمد أحمد حسنين، مكتبة المعارف، الرياض، ط ١، ١٩٨٧م، (١٥٢/١-١٥٣).

(٣) المتشابه اللفظي في القرآن ومسالك توجيهه عند أبي جعفر بن الزبير الغرناطي، رشيد الحمداوي، مكتبة اولاد الشيخ للتراث، د.ط، ٢٠٠٣م ص ١٠٢ - ١١٠.

فقد ذكر تعالى في السورة الطلاق، وكتمان القول، وتقوى الله وأمر الحجاب، والتبني واللعان، فناسب تعميم لفظة "تبدوا" بلفظة "شيئاً" بقوله تعالى: {إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا}، ومثاله أيضاً قوله تعالى: {كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ [آل عمران: ٤٠]}، وقوله تعالى: {كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ} [آل عمران: ٤٧] ففي الأولى تفويض الأمر والفعل كله لله، وفي الآية الأخرى تركز الحديث على خلق عيسى عليه السلام<sup>(١)</sup>.

٦- وتفيد وحدة النسق القرآني الأداء بتنوع أساليبه وظواهره، لتعطيه جمالية عالية بعيدة عن التكلف والملل؛ لأن التفنن في ضروب الفصاحة أعلى من الاستمرار على ضرب واحد، لهذا وردت بعض آيات القرآن متماثلة المقاطع وبعضها غير متماثل<sup>(٢)</sup>. وظهرت عناية النص القرآني بتنوع الأساليب، وظواهر التعبير كالحذف والذكر، والالتفات والتضمين والتكرار، وغيرها من الظواهر الأسلوبية، والدليل على تعدد الأساليب قوله تعالى: {وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفَدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [لقمان: ٢٧]، ومن أمثلة ذلك: أسلوب الشرط والأصل فيه أن يقع الشيء لوقوع غيره فيتوقف الثاني على الأول، قال تعالى: {فَإِنْ أَحْصَيْتُمْ مَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ} [البقرة: ١٩٦]، وقوله تعالى: {وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة: ٢٨٠]، وقد يخرج الشرط عن هذه العلاقة والأصل، فيكون الشرط والجزاء متقارنين في زمان، قال تعالى: {وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}، [البقرة: ١٤٩]، ومثال أسلوب الاستفهام الذي يأتي في فواتح السور متخذاً منحي التشويق لمعرفة المقصود، قوله تعالى: {أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ} <sup>(٣)</sup> [الماعون: ١].

ويكشف الاستعمال القرآني عن قوة دلالة "هل" على الاستفهام من الهمزة، ففي قوله تعالى: {قُلْ أَفَأَنْبِئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَُمُ النَّارِ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} [الحج:

(١) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المشابهة اللفظ من آي التنزيل، لأبي جعفر بن الزبير، تحقيق: سعد الفلاح، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٩٨٣ م. (١/٣٦١-٣٦٣)

(٢) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجي، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ٣، ١٩٨٦ م، ص ٣٨٩.

(٣) النسق القرآني دراسة أسلوبية، محمد ديب الباجي، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، ط ١، ١٤٣١ هـ، ٢٠١٠ م، ص ٤٠٦.

[٧٢]، وقوله تعالى: {قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ} [المائدة: ٦٠]، فاستفهم القرآن بهل والهمزة مع الفعل "تبا" والسياق بين أن هل أقوى من الهمزة<sup>(١)</sup>.  
**لقد استعرضنا في هذا الفصل أربعة مباحث وهناك مباحث أخرى وددت الإبحار في مياها الغامرة والعامرة بالأسرار النادرة والعجيبة التي لا تنتهي، "عجائب القرآن أطرن النوم من عيني" كذلك يقول محمد بن كعب القرظي رحمه الله تعالى.**  
 وددت أن أبحر في مباحث أخرى ، ومنها:  
 أولاً: إعجاز الأسلوب القرآني في الموسيقى الداخلية للآيات الكريمة.  
 ثانياً: إعجاز لغة القرآن في موسيقى العلاقات القرآنية بين الجمل والآيات.  
 ثالثاً: إعجاز لغة القرآن في النظم القرآني عند الإمام عبد القاهر الجرجاني.  
 رابعاً: إعجاز لغة القرآن في دراسة التوافق بين أوائل الآيات وخواتيمها، ودراسة اللغة القرآنية في أساليب النداء القرآني.  
 خامساً: إعجاز لغة القرآن الكرم في السرد القصصي في الجانب اللغوي والدلالي والبلاغي.

- سادساً: الإعجاز في لغة القرآن الكريم في وحدة المعنى.  
 سابعاً: الخصائص الفنية للسور المتشابهة صوتياً وإيقاعياً.  
 ثامناً: الإعجاز الأسلوبي في تعدد الصيغ والتراكيب في الموضوع الواحد.  
 تاسعاً: دراسة الإعجاز في لغة القرآن في الأسماء الحسنى في خواتيم الآيات.  
 عاشراً: الإعجاز الأسلوبي في تعدد الصفات للشيء الواحد لاختلاف السياق.  
 حادي عشر: سمات الأسلوب القرآني في المحكمات من آيات الذكر الحكيم.  
 ثاني عشر: سمات الأسلوب القرآني في المتشابهات من آيات الذكر الحكيم.  
 ثالث عشر: سمات الأسلوب القرآني في السور المكية مقارنة بالسور المدنية.  
 رابع عشر: سمات لغة القرآن الكريم في الصور البلاغية والبيانية.  
 خامس عشر: سمات القرآن الكريم في الصور غير البلاغية.  
 سادس عشر: الإعجاز الأسلوبي القرآني في الآيات المتصلة في أسباب النزول.  
 سابع عشر: روائع التقسيم الأسلوبي القرآني، مثل: ومنهم، وإن منها.  
 ثامن عشر: سمات لغة القرآن الكريم في آيات سجدة التلاوة في القرآن الكريم.

(١) معاني النحر، دفاضل السامرائي، بيت الحكمة بغداد، د.ط، ١٩٨٦م، ج٤، ص٦٢٢.

تاسع عشر: إعجاز الأسلوب القرآني في المقابلات القرآنية.  
 عشرون: سمات الأسلوب القرآني في المفصل بعد المجلد والمطلق بعد المقيد.  
 وهكذا تتوارد الأفكار والخواطر حول كنوز القرآن الكريم وأسراره، ولو أفنينا أعمارنا وأعماراً مع أعمارنا فلن نصل إلى قطرة من إعجازه ونقطة من أسراره، كلما أبحرنا وتأملنا وتعايشنا وصلنا إلى أن أسرار لغة القرآن الكريم عظيمة وعميقة الجذور لم يصل إليها باحث، ولن يصل إلى كنهها خبير، وفي كل يوم تتجدد أسرار لغته، ودقة معانيه، وسلاسة أسلوبه، وروعة بيانه.

وبعد أن تعرفنا على سمات الأسلوب القرآني وإعجازه في خواتيم السور وتنوع الجمل وتآلفها إلى غير ذلك، نتناول في الفصل التالي إن شاء الله تعالى ما يميز الأسلوب القرآني من خصائص وسمات.

## الفصل الثاني

### خصائص الأسلوب القرآني

المبحث الأول: ماهية خصائص الأسلوب القرآني

المبحث الثاني: تناسب القرآن، وائتلافه

المطلب الأول: تناسب ألفاظ القرآن، ومعانيه

المطلب الثاني: التناسب بين السورة والسورة

المطلب الثالث: التناسب في السورة الواحدة

المبحث الثالث: نماذج جديدة لتناسب الأسلوب القرآني

المطلب الأول: التناسب في الآية الواحدة

المطلب الثاني: التناسب في ترتيب الآيات مع تباعد وقت النزول

المطلب الثالث: التناسب بين آيات متشابهة لفظاً ومعنى

المطلب الرابع: تميز كل سورة بسمه خاصة

## المبحث الأول

### ماهية خصائص الأسلوب القرآني، وأهمية دراسته

جاء القرآن الكريم بأسلوب فريد أخذ، يقيم الحجج ويدحض الشبهات، ويجلي الحقائق ويقرر المعاني، أسلوب انفتحت أمامه سحائب الشك، وتبددت ظلمات الكفر، وانكشفت حجب الضلال، وتجلى به نور الإيمان، وهذا الأسلوب حري بالنظر والتأمل؛ لإدراك وجوه إعجازه وروعته، والتعرف على لطائف بلاغته، ومعرفة خصائصه التي انفرد بها عن سائر الكلام، والوقوف على كلام جهايزة البلاغة، وأساطين البيان حول هذا الأسلوب الذي تحدى به الله تعالى العرب، وهم أرباب الفصاحة والبيان، أن يأتوا بمثله أو بسورة منه، يقول تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٣)﴾ [البقرة: ٢٣]، وقد بين الله تعالى خصائصه في كثير من آياته الكريمة، وفي الصفحات الآتية بيان لهذه الخصائص، وتعريفها من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية، ومصنفات أهل العلم الثقات.

#### أولاً: تعريف الخصائص:

أصل خصائص من: "خصص" خصه بالشيء يخصه، وخصه واختصه بمعنى: أفرد به دون غيره، ويُقال: اختص فلان بالأمر وتخصص له إذا انفرد، والخصائص مفرد: "خصيصة" والمراد بها: الصفة التي تميز الشيء وتحدده<sup>(١)</sup>.

#### ثانياً: تعريف الأسلوب:

الأسلوب هو السطر من النخيل، والطريق يأخذ فيه، وكل طريق ممتد فهو أسلوب، والأسلوب: الوجه والمذهب، ويُجمع على "أساليب" وقد سلك أسلوبه أي: طريقته<sup>(٢)</sup>. والأسلوب بالضم: الفن، يُقال: أخذ فلان في أساليب من القول؛ أي: أفانين منه<sup>(٣)</sup>، وقال ابن فارس: الأساليب: الطرق والفنون، وكل شيء امتد على غير امتناع فهو أسلوب<sup>(٤)</sup>.

(١) لسان العرب لابن منظور، (٢٤/٧) والمعجم الوسيط، مجموعة من العلماء، (١/٢٣٨).

(٢) تاج العروس / الزبيدي . (١/٣٠٢).

(٣) ٩٨. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، د.ت، ط ١ (١/٤٧٣).

(٤) مجمل اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت ط ٢، ٤٧٠هـ، ص ٤٧٠.

ثالثاً: وقد وردت تعريفات متعددة للأسلوب في العربية، منها:

أ - الأساليب: هي أجناس الكلام وطرقه<sup>(١)</sup>.

ب - الأسلوب: هو الضرب من النظم والطريقة فيه<sup>(٢)</sup>.

ج - الأسلوب: هو الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه، في تأدية معانيه ومقاصده من كلامه<sup>(٣)</sup>.

وهناك العديد من التعريفات التي لا يتسع المجال لذكرها، وقد أجمنا بعضاً منها؛ لتوضيح ماهية الأسلوب القرآني.

وفيما يلي نتناول جانباً من أهمية دراسة خصائص الأسلوب القرآني، وفوائده، ونجمل بعضها فيما يلي:

١- بيان علو هذا الكتاب "القرآن" ورفعته، وحين أدرك العرب هذه الخصائص لم يخفوا إعجابهم بالقرآن واستحسانهم، رغم مناصبتهم العدا له، والإعراض عنه، ويؤكد ذلك ابن عاشور في إدراك علو هذا القرآن وإعجازه، فيقول: "من شاء أن يدرك الإعجاز كما أدركه العرب فما عليه إلا أن يشتغل بتعلم اللغة وآدابها وخصائصها، حتى يساوي، أو يقارب العرب في ذوق لغتهم ثم ينظر بعد ذلك في نسبة القرآن من كلام بلغائهم، ولم يخلُ عصر من فئمة اضطلعت بفهم البلاغة العربية، وأدركت إعجاز القرآن وأدب العربية الصحيح"<sup>(٤)</sup>.

٢- أنها تحول دون أن تحمل بعض أساليب القرآن على غير محلها الصحيح؛ لأن دراسة هذه الخصائص يبرز سمات هذا الأسلوب ومظاهره، وما يتميز به عن غيره.

ومن أمثلة ذلك ما ورد في قوله تعالى: {سَأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ} [البقرة: ٢١٥]؛ حيث حمل السؤال على أنه غير مطابق للجواب عند بعض العلماء، حيث ورد الاستفهام بـ "ما" التي يُستفهم بها عن الجنس،

(١) الصحاح، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ. (٢١٧٧/٦).

(٢) دلائل الإعجاز، لعبد القاهر الجرجاني، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط١، ١٩٩٥م، ص ٤٦٩.

(٣) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى الحلبي البابي، ط٣، د.ت، (٣٠٣/٢).

(٤) التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، ٢٠٠٨م، (٣١٨/٢).

والجواب بيان لمن ينفق عليه، لا لمن ينفق، ثم خرجوا ذلك على أسلوب الحكيم، بما اصطاح عليه أهل المنطق، والصحيح أن أسلوب الاستفهام يشمل الأمرين جميعاً<sup>(١)</sup>.

٣- تفيد في تععيد القواعد المتعلقة بالتفسير، بحيث تكون هذه القواعد دائرة في فلك الخصائص ومدللة عليها، إذ القواعد مبنية على فهم هذه الأساليب وخصائصها<sup>(٢)</sup>.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "الترادف في اللغة قليل، وأما في ألفاظ القرآن الكريم إما نادر، وإما معدوم وقل أن يعبر عن لفظ واحد بلفظ واحد يؤدي جميع معناه"<sup>(٣)</sup>.

٤- تعين على فهم أشمل لمعاني القرآن الكريم ومقاصده، يقول أبو الدرداء رضي الله عنه: "إنك لن تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوها"<sup>(٤)</sup>.

٥- تفيد الكاتب والقارئ في تهذيب فكره، ورفي أسلوبه. فالدارس للقرآن الكريم وما اختص به من سمو الألفاظ وجمال التعبير لا شك أن ذلك يؤثر على فكره وطريقة تعبيره، وتحسين أسلوبه، فقد اطرده أسلوب القرآن في عدم نسبة الشر إلى الله تعالى وذلك في مثل قوله تعالى: {وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ} [الشعراء، ٧٩: ٨٠]، وقوله عن الجن: {وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (١٠)} [الجن: ١٠]، أو التكنية عما يُستحيا من ذكره، مع ما يتضمنه من جمال المعنى، كقوله تعالى: {هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ} [البقرة: ١٨٧]، وكقوله تعالى: {مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَأَنَّا بِكُلَّانِ الطَّعَامِ أَنْظَرُ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ نُمْ أَنْظُرُ أَنِّي يُؤْفَكُونَ} [المائدة: ٧٥].

(١) مفتاح العلوم، لأبي يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٤٠٧هـ، ص ٣٢٧، والإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، ومكتبة المدرسة، بيروت لبنان، ط ٦، ١٤٠٥هـ، (٩٥/٢)، والبرهان للزكشي: (٤٣/٤).

(٢) خصائص الأسلوب القرآني، دكتور أبو بكر محمد فوزي البخيت، جامعة الملك سعود، كلية التربية، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ، ص ٣٢.

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع: عبد الرحمن بن قاسم النجدي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤٢٠هـ، (٣٤١/١٣).

(٤) مصنف ابن أبي شيبة، كتاب: فضائل القرآن، باب: من قال: اعملوا بالقرآن، برقم: (٣٠١٦٣)، (١٤٢/٦).

٦- تفتح للدارسين بابا في معرفة واستخراج الأساليب التي انفرد بها القرآن الكريم، يقول د. محمد أبو موسى: "ومثل ذلك أسلوب القرآن، فإنه على كثرة ما كتب فيه لم يتحدد لنا بوضوح ما نهجه للغة من طرق، وما فتق لها من أساليب البيان وصور التراكيب، وهذا درس صعب جدا، ولكنه ضروري في تاريخ التراكيب، ورصد نمو الأساليب ويجد فيه النابهون من طلاب العلم ومحبيه مجالا فسيحا لجهود صادقة"<sup>(١)</sup>.

٧- أنها تقطع السبيل أمام المشككين في إعجاز القرآن الكريم، ومثيري الشبه حول صدقه وأنه من عند الله تعالى؛ فبيان هذه الخصائص يقطع الطريق على من يزعم أن في القرآن الكريم تناقضا، أو اضطرابا، أو غير ذلك من المزاعم التي يدعونها<sup>(٢)</sup>.

٨- أنها مهمة جداً للمشتغلين بترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأخرى<sup>(٣)</sup>.

٩- أنها نافعة جداً في الدعوة إلى الله تعالى، يقول ابن الأثير في بيان هذه الفائدة للدعاة إلى الله تعالى: "أنه إذا عرف مواقع البلاغة وأسرار الفصاحة المودعة في تأليف القرآن اتخذه بحرا يستخرج منه الدرر والجواهر ويودعها مطاوي كلامه، كما فعلته أنا فيما أنشأته من المكاتبات، فعليك أيها المتوشح لهذه الصناعة بحفظه والفحص عن سره وغامض رموزه وإشاراته، فإنه تجارة لن تبور، ومنبع لا يغير، وكنز يرجع إليه، وذخر يعول عليه"<sup>(٤)</sup>.

١٠- الاشتغال بها يطلعك على كثير من مقاصد الكلام، ويغنيك عن كثير من

علوم المتفلسفة.

**لعلنا في الصفحات القليلة السابقة من خلال المبحث الأول تعرفنا على ماهية خصائص الأسلوب القرآني وبيان علو القرآن ورفعته ، وإدراك العرب لعظمة هذه الخصائص فلم يخفوا إعجالهم وإجلالهم وفي المبحث التالي نتناول تناسب القرآن وائتلافه.**

(١) خصائص التراكيب، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، ط ٣، د.ت، ص ١٢٠.

(٢) خصائص الأسلوب القرآني دكتور أبو بكر محمد فوزي البخيت، جامعة الملك سعود، كلية التربية، الطبعة الأولى، ١٤٣٦ هـ ٣٥.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن الأثير، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢٠ هـ، (٤٧/١).

## المبحث الثاني

### تناسب القرآن وأنتلافه

#### أولاً - تناسب ألفاظ القرآن ومعانيه:

كثرت أقوال أهل العلم في بيان التناسب بين اللفظ والمعنى ما بين مؤصل ومبين للروابط والعلاقة بينهما، وما بين مطبق له، وقد عقد ابن جني باباً في ذلك، وقال فيه: "اعلم أن هذا موضع شريف لطيف وقد نبه عليه الخليل وسيبويه وتلقته جماعة بالقبول له والاعتراف بصحته"<sup>(١)</sup>. وقال عنه: "إنه من أشرف فصول العربية وأكرمها وأعلاها وأنزهها"<sup>(٢)</sup>.

فإذا نظرت في كتاب الله تعالى وجدت هذا التناسب والانتلاف بين ألفاظه ومعانيه جارياً مجرى الشمول والاستقصاء، وهذا من خصائصه<sup>(٣)</sup>.

#### ثانياً: صور التناسب في القرآن الكريم ومظاهره:

##### أ-تناسب الحروف في الكلمة:

عند الرجوع إلى كتاب الله تعالى نلتبس هذا التآلف بين الألفاظ ومعانيها، فإن كان المعنى يتضمن قوة جاء معه الحرف الأقوى، وإن كان يحتمل ليونة وسهولة جاء معه ما يناسبه من الحروف، ومن ذلك:

قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَزُّهُمْ أَزًّا} [مريم: ٨٣] ومعنى قوله: {تَوَزُّهُمْ أَزًّا}: تحركهم بالإغواء والإضلال، فتغريهم بالمعاصي حتى يواقعوها<sup>(٤)</sup>.

فكلمة "الأز" وكلمة "الهز" دلالتها على الحركة والاضطراب واحدة إلا أن "الأز" بالهمز يدل على معنى إضافي دقيق يناسب اختيار الهمزة في التعبير عنه؛ فالأز فيه معنى الاستعجال والاحتئال والإزعاج<sup>(١)</sup>.

(١) الخصائص لابن جني، مرجع سابق (١٥٢/٢).

(٢) المصدر السابق: (٢١٥/١).

(٣) مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م (١١٠/٤).

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، تحقيق أحمد ومحمود شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ٢٠٠٠م (٢٥١/١٨)

## ب- التناسب في تضعيف الكلمة أو الزيادة فيها:

من القواعد التي اصطلح عليها الفقهاء أن الزيادة في المبنى تدل على الزيادة في المعنى، وذلك لما بين اللفظ والمعنى من التناسب والاتئلاف<sup>(١)</sup>، ومن الأمثلة على ذلك: قوله تعالى: {كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أُخْذًا عَزِيزًا مُّقْتَدِرًا} [القمر: ٤٢] وردت هذه الآية في بيان ما حل بقوم فرعون من العقوبة ومعنى قوله: {فَأَخَذْنَاهُمْ أُخْذًا عَزِيزًا مُّقْتَدِرًا} [القمر: ٤٢]: فعاقبناهم بكفرهم بالله عقوبة شديدة، لا يُغلب، مقتدر على ما يشاء، غير عاجز ولا ضعيف<sup>(٢)</sup>. وكلمة مقتدر في الآية أنسب من كلمة قادر، في الدلالة على المعنى، ف "مقتدر" هنا: بالغ القدرة إلى حد لا يدرك الوصف كنهه؛ لأن صيغة الافتعال مبناها على المعالجة، من عاجل فعلا أجهد فيه نفسه، فكان على أتم الوجوه وهذه الغاية هي المرادة، وليس غيرها<sup>(٣)</sup>.

## ج- التناسب في التعبير بالاسم أو الفعل:

إذا أمعنت النظر في كتاب الله تعالى لا تجد التعبير بالاسم أو الفعل، إلا ودلالته على المعنى أبلغ الدلائل وأنسبها، بل التعبير بغيره يفسد المعنى، ففي قوله تعالى: {وَتَحَسَّبُهُمْ أَيَقَاطًا وَهُمْ رُفُودٌ وَنُقَلَّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعَتْ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعبًا} [الكهف: ١٨]، فمعنى قوله تعالى: "ونقلبهم" أنه قلبهم على جنوبهم بقدر ما لا تفسد الأرض أجسادهم، وقوله: "وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد" أي: أن الكلب قد بسط ذراعيه على موضع الباب<sup>(٤)</sup>.

(١) خصائص الأسلوب القرآني، دكتور أبو بكر محمد فوزي البخيت، جامعة الملك سعود، كلية التربية، الطبعة الأولى، ١٤٣٦، ص ١٠٠.

(٢) البرهان في علوم القرآن (٣٤/٤)، ومجموع الفتاوى (٥٣٧/١٦).

(٣) جامع البيان، للطبري مرجع سابق (١٥٤/٢٢).

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والصور، برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي القاهرة، (٣٦٥/٧)، والبرهان في علوم القرآن، (٣٤/٣).

(٥) معالم التنزيل، الحسين بن مسعود البغوي، محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة، سنة النشر: ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م، (١٥٨/٥).

فالتعبير بالفعل: "ونقلبهم" دل على تكرار هذا الفعل، أما التعبير بالاسم "باسط" دل على طول المدة<sup>(١)</sup>، والسبب في تنوع دلالة الجملتين أن الفعل يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئاً بعد شيء، وأما الاسم فيثبت به المعنى للشيء، من غير أن يقتضي تجدده شيئاً بعد شيء<sup>(٢)</sup>.

أما التناسب في التعبير بصيغة المضارع أو الماضي وما يدلان عليه ففي قوله تعالى: ﴿لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [الحج: ٦٣] فصيغة الماضي في قول: "أنزل" عدل بها إلى المضارع في قوله: "فتصبح" لمعنى لا يصلح التعبير عنه بالماضي، فالمضارع يفيد استحضر تلك الهيئة الجميلة وتمثلها كأنها حاضرة مشاهدة بعد نزول المطر، والماضي لا يفيد دوام استحضرها؛ لأنه يفيد انقطاع الشيء<sup>(٣)</sup>.

أما التعبير بصيغة الماضي في قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعَقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]، قد يظن ظان أن هذا اللفظ مخالف لمعناه، وذلك أن القيامة أمور لم تحدث بعد فكيف يعبر عنها بصيغة الماضي؟ وهنا يكمن سر البلاغة في أن التعبير بالماضي هو الأنسب في ذكر أهوال يوم القيامة، وذلك أن الكفار كانوا ينكرون البعث، فجاء التعبير بالماضي عن المستقبل تنزيلاً للأمر منزلة الوقوع، فيحصل بهذا التعبير ما يحصل من الزجر والاتعاظ مع الرد والتهديد للمكذبين والمنكرين ولذا فإن هذا التعبير غالباً ما يكون في الأمور الهائلة العظيمة كقوله تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٤]<sup>(٤)</sup> وغير ذلك والشواهد كثيرة.

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٧٣/١٠)، والتحرير والتنوير: (٣٦/١٥).

(٢) دلائل الإعجاز: (٥٠/١).

(٣) تفسير الكشاف (١٦٨/٣)، وأضواء البيان: (١٩٥/٥).

(٤) البرهان في علوم القرآن، (٣٧٢/٣)، وأضواء البيان (٣٢٦/٢)، وروح المعاني للآلوسي (٢٨٢/١٢).

### د-التناسب في تعدية الفعل:

إن الأفعال كما تأتي لازمة فإنها ترد متعدية، ولما كانت ألفاظ القرآن الكريم موافقة للمعنى؛ فإن الناظر بعين التأمل والتفكير يظهر له وجه التناسب في تعدية الأفعال بما يناسبها.

ففي قوله تعالى: {عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا} [الإنسان: ٦]، والعين يُشرب "منها" لا "بها" فعدى الفعل "يشرب بالباء" حتى يتضمن الشرب معنى الإرواء، وهذا فيه من كمال اللذة وحصول الفائدة ما لا يؤديه "يشرب منها"<sup>(١)</sup>.

ومن الأمثلة التي تبين فيها للقارئ التناسب في تعدية الفعل قوله تعالى: {لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ بَيُّعُونَكُمْ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ} [التوبة: ٤٧]، تعدية "خرجوا" بحرف الجر "في" ضمنها معنى آخر؛ فالخروج "مع" المؤمنين فيه نوع ممايزة ووضوح، أما الخروج "في" المؤمنين متضمناً معنى الخفاء، والتغلغل والمخالطة، وكأنهم منهم، وهذا أقدر على إثارة البلبلة والفتنة، فهم لو خرجوا كانوا سيخرجون متلبسين بلباس الإيمان؛ ولذلك قال تعالى: {وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمُ}، ولو كان يعلم المؤمنون أنهم منهم لما استمعوا لهم<sup>(٢)</sup>، وعليه فيضمن معنى "خرجوا" الاختلاط والممازجة<sup>(٣)</sup>.

### ثالثاً - التناسب بين السورة والسورة:

إن إمعان النظر في التناسب بين السور وبين بعضها يقف بالقارئ على جملة من المظاهر الدالة على أن هذا التناسب من خصائص هذا الكتاب العزيز.

### أ-التناسب العام في ترتيب السور:

جاء ترتيب سور القرآن ترتيباً متناسباً متدرجاً بالطوال ثم المئين ويتبعه المثاني ثم يختم بالمفصل، فعن أوس بن حذيفة، قال: "سألت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف

(١) بدائع الفوائد، شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن محمد العمران، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٨م، (٢/٢٥٨).

(٢) تفسير القرآن العظيم: (٤/١٦٠).

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم، محمد أبو السعود أفندي، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة، بالرياض، (٣/١٧٥) وروح المعاني: (٥/٣٠٢).

تحزبون القرآن؟ قالوا: بثلاث، وخمس، وسبع، وتسع، وإحدى عشرة، وحزب المفصل<sup>(١)</sup>، ومع ما تميز به هذا التناسب العام في الترتيب فقد جاءت كل سورة طويلة كانت أو قصيرة تامة المقاصد مستوفية الأغراض متناسبة مع ما تليها.

### ب- تعدد المناسبات بين السور:

تجد أسلوب القرآن الكريم ظاهر التناسب، متعدد العلاقات بين السور من عام أو خاص، أو علاقة حسية أو عقلية وغير ذلك من أنواع العلاقات، أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب والعللة والمعلول، والنظيرين والضدين ونحو ذلك<sup>(٢)</sup>.

ومن الأمثلة التي تبين أوجه المناسبات، وتعددها ما أورده المفسرون من لطائف حول المناسبات بين سورة الإسراء وما قبلها وما بعدها، ومن ذلك:

أ- أن الله تعالى عدد في سورة النحل كثيرا من النعم في المأكل والمشرب والمركب والمسكن، حتى سميت سورة النحل بسورة النعم<sup>(٣)</sup>، وجاءت سورة الإسراء مبينة للخلق نعمة ما اختص الله به هذه الأمة من إرسال الرسول صلى الله عليه وسلم وتشريفها به، ونعمة القرآن وما فيه من هداية للخلق، فجمعت السورتان بين خيرى الدنيا والآخرة<sup>(٤)</sup>.

ب- بين الله تعالى في سورة النحل شفاء الأبدان، وهو العسل، فقال: **لِيَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلَفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** [النحل: ٦٩]، ثم بين في سورة الإسراء ما هو شفاء للأبدان والقلوب وهو القرآن، فقال تعالى: **لَوْ نَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا** [الإسراء: ٨٣].

ومثال مناسبة خاتمة السورة لبداية ما بعدها قوله تعالى: **لَوْ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِّنَ الدُّلِّ وَكَبَّرَهُ تَكْبِيرًا** [الإسراء: ١١١]،

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند، برقم (١٩٠٢١) (٣١/٣٦٢)، وأبو داود في سننه، باب تحزيب القرآن برقم (١٣٩٣) (٢/٥٥)، وابن كثير في فضائل القرآن الكريم (ص ١٤٨) وحسن إسناده.

(٢) البرهان في علوم القرآن، للزركشي (١/٣٥).

(٣) البرهان في علوم القرآن، (١/٣٥) ومفاتيح الغيب للفخر الرازي، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨، ط ٥، (١١٣/١٠).

(٤) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، لمجموعة من العلماء، (٤/٢٠٦).

وجاء في بداية سورة الكهف: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا} [الكهف: ١].

ومثال مناسبة مطلع السورة لمطلع السورة التي تليها، قوله تعالى في بداية سورة الإسراء: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا} [الإسراء: ١] فابتدأت بالتسبيح، كما بدأت سورة الكهف التي تليها بالحمد، فجاء التسبيح أولاً إشارة إلى تنزيه الله عما لا ينبغي وهو إشارة إلى كونه كاملاً في ذاته، وجاء التحميد عبارة عن كونه مكملاً لغيره، ولا شك أن أول الأمر هو كونه كاملاً في ذاته ونهاية الأمر كونه مكملاً لغيره<sup>(١)</sup>.

### ج- حصول التناسب مع تباعد النزول بين السور واختلاف مكان النزول:

التناسب بين سورة مدنية وأخرى مكية، مثل: سورتي المائدة والأنعام: تضمنت سورة المائدة الحديث عن تفاصيل الأحكام سواء في الصيد وأحكام الطهارة وغيرها من الأحكام التفصيلية، كما تضمنت الحديث عن أهل الكتاب، وأحكام التعامل معهم، أما سورة الأنعام فقد عالجت قضية التوحيد، وهو المحور الذي تدور عليه السورة، وقد افتتحت بها مع ذكر البراهين والشواهد الدالة عليه، قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ} [الأنعام: ٩٥]، والآيات التي تليها تحدثت عن الشرك الواقع في الذبح، كما اشتملت السورة على جملة من قصص الأنبياء، وسنة الله فيهم، ثم اختتمت بذكر أصول الأخلاق والآداب الاجتماعية<sup>(٢)</sup>.

### د- التناسب في مقاصد السور:

تضمنت كل سورة من سور القرآن الكريم مقصداً أو غرضاً يجمع ما اشتملت عليه السورة من أفانين ما تصرف فيه من القول كأمر ونهي وقصص ونحوه، وقد جعل العلماء من معاني السورة هذا المعنى، كونها كالسور الذي يجمع بيوت المدينة في حد واحد، ويضفي عليها صبغة واحدة، يقول ابن عاشور: "السورة قطعة من القرآن معينة بمبدأ ونهاية لا يتغيران، مسماة باسم مخصوص تشتمل على ثلاث آيات فأكثر في غرض تام ترتكز عليه معاني آيات تلك السورة"<sup>(٣)</sup>.

(١) خصائص الأسلوب القرآني: ١١٤

(٢) خصائص الأسلوب القرآني: ١١٦.

(٣) التحرير والتنوير: (٨٢/١).

ونذكر أمثلة على مقاصد السور في سور: محمد والفتح والحجرات:  
فالمقصود من سورة محمد دعوة المؤمنين لحفظ الدين بإقامة الجهاد وردّ الكافرين<sup>(١)</sup>. وقد جاءت الآيات في هذه السورة تحت المؤمنين على ذلك كما في قوله تعالى: {فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكُمُ أَعْمَالُكُمْ (٣٥)} [محمد: ٣٥].  
أما سورة الفتح فمقصودها الحديث عن فتح مكة العظيم، وما يترتب عليه من مكاسب، فبينت أحداثاً صلح الحديبية ومعية الله تعالى للمؤمنين، فجاءت الآيات دالة على ذلك، قال تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيُزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} (٢) [الفتح: ٤].

أما سورة الحجرات فإن مقصودها هو: بناء الأخلاق والآداب في المجتمع المسلم بين الراعي والرعية والأحوال الجالبة لوحده وتآلفه<sup>(٣)</sup>.  
وعند النظر إلى مقاصد السور الثلاث جملة فيظهر مقصد عام وهو: النصر والتمكين وعلاج بعض القضايا السلوكية والفكرية.

#### هـ - ترابط أوائل سور القرآن بأواخره:

يقول الفراهي: "إني رأيت في ترتيب كلام الله وله الحمد على ما أراني، أن الكلام ينجرّ من أمر إلى أمر، وكله جدير بأن يكون مقصداً، فيشفي الصدور ويجلي القلوب ثم يعود على البدء فيكون كالحلقة"<sup>(٤)</sup>.

فسورة الفاتحة وإن أجملت ما فصل في آيات القرآن، وسوره من الأصول والفرع والمعارف، فهي دائرة على أمرين: وهما الثناء على الله تعالى وسؤاله، كما في حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله تعالى يقول: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، نصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال: {الحمد لله رب العالمين} قال الله: حمدني عبدي، وإذا قال: {الرحمن الرحيم} قال الله: أثنى عليّ عبدي، وإذا قال: {مالك يوم الدين} قال الله عز وجل: مجّدي عبدي،

(١) مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور، (٤٨٧/٢)

(٢) الجامع لأحكام القرآن، (٢٦٠/٦)، والتفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (٣٣٤/٧).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، (٢٦٠/١٦)، والتفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (٣٣٤/٦).

(٤) دلائل النظام، عبد الحميد الفراهي الهندي، المطبعة الحميدية، ط ١، ١٣٨٨هـ، ص ٥٤.

وفي رواية فَوْضَ إِلَيَّ عَبْدِي ، وَإِذَا قَالَ : {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} قال : فهذه الآيةُ بيني وبين عبدِي نصفين ولعبدِي ما سألَ ، فإذا قَالَ : {اهدنا الصراطَ المستقيمَ صراطَ الذين أنعمتَ عليهم غيرِ المغضوبِ عليهم ولا الضالينَ} قال : فهو لاءٌ لعبدِي ولعبدِي ما سألَ<sup>(١)</sup>. وهكذا نجد سورة الإخلاص والمعوذتين، في تناسبها وارتباطها بسورة الفاتحة<sup>(٢)</sup>.

### و- التناسب في السورة الواحدة:

إذا نظرت إلى السورة وما اشتملت عليه من تنوع الآيات في القصص والأحكام أو المواعظ ونحوها، وجدت أن هذا التنوع يجمعه رابط يؤلف بين معانيه وأغراضه، ولذا كانت السورة بهذه المثابة في دلالتها على المقصد واستيفائها للغرض، وهنا يظهر الحسن الفائق في الجمع بين التنوع والاتلاف؛ لأن الشيء إذا كان جنسا وجعلت له أنواعا واشتملت أنواعه على أصناف كان أحسن وأفخم لشأنه، وأنبأ ولا سيما إذا تلاقت الأشكال بغرابة الانتظام، وتجاوبت النظائر بحسن الالتئام، وتعانقت الأمثال بالتشابه في تمام الأحكام وجمال الإحكام<sup>(٣)</sup>.

### رابعاً: قوة الترابط في السورة الواحدة وتعددتها:

فإن المتأمل في آيات السورة الواحدة يجد ارتباطات كثيرة، وهذه الروابط إما أن تكون لفظية كحروف العطف وأسماء الإشارة وألفاظ التوكيد، أو معنوية كالطباق، والجناس، والمقابلة والاستطراد<sup>(٤)</sup>.

أنواع هذه الروابط (سورة ص مثالا): الإشارة بهناك، إلى الأحزاب، في قوله تعالى: {جُنُدٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ} [ص: ١١]، وبـ "أولئك" في قوله تعالى: {وَتَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ} \* {إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرَّسُلَ فَحَقَّ عِقَابٌ} [ص: ١٣، ١٤].

فالإشارة بـ "هنالك" إلى الأحزاب المراد بهم كفار قريش الذين صدر منهم الاستعلاء والتكبر والتعجب من رسالة النبي صلى الله عليه وسلم، فبين الله تعالى حالهم وأنهم مهزومون، ثم جاء باسم الإشارة في الآية الأخرى "أولئك" إلى الأحزاب الذين كذبوا رسلهم،

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، برقم (٩٠٤).

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤٧٨/١٦، ٤٧٩).

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (١/١٦٢).

(٤) البرهان في علوم القرآن، (١/٤٠).

ليربط بين حال كفار قريش وبين من سبقهم من المكذبين الذين حلت بهم العقوبة، لكي لا يستبعدوا العذاب، ويتعظوا بمن سبقهم<sup>(١)</sup>.

- العطف بذكر نبي الله داوود على أمر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الصبر في قوله تعالى: {اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ} [ص: ١٧]، فالعطف بذكر قصة نبي الله داوود عليه السلام بعد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالصبر، تناسب لطيف في بيان عاقبة الصبر، بذكر قصة نبي الله داود، وكيف صبر على ما لاقاه من الأذى حتى كانت له العاقبة الحسنة، من كشف الكرب، والتمكين في الأرض دون أن يكون له سلف أو سلطان، ففي ذلك إشارة إلى أن شأن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم سيصير إلى العزة والسلطان<sup>(٢)</sup>.

- المجي باسم الإشارة "هذا" في قوله تعالى: {هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ} [ص: ٤٩]، فقد جيء باسم الإشارة هنا بعد ذكر عدد من الأنبياء للانتقال إلى نوع آخر وهو ذكر الجنة وأهلها ولذلك لما تم ذكر أهل الجنة وأراد أن يعقبه بذكر أهل النار قال: {هَذَا وَإِنَّ لِلطَّائِفِينَ لَشَرَّ مَآبٍ} [ص: ٥٥]<sup>(٣)</sup>، ومن الروابط أن السورة مع تنوع موضوعاتها فقد ابتدأت بالحديث عن القرآن الكريم، ثم جاء قوله تعالى: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ} [ص: ٢٩]، في وسطها، ثم جاء الختام في السورة عوداً على البدء بقوله: {إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ} [ص: ٢٩]، للتأكيد على مقصد السورة من غلبة هذا الكتاب العزيز ومن أرسل به، وتوعّد من كذّبه بالخسران كما يفهم من ثانيا السورة<sup>(٤)</sup>.

وهكذا تعرفنا من خلال هذا المبحث على التناسب وأسواره وأنواعه في القرآن الكريم ونتعرف في المبحث التالي على نماذج جديدة لتناسب الأسلوب القرآني.

(١) خصائص الأسلوب القرآني: ١٢٧.

(٢) التحرير والتنوير، (٢٢٦/٢٣).

(٣) الكشف، (١٠٠/٤)، والبرهان في علوم القرآن (٥٠/١).

(٤) مساعد النظر، للإشراف على مقاصد السور، (٤١٦/٢).

## المبحث الثالث

### نماذج جديدة لتناسب الأسلوب القرآني

#### أولاً - التناسب في الآية الواحدة:

من الأسباب التي تبين جودة التناسب بين الآيات في السورة، أنك ترى الآية بينها من الجمل ما تظن أنها منفصلة عما قبلها فإذا تأملت وجدت جمال الاتصال والتناسب في الآية أو بين الآيات، فيكون الترتيب بهذا التناسب أجمل انتلافاً وأقوى اتصلاً من أي كلام آخر في غير القرآن، ومن الشواهد على ذلك قوله تعالى: **رَبِّسَأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** [البقرة: ١٨٩].

فهذه الآية قد اشتملت على جملتين: الأولى: السؤال عن الأهل، والأخرى: نفي البر عن إتيان البيوت من ظهورها، ومن لا يمعن النظر في تناسب الآية، واتساق جمالها لا يقف على مقصودها.

أما عن وجه اتصال الكلام ومناسبته فقد ورد في الآية السؤال عن الأهل ثم جاء الجواب عنها وعن النهي عن إتيان البيوت من ظهورها، وقد ذكر العلماء أن من البلاغة أن يأتي الجواب أعم من السؤال عند الحاجة إلى ذلك، وذلك أنه تعالى لما أجابهم عما سألوا عنه في الأهل بين لهم ما لم يسألوا عنه تعليماً لهم حقيقة البر ورحمة بهم في تخفيف ما اعتادوا عليه<sup>(١)</sup>.

ومن الأمثلة كذلك: قوله تعالى: **لَوْ كَذَّبَكَ أُوحِينَا إِلَيْكَ رُوْحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ \* صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ** [الشورى، ٥١: ٥٢] فقد اشتملت الآيات على معان ثلاثة:

الأول: بيان أن الله أوحى إليه هذا القرآن حال كونه قبل النبوة لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان، ولكن حين نزل وقرئ صار نوراً، يهدي به الله من يشاء من عباده.

(١) خصائص الأسلوب القرآني، د. أبو بكر محمد فوزي البخيت ١٢٩.

(٢) سورة الشورى: ٥١ - ٥٢.

الثاني: إثبات أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الهادي إلى الطريق المستقيم بالدلالة والإرشاد.

الثالث: الإخبار بصيرورة الأمور إلى الله تعالى<sup>(١)</sup>.

ثانيا - التناسب في ترتيب الآيات مع تباعد وقت النزول:

تقرأ السورة من القرآن فيعجبك تناسبها ويشدك ائتلافها، فإذا قرأت في نزولها تبين لك أن بعضها نزل في وقت، والآيات التي تليها نزلت بعدها بسنوات، أو أنها نزلت في حادثة، والآيات التي تليها نزلت في حادثة أخرى، وهذا التباعد في غير القرآن يحدث تغييرا في الأسلوب، نتيجة الانفعال النفسي الناتج عن التأثر بالأحداث والوقائع، أو نتيجة التطور المعرفي، الناتج عن البعد الزمني، وهذا ما يوقفك على مظهر من مظاهر عزة هذا الكتاب في أسلوبه الذي قال الله تعالى عنه: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} [فصلت، ٤١: ٤٢]. ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ} [النساء: ٥١].

فهذه الآيات نزلت في كعب بن الأشرف حين قدم مكة فقالت له قريش: أنت حبر أهل المدينة وسيدهم؟ قال: نعم، قالوا: ألا ترى إلى هذا الصنوبر المنبتر من قومه يزعم أنه خير منا، ونحن أهل الحجيج والسقاية والسدانة؟<sup>(٢)</sup> فقال: أنتم خير منه، وهذا من اليهود كتمان وخيانة لما عرفوه من صفة النبي صلى الله عليه وسلم الذي كُتب في التوراة، كما قال تعالى: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ} [الأعراف: ١٥٧].

ثم قال تعالى عقب الآيات التي عقبها صنيع اليهود: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا} [النساء: ٥٨].

(١) إعجاز القرآن ١٩٩، ٢٠٠، وآل حميم الشورى والزخرف والدخان دراسة في أسرار البيان، د. محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة القاهرة، ط ١، ٢٠٠٦، ص ٢٣٧.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤٢/٧)، ورواه ابن كثير عن البزار في تفسيره، وقال: وهو إسناداه صحيح (٤٠٥/٨).

فهذه الآية نزلت متأخرة عما قبلها، لكن التناسب بينهما تناسب متنسق، والصلة وثيقة؛ لأن هذه الآية تأمر بالأمانة عموماً، وتلك الآيات تأمر بأمانة خاصة، وكأنهما سيقا في سياق واحد، مما يجعل الأمانة الخاصة التي معنا تنتظم في سلك الأمانة العامة انتظاماً ممتازاً، وتدخل فيها دخولاً أولياً.

### ثالثاً - التناسب بين آيات متشابهة لفظاً ومعنى:

من لطائف القرآن الكريم أن تأتي آية قرآنية في سورتين بنفس التركيب القرآني دون أدنى تغيير، كما ترد آية واحدة في موضعين في سورتين مختلفتين مع اختلاف طفيف يحتمه السياق.

وهذا الموضوع جيد وجديد وسنتوقف عند النوع الأول فقط وهو ورود آية قرآنية واحدة في سورتين بنفس الألفاظ والمعنى هي هي، أو هي نفسها أو هي إياها، وسنأخذ بعضاً من هذه المواضع.

#### أ-الشاهد الأول:

جاء قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ}، في سورتي التوبة والصف بنفس الألفاظ والجمل والمعاني، في سورة التوبة في الآية رقم (٣٣) وفي سورة الصف الآية رقم (٩) وإذا أردنا التأمل في الموضعين فإن بينهما تشابهاً كبيراً، وفي سورة التوبة سبقت بقوله تعالى: {يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} [التوبة: ٣٢]، وتشابهت هي الأخرى مع قوله تعالى في سورة الصف: {يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} [الصف: ٨]، ونلاحظ أن السياق في الموضعين هو سياق تحدُّ للكفار وإظهار قدرة الإسلام في كل زمان ومكان، وأما الحكمة في ورود الآية نفسها دون أدنى تغيير فذلك للمتشابه التام في السياق وحتمية إبراز عالمية الإسلام وبلوغه الكرة الأرضية كلها، وهذا ما حدث بالفعل.

#### ب-الشاهد الثاني:

قوله تعالى: {لَوْ قَدَّ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ فَآخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ (١١٠)} [هود: ١١٠]، وردت في سورتي هود وفصلت، ففي

فصلت قوله تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ} [فصلت: ٤٥]، حيث وردتا بنفس الصياغة والتركيب والمعاني.

وبنظرة تأملية نلاحظ أن السياق الحالي لم يكن فيه سيدنا موسى عليه السلام، ولا قصة سيدنا موسى عليه السلام، خاصة في سورة فصلت، لكن القاسم المشترك بينهما هو التحذير لأمة الإسلام من الاختلافات التي جرت مع بني إسرائيل، واختلاف الشعب اليهودي على سيدنا موسى عليه السلام، وعلى التوراة نفسها؛ مما أدى بهم إلى الشك والارتياب في رسالة سيدنا موسى عليه السلام، وجاءت الآيتان بعدهما تؤكدان ذلك.

ففي سورة هود يقول تعالى: {وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لِيُوقِنَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} (١١١) { [هود: ١١١]، وفي سورة فصلت: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} (٤٦) [فصلت: ٤٦].

والقاسم المشترك فيهما أنه مهما اختلفت العباد فيما بينهم، فإن الله تعالى يوفي الجميع حقوقهم في سورة هود، وفي الوقت نفسه فإنه ليس بظلام للعبيد.

### ج-الشاهد الثالث:

ورود آية كريمة في سورة واحدة للتركيب نفسه، بل عجيب العجاب أنها جاءت في ربع واحد في الموضعين، (١٣٤ و ١٤١) ونحتاج إلى وقفة تأملية، فإن ورودها في التركيب نفسه ليس تكرارا معيبا، وإنما هو تأكيد في الموضعين على تتابع رسالات الأنبياء حيث إن الآية (١٤٠) اشتملت على ذكر الأنبياء: إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، وكذلك الآية (١٣٣) اشتملت على ذكر الأنبياء: إبراهيم وإسماعيل وإسحاق، ولم يأت فيها ذكر يعقوب والأسباط، ورغم ذلك فإن التشابه كبير في السياق الذي سبق الآية محل الدراسة، وهي لم تأت عبثا وإنما جاءت مكملة لتمام السياق، وإثبات المعنى وتوكيده.

### د-الشاهد الرابع:

قوله تعالى: {أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}، وردت بالترتيب نفسه في الآية الخامسة في صدر سورتي البقرة ولقمان، وبنظرة تأملية لا نجد عجا في ذلك؛ لأن صدر سورة البقرة ركز على صفات المؤمنين، وصدر سورة لقمان التي سارت على المنهج

نفسه حتى إن الآية الرابعة فيهما متشابهة تماما في قوله تعالى: {الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ}، وقد مهدت هذه القافية لهذا البيان القرآني، وهو: {أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [البقرة: ٥].

#### هـ-الشاهد الخامس:

قوله تعالى: {وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ} [مريم: ٣٦]، وقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ} [آل عمران: ٥١]، جاءت في سورة آل عمران الآية رقم (٥١)، وفي سورة مريم رقم (٣٦)، مع زيادة حرف العطف الواو في سورة مريم.

وبنظرة تأملية فإن السياق متشابه إلى حد كبير، وفي سورة آل عمران جاءت تعقيبا على قصة السيدة مريم وسيدنا عيسى عليهما السلام، والسياق نفسه في سورة مريم بعد الكلام عن السيدة مريم وسيدنا عيسى عليهما السلام. ولذا كان من الطبيعي أن يأتي التعقيب واحدا دون تكلف، وهو رد على من جعلوا عيسى عليه السلام إلها بصورة واضحة لا تقبل الاختلاف في بيان وحدانية الملك سبحانه وتعالى.

#### و-الشاهد السادس:

قوله تعالى: {وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلِنَا مِن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٤١)} [الأنبياء: ٤١]، وقوله تعالى: {وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلِنَا مِن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} [الأنعام: ١٠]، فقد وردت الآية في السورتين بنفس الترتيب والتشابه اللفظي والمعنوي.

وبالنظرة التأملية نجد أن السياق الذي سبقهما، هو الرد على دعوى الكافرين، وفساد معتقدتهم وإنكارهم للأنبياء في سورة الأنعام، وإنكارهم للآخرة في سورة الأنبياء، وعلى هذا فإن ورود الآية الكريمة بنفس جنسها أمر حتمه السياق، والمراد تصبير النبي والتسرية عنه في كون إنكارهم ليس بدعاً من القول ولا بدعاً من الزمان، وإنما هو إلف الكفار معك يا محمد ومع الأنبياء السابقين، فلا تبتئس لأفعالهم، ولا تحزن من أقوالهم، لأنهم مهما استطالوا في الافتراء على الأنبياء فإن العاقبة تنتظرهم، وإن السخرية من الأنبياء لم تكن عجيبة عند أهل مكة وإنما هي دأب المكذبين على مدى تاريخ الأنبياء.

والعجيب أن الآية جمعت بين لفظتين متشابهتين من صميم فعل الكافرين، وهو أن السخرية في قوله تعالى: {سَخِرُوا مِنْهُمْ}، والاستهزاء في قوله تعالى: {يَسْتَهْزِئُونَ}، وهكذا لا نجد إلا التوافق الأسلوبي في الآية الكريمة بين ما قبلها وما بعدها، وهذه الأمثلة يتضح منها جانبُ الرسوخ والمتانة والقوة في الوحدة العضوية والتناسق الأسلوبي القرآني.

### ز-الشاهد السابع:

قوله تعالى: {قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} [الأنعام: ١٥]، وقوله تعالى: {قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} [الزمر: ١٣].  
والسورتان مكيتان تبرزان معا جانبا مهما مشتركا في السورتين، وهو استحضار عظمة الملك الذي يستلزم جانب المخافة منه سبحانه وتعالى، وأن الخوف والرجاء من ثوابت الإيمان بعد سلامة العقيدة.

ونلاحظ أن السياق قبلها متشابه إلى حد كبير في موضوع مهم في السورتين، وهو أن تمام العبادة في الآيتين الكريمتين لا يتضح إلا بالخوف من الله عز وجل، وهكذا فإن قوله تعالى: {قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ}، جاءت الآية؛ لإظهار أن الإيمان لا يكتمل إلا بتمام الخوف من الله العلي العظيم.

### ح-الشاهد الثامن:

قوله تعالى: {وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}، حيث جاءت هذه الآية في ست سورة كريمة بنفس البناء التركيبي والدلالي والمعنوي، في سور مكية في المواضع نفسها وهي سور: يونس (٤٨) والأنبياء (٣٨) والنمل (٧١) وسبأ (٢٩) ويس (٤٨) والملك (٢٥).  
وبنظرة تأملية نلاحظ أن هذه الآية الواحدة قد تكررت في ست سور، هي نفسها مع اختلاف في السياق، الذي يسبقها وهو الرد على مزاعم الكفار المتوقعة، فهذه ظاهرة قرآنية جديدة، وهي أن تأتي آية واحدة في عدة مواضع بالترتيب نفسه، فإذا أردنا عمل تحليل دلالي لهذه المواضع فيما يسبق هذه الآية الكريمة، وما يأتي بعدها لوجدنا العجب العجاب، فقد تأكد لنا أنها جاءت تأكيدا لاعتراض الكفار على الإيمان باليوم الآخر، فمثلا: في سورة يونس (٤٨) سياق الآيات في الرد على مكذبي الحشر، وفي سورة الأنبياء (٣٨) سياق الكلام عن حقيقة الموت وما بعده.

وأما سورة النمل (٧١) فهو حديث عن الآخرة وإنكارهم إياها، وأما سورة سبأ (٢٩) فإن السياق هو الحديث عن علامات نبوته صلى الله عليه وسلم، وأما سورة يس (٤٨) فإنها جاءت في سياق الإنكار المتكرر من الكفار لآيات العظمة للخالق سبحانه وتعالى. وأخيراً تأتي آية سورة الملك (٢٥) فإن الذي سبقها هو الحديث عن مظاهر العظمة في الإنشاء والخلق والإيجاد لله سبحانه وتعالى ثم الحديث عن الحشر.

#### رابعاً - تميز كل سورة بسمه خاصة:

#### ونبين ذلك من خلال مثالين:

أ- جاءت سورتا الأنعام والأعراف تعالجان موضوعاً وأحدًا وهو موضوع العقيدة، ولكن نجد سورة الأنعام تعالج العقيدة في حد ذاتها، وتعرض موضوع حقيقة الألوهية، وتواجه جهالة العرب في حينها، وتستصحب معها في هذه المواجهة مجموعة من المؤثرات وذكر للمعجزات الكونية ومشاهد الغيب في أبداع لون من ألوان التناسق.

أما سورة الأعراف فتعرض موضوع العقيدة من طريق آخر، فهي تعرضه في مجال التاريخ البشري، وفي مجال رحلة البشرية كلها مبتدئة بالجنة والملا الأعلى، وعائدة إلى النقطة التي انطلقت منها<sup>(١)</sup>.

ب - أما المثال الآخر: ففيه بيان لآيتين متشابهتين وردتا في سورتين مختلفتين مع ظهور سمة كل سورة في الآية التي وردت فيها.

ففي سورة إبراهيم ورد قوله تعالى: ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، وفي سورة النحل، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨]، فالآيتان في بيان كثرة النعم على العباد، وجاءتا بعد تعداد جملة من النعم؛ إلا أنه لما كانت سورة إبراهيم أكثرها في بيان أحوال الكفار وأن أكثر الخلق هالك معرض عما يأتيه من نعمة الهداية، ختم الآية ببيان ما اقتضى ذلك من صفات، وهي: الظلم والكفر وهما ينافيان صفة الشكر.

ولما كانت سورة النحل سورة النعم وقد ابتدأت بالنهاي عن استعجال العذاب؛ لأن الرحمة أسبق، ومن الرحمة إمهال الناس وإمتاعهم بالمنافع ناسب ختم الآية بالمغفرة.

(١) خصائص الأسلوب القرآني، دكتور أبو بكر محمد فوزي البخيت ص ١٣٦

فهذه جملة من الأمثلة تبين تميز كل سورة بسمة تضي لونا بديعاً من ألوان التناسب بين آيات السورة.

وهكذا تعرفنا في هذا الفصل على خصائص الأسلوب القرآني من حيث الماهية والتناسب والائتلاف بين سورته ومعانيه وترتيبه، وعرفنا مجموعة من مواضع هذا التألف على سبيل الإجمال، ورأينا ما في ذلك من جماليات وتفرد لأسلوب القرآن الكريم دون غيره من كلام العرب خاصة والكلام عامة، نتعرف في الفصل التالي على بلاغة القرآن الكريم وأسرارها، ونتناول جانباً تطبيقياً من الأمثلة والشواهد على ذلك بفضلته تعالى.

## الفصل الثالث

### أسرار البلاغة القرآنية

المبحث الأول: بلاغة اللفظ القرآني، واتساع دلالاته بالجمع بين الحقيقة والمجاز.

المبحث الثاني: بلاغة اللفظ القرآني في جمعه بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي.

المبحث الثالث: عناية اللفظ القرآني بالفروق المعجمية بين الألفاظ ومناسبتها للسياق ومقاماته.

المبحث الرابع: بلاغة اللفظ القرآني والمشارك اللفظي.

المبحث الخامس: بلاغة اللفظ القرآني، واتساع دلالاته من خلال المتواطئ.

## مدخل:

يزخر كتاب الله عز وجل بوجوه إعجاز متعددة ومتنوعة لا حصر لها، ومن وجوه ذلك: روعة القرآن في ألفاظه ومعانيه بما نلحظه - دوماً - من تفرّد في لفظه ومعناه وصورته البلاغية التي أبهرت الشعراء والأدباء قديماً وحديثاً، إضافةً لدقته في استخدام الألفاظ والمفردات بحيث لا نستطيع بأيّ حالٍ من الأحوال إزالة لفظة ووضع بدلاً منها لفظة أخرى، وإلا اختلف المعنى حتى ولو كان قد حُيِّل إلينا أنّ الكلمات متردفة؛ فالكلمة كما نبه على ذلك عبد القاهر الجرجاني إنما تكتسب قيمتها وأهميتها من سياقها التي قد وُضعت فيه، وبالتالي فلا قيمة للفظة المفردة مقطوعة عن سياقها والقرآن الكريم مُتفردٌ في هذه المسألة؛ إذ يعجز البشر عن الإمام بجميع جوانبها؛ فلو وجدنا من يتخير الدقة في استخدام الكلمات القوية غفل عنه المعنى، ومن كان اهتمامه منصبا على المعنى والمضمون غفل عنه اللفظ وإحكامه، ومن حاول المزج بينهما - وهو نادر - وجدناه يغفل عن ربط ذلك بالسياق، ومن حاول فعل ذلك وربطه بالسياق القريب وجدناه يغفل عن السياق العام، ومن وجدناه يحرص على كل ذلك وجدناه ينجح في موضع أو موضعين من كلامه كله؛ فأبي قدرة بشرية تتحمل مثل هذه الدقة المعجزة التي جاء بها القرآن، فإن كان كل ذلك الجهد والتعب والإرهاق والوقت الذي يُرهق به الإنسان نفسه في محاولته إحكام كلمة أو كلمتين من كلامه، فما بالكم إن هو تمنى فعل ذلك في كلامه جميعه، تُرى فهل يستطيع؟!!

وعلى النقيض من كل ما سبق فإننا وجدنا كل ذلك - وزيادة - داخل القرآن الكريم؛ فوجدناه يتخير اللفظة المفردة تحيراً دقيقاً جداً؛ لتدل على معانيها في دقة وإحكام، في مناسبتها لسياقها العام والخاص من جهة، ودقتها في موضعها من جهة، وتوافق لفظها مع مضمونها من جهة، لدرجة أننا نلاحظ توافقاً بين حروف اللفظة نفسها مع بعضها واتساق الحرف مع الحرف ليبيّن من ذلك كله شبكة كبرى من العلاقات التضامنية التي توضح القضية المعروضة في شكلٍ يُبهر العقل ويُعجزه.

البلاغة القرآنية وأوجه الإعجاز فيها: يُعدّ إعجاز اللفظ القرآني وبلاغته أبرز أنواع الإعجاز على الإطلاق، ونقصد به: دقة اختيار القرآن الكريم لألفاظه ذات الدلالة المعجمية

المطابقة لسياقها ومقامها أتم المطابقة؛ بحيث لا يصلح أن تحل كلمة مكان تلك الكلمة القرآنية المختارة لسياقها<sup>(١)</sup>.

والمتدبر لهذا النوع من إعجاز القرآن يلحظ مجيئه على عدة أنماط في القرآن الكريم، وقد اجتهدنا في الإلمام بهذه الأنماط، فوجدناها - في غالب الأمر - تدور حول خمسة أنماط تدور في فلك البلاغة القرآنية بما تشتمل عليه من دقائق وأسرار تحوي لطائف وكنوز تُغني من أراد الغنى وتروي كل ذي ظمأ، وترشد كل حائر بأنوارها البهية التي تعكس قدرة إعجازية إلهية تثبت - بلا ريب - أن القرآن الكريم ليس بكلام بشري، وإنما كلام من خلق الأكوان والبشر، وسنتناول في الصفحات القادمة مجموعة من المباحث التي نُفِّد فيها تلك الأنماط الخمسة، داعمين إياها بكثير من الشواهد والنماذج القرآنية التي تثبتها.

وخلال المبحث التالي نتعرف على بلاغة اللفظ القرآني، واتساع دلالاته بالجمع بين الحقيقة والمجاز حيث نتعرف من خلاله على أنواع الحقيقة والمجاز، حيث يجمع القرآن في كثير من آياته بين الحقيقة والمجاز؛ ليعطي جانباً إعجازياً مليئاً بالأسرار والجمال.

## المبحث الأول

### ( بلاغة اللفظ القرآني واتساع دلالاته بالجمع بين الحقيقة والمجاز )

اشتمل القرآن الكريم على الحقيقة والمجاز جرياً على اللغة العربية، فقد نزل بلسان عربي مبين، مما أعطى للقرآن شطر الجمال، ولا شك أن التعبير بالشيئين أوسع وأجمل وأبلغ من التعبير بالشيء الواحد خصوصاً بالمجاز، وسيما وأن التعبير بالمجاز فيه توسع أكثر من التعبير بالحقيقة.

ولا نزاع في استعمال القرآن للحقيقة بين العلماء، ولكن النزاع في استخدامه للمجاز، إذ قيل إن الله لا يعجز عن مخاطبة البشر بالحقيقة فلماذا يلجأ إلى المجاز، وقيل إن المجاز قد يحتوي على كذب، والكذب محال على الله سبحانه، ورد ذلك الجمهور لضعف الشبهة، وأن

(١) [لمزيد من التفاصيل، انظر في ذلك]: "من بلاغة القرآن"، د/ أحمد أحمد بدوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ٢٠٠٣م، ط١، ص(٤٩-٦٣)، وانظر: "بلاغة القرآن"، د/ عبد الحميد هنداوي، دار الهاني، مصر، ٢٠٠٥م، ط١، ص(٥)، وانظر - كذلك - "جماليات الاتساع في المعنى وتعددته"، د/ عبد الحميد هنداوي، دار الهاني للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت، د.ط، ص(٩)، وانظر: "بلاغة الكلمة في التعبير القرآني" د/ فاضل صالح السامرائي، دار ابن كثير، بيروت، لبنان، ٢٠١٩م، ط٣، ص(٥-٧).

به الصدق وبه البلاغة المتزايدة، وأنه يلزم من سقوط المجاز سقوط الحذف والتوكيد وتكرار القصص، ولما كان ذلك واقعا في القرآن كان المجاز واقعا إذ هما سيان، وإنما يعدل عن الحقيقة إلى المجاز لمعان وفوائد بلاغية كتأكيد المعنى بتجسيده أو بتشخيصه وتصويره بعبارات موجزة، وكل مجاز له حقيقة لأنه فرع منها.

المعنى اللغوي للحقيقة . مأخوذ من حق الشيء أي ثبت ووجب، واستحق الشيء استوجبه، والحقيقة أي الواقع المتحقق، والحقيقة ضد المجاز، والحق ضد الباطل، والحق من أسماء الله الحسنى ومن معانيه الواجب الوجود الثابت لذاته، فهو لا يتغير ذاتا ولا صفة ولا أسماء، وأفعاله لا يستطيعها الخلق، وأما المعنى الاصطلاحي للحقيقة هو اللفظ المستعمل فيما وُضِعَ له، أي ثبت استعماله ووجب واستقر في معناه الأصلي دون تجاوز.

والمجاز: مصدرا ميمي لـ (جاز) على وزن (مَفْعَل)، بمعنى حدث التعدي والانتقال، وقد يأتي (أجاز) و(جاوز) بمعنى (جاز).

أما معناه الاصطلاحي فهو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له في اللغة أو الشرع أو العرف، وذلك لمناسبة بينهما مع قرينة مانعة من المعنى الحقيقي، أي أن اللفظ تعدى الحقيقة في الاستعمال، والمناسبة تكون أما مشابهة كما في الاستعارة، أو غير مشابهة كما في المجازين المرسل والعقلي.

وباعتبار الحقيقة والمجاز مصادر، فإنها تعبر عن المعاني المجردة أي عن المعقولات، شأنها شأن الصدق والكذب، والعلم والجهل، وقرينة المجاز أي ما يصاحبه من مقال أو حال.

وأنواع الحقيقة ثلاثة هي:

١ . الحقيقة اللغوية وهي الألفاظ المستعملة في معاني كلام العرب الفصحاء، مثلاً: (الصلاة) في كلام العرب تعني الدعاء، ومثلاً: رأيت أسداً يفترس، فكلمة (أسد) حقيقة أنه يفترس.

٢ . الحقيقة الشرعية: وهي الألفاظ المستعملة في معاني الشريعة، نحو (الصلاة) هي العبادة المعروفة المفتحة بالتكبير المختمة بالتسليم المشتملة على أفعال، وأقوال مخصوصة شرعية.

٣ . الحقيقة العرفية، وهي إما عامة تعارف عليها كل الناس، أو جلهم في بلد ما أو كل البلدان، مثل دابة على الحيوان المشي على أربع أرجل، مع أنه في اللغة كل من يدب على الأرض، ومثل (اللحم) المتعارف عليه لحم الحيوان البري مع أن السمك يسمى لحمًا في اللغة، وإما خاصة يتعارف عليها جماعة من الناس، نحو لفظ (الذرة) في العرف الفيزيائي هي وحدة بناء المادة، وهي عبارة عن نواة يدور حولها إلكترونات بينما في اللغة هي النملة الصغيرة جداً أو الشيء الصغير جداً، ومثل (الخلية) في العرف الحيويين، هي وحدة بناء الكائن الحي، وفي اللغة تطلق كذا على خلايا النحل .. ونحوها.

وقرائن المجاز أما أن تعرّف من اللفظ وحينها تسمى مقالية (أو لفظية أو سمعية) أو تُعرّف بملايسات الكلام من الأحوال وحينها تسمى حالية (أو معنوية أو عقلية)، وقد تذكر القرينة في موضع منفصل عن المجاز، فإطلاق الظلم على الشرك فقط في آية الأنعام هو مجازي، لأنه أعم، فهو من باب تسمية الجزء بالكل.

ومن الوجوه التي تتعدد بها الدلالة وتتسع؛ إذ تُحمل الكلمة على الحقيقة والمجاز، وأمثلة ذلك عديدة في كتاب الله تعالى عزّ وجلّ، ومن ذلك: كلمة: [ الثياب ] في قوله تعالى: ﴿وَيُثَابِكَ فَطَهَّرَ﴾ [المدثر: ٤]؛ فقد رجح أبو حيان<sup>(١)</sup> الحقيقة رغم حكايته للأقوال المرجحة للمجاز.

- واختار أبو حيان أن "الظاهر أنه أمر بتطهير الثياب من النجاسات؛ لأنّ طهارة الثياب شرط في صحة الصلاة.

والقول إنها الثياب حقيقة هو قول ابن سيرين وابن زيد والشافعي".

وقد حكى ابن كثير الأقوال السابقة، ثم رجح الجمع بين الحقيقة والمجاز، فذكر من ذهب إلى المجاز كقول القائل: "لا تلبسها على معصية ولا على غدره، ثم قال: أما سمعت قول غيلان بن سلمة الثقفي:

فإني بحمد الله لا ثوب فاجر لبست ولا من غدره اتقنع  
- وقال عمرو بن معد يكرب:

(١) لمزيد من التفاصيل حول آراء العلماء والمفسرين، انظر: "البحر المحيط"، أبو حيان الأندلسي، مكتبة ومطبعة النصر الحديثة، الرياض، د.ت، د.ط، (٨ / ٣٦١).

إذا المرء لم يندس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميلٌ وقال سعيد بن جبير: في قوله تعالى (وثيابك فطهر) قلبك ونيبتك فطهر أما وجمهور المفسرين من السلف ومن بعدهم على أن المراد بالثياب هاهنا القلب، والمراد بالطهارة إصلاح الأعمال والأخلاق<sup>(١)</sup>.

نخلص من هذا لكون السياق في هذه السورة الكريمة يحتمل الجمع بين المعاني المذكورة في هذه الآية سواء أكان حقيقة أم مجازاً؛ وذلك لأنَّ الدَّاعي إلى الله من أكرم الرسل وينبغي أن يجتمع له صلاح الظاهر والباطن المشتمل على حسن المظهر والمخبر. ومن الشواهد المُعبِّرة - كذلك - عن الجمع بين المعنيين الحقيقي والمجازي في القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾ [البقرة: ١٩٧]؛ حيث جعل الزاد جنساً يشمل كلاً النوعين الحقيقي الحسي المعهود، أو المجازي المعنوي وهو تقوى الله تعالى؛ فحمل الزاد على معنبيه الحقيقي والمجازي.

## المبحث الثاني

### (بلاغة اللفظ القرآني في الجمع بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي)

نزل القرآن الكريم بلغة العرب، ووقع فيه من الألفاظ ما لها دلالات خاصة في الشرع لم تكن معروفة قبل عند العرب، وهذه الألفاظ هي مصطلحات وأسماء شرعية، مثل أَلْفَاظِ الْجَنَّةِ والنار، والصلاة والزكاة، والعمرة والحج، البعث والنشور، وغيرها من الكلمات التي صار لها مدلول خاص عند المسلم، فإذا سمع أحد هذه الألفاظ تبادر إلى ذهنه المعنى الشرعي لها. والمقصود هنا أنه إذا اختلف المعنى الشرعي والمعنى اللغوي فإنَّ المقدم المعنى الشرعي؛ لأنَّ القرآن نزل لبيان الشرع لا لبيان اللغة، إلا أن يكون هناك دليل يترجح به المعنى اللغوي، فيؤخذ به، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾ [التوبة: ٨٤] ففي قوله: ﴿وَلَا تُصَلِّ﴾ احتمالان:

الأول: الدعاء، وهذا هو المعنى اللغوي.

الثاني: الوقوف على الميت للدعاء له بصفة مخصوصة.

(١) قام الإمام ابن كثير بتجميع آراء كثير من العلماء حول هذه المسألة في تفسيره: " تفسير القرآن العظيم"، الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، السعودية، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ط٢، (ج ٨ / ص ٢٦١-٢٦٥).

فيقدم هذا المعنى الشرعي؛ لأنه المقصود للمتكلم المعهود للمخاطب.  
ومما دل الدليل فيه على إرادة المعنى اللغوي مع احتمال الشرعي قوله تعالى: {خُذْ مِنْ  
أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ} [التوبة: ١٠٣].

وقوله تعالى: {وَصَلِّ عَلَيْهِمْ} أي: ادع لهم، ويدل على ذلك ما رواه مسلم عن عبد الله بن  
أبي أوفى قال: «كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أتى بصدقة قوم صَلَّى عليهم، فأثاه أبي  
بصدقة فقال: «اللهم صلِّ على آل أبي أوفى»<sup>(١)</sup>

وقد ذهب ابن كثير<sup>(٢)</sup> في تفسيره في أكثر من موضع إلى جواز الجمع بين المعنى اللغوي  
العام والمعنى الشرعي الخاص ما دام السياق محتملاً لهما، وقد أورد لذلك أمثلة شتى من  
القرآن الكريم، ومنها قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٤]؛ فقد حكى أقوال  
المفسرين هنا في معنى الزكاة، وهي لا تخرج عن معنيين:

[أ] المعنى الشرعي: وهو الزكاة الشرعية، (بمعنى إخراج قدر محدود من المال إلى  
مستحقيها بشروطها)، وهي إما المفروضة على القول المرجوح؛ وإما بمعنى الصدقة وقد  
كانت مشروعة آن ذاك.

[ب] المعنى اللغوي: وهو يرجع في أصله إلى معانٍ، منها: الطُّهر والنماء والصلاح،  
فكأن المقصود هنا هو تطهير النفس وإصلاحها وتنمية جوانب الخير فيها، على نحو قوله  
تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ [الأعلى: ١٤]، وقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [الشمس:  
٩].

وبعد حكايته للقولين الواردين في هذا الموضوع قرر مذهبه في جواز الجمع بين كلا  
المعنيين اللغوي والشرعي بشرط احتمال السياق لهما؛ فالسياق سياق ذكر لجملة من  
الخصال الحميدة التي اتصف بها المؤمنون، واستحقوا بها المدح والثناء من الله تعالى.

وهناك شواهد أخرى كثيرة على مسألة جمع القرآن الكريم بين المعنيين اللغوي والشرعي،  
ومنه - كذلك - ما أشار إليه ابن كثير في تفسيره بعد جمعه لآراء العلماء والمفسرين  
والمفاضلة بينهم وترجيح أقواهم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ  
بِهَا﴾ [الإسراء: ١١٠]؛ فقد أورد ابن جرير الأقوال في معنى الآية، وحاصلها:

١- قسم حمل الصلاة على المعنى اللغوي وهو الدعاء.

(١) انظر: «البرهان في علوم القرآن» (٢/ ١٦٧)؛ و «أصول التفسير» لابن عثيمين (ص ٢٩، ٣٠).

(٢) «تفسير القرآن العظيم»، ابن كثير، مرجع سابق، (ج ٥ / ص ٤٦٢).

٢- قسم حملها على المعنى الشرعي المعروف بما تشتمل عليه من قراءة وذكر.

٣- قسم حملها على بعض أجزاء المعنى الشرعي وهو القراءة؛ فكأنه جعلها من المجاز المرسل ذي العلاقة الجزئية.

ولا بد لنا في هذا المبحث أن نذكر أن العرب كانوا يحملون كلام الله على الأغلب المعروف من لغة العرب، دون إنكار المجهول أو الشاذ.

وذلك أن يكون للكلمة في لغة العرب أكثر من معنى؛ فيختار المفسر المعروف الأغلب إلا أن يقع دليل على غير ذلك، مثال: قوله تعالى: {لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا} [النبأ: ٢٤]. قيل في البرد قولان:

الأول: هو برد الهواء الذي يبرد جسم الإنسان، الآخر: النوم.

وقال ابن جرير معلقاً على القول الآخر: «والنوم وإن كان يبرد غليل العطش، فليل له من أجل ذلك: البرد، فليس هو باسمه المعروف، وتأويل كتاب الله على الأغلب من معروف كلام العرب دون غيره»<sup>(١)</sup>.

ونتعرف في المبحث التالي على عناية اللفظ القرآني بالفروق المعجمية ومناسبته للسياق القرآني.

### المبحث الثالث

## (عناية اللفظ القرآني بالفروق المعجمية بين الألفاظ، ومناسبته

### للسياق ومقاماته)

إن الناظر في القرآن الكريم يلحظ بعد طول مؤانسته له أن القرآن الكريم يراعي بدقة الفروق المعجمية بين الكلمات بعضها وبعض موافقا للسياق الوارد فيه الكلمة ومناسبا له، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور: ٢٧].

(١) «إعراب القرآن» (٥ / ١٣٢)، وانظر: «القطع والائتلاف» للنحاس (ص ٧٥٨)؛ و«التحرير والتتوير» (٣٠ / ٣٧).

والناظر في الآية السابقة يلحظ أنّ هناك مفاضلة بين كلمتي: [تستأنسوا - تستأذنون]؛ فقد وردت كلمة: [تستأنسوا] في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور: ٢٧].

قال الألوسي<sup>(١)</sup>: [حتى تستأنسوا] أي تستأذنون من يملك الإذن من أصحابها، وقال الزمخشري<sup>(٢)</sup>: "تستأنسوا" فيه وجهان:

- أحدهما: أنه من الاستئناس الظاهر الذي هو خلال الاستيحاء، فإذا أذن له استأنس، فالمعنى: حتى يؤذن لكم.
- الآخر: أن يكون من الاستئناس الذي هو الاستعلام والاستكشاف؛ أي تعرفت واستعملت.

نخلص مما سبق إلى أنّ معنى الاستئناس الوارد بالآية ليس مجرد معنى الاستئذان كما خُيِّلَ للقائلين بذلك، وإنما هو حس الإيناس لأهل البيت قبل دخوله؛ إذ إنّ كلمة [الاستئناس] تحمل دلالات ومعانٍ كثيرة لا يمكن التعويض عنها بكلمة واحدة أو لفظة واحدة، فهي تحمل في طياتها معاني الاستعلام والاستئذان والاستكشاف الذي يحدث بطرق وأشكال عدة، منها: [التتحنح/التكبير/السلام على أهل البيت] وهكذا.

ونحن إن أردنا ملاحظة ذلك بكثرة لوجدنا القرآن الكريم يمتلأ بشواهد كثيرة، ومما وقعت عليه أفئدتنا من مراعاة اللفظ القرآني للفروق المعجمية، قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ [يوسف: ١٧]؛ إذ نلاحظ إيثار كلمة [مؤمن] على نظائرها، مثل: [مؤمن / مصدق، وغيرهما]؛ حيث تفيد من المعنى ما لا تفيد لو قال: (بمصدق لنا ولو كنا صادقين)، وذلك لأن قوله: (بمؤمن لنا)، أي: لست مصدقاً لنا تصديق يقين واطمئنان وركون لما نقول حتى لو علمت أن كلامنا يوافق الواقع، فلو أنه جاء بلفظة (بمصدق) بدل لفظه (بمؤمن)؛ لذهب هذا المعنى، مع أن اللفظين تشتركان في معنى التصديق.

(١) "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع مثاني"، الألوسي، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د.ت، د.ط، (ج ١٨ / ص ٧٥).

(٢) "الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجه التأويل"، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، د.ت، د.ط، (ج ٤ / ص ٢٥٦).

ومن ذلك - أيضا - الفارق بين بضع كلمات وردت في القرآن، وهي: [ الضَعْف / الضَعْف / الوهن / الاستكانة ]، وفيها يقول يقول أبو هلال العسكري في كتابه الماتع: "الفروق اللغوية": الفرق بين الضَعْف والضعف: أن (الضعف) بالضم يكون في الجسد خاصة، وهو من قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾ [الروم: ٥٤]، بينما (الضعف) بالفتح يكون في الجسد والرأي والعقل، كأن يُقال: في رأيه ضَعْف ولا يقال فيه ضَعْف<sup>(١)</sup>.

أما الفرق بين الضعف والوهن: أن الضَعْف ضد القوة وهو من فعل الله تعالى، ومنه قوله تعالى: ﴿وَوَخَّلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]، أما الوهن فهو أن يفعل الإنسان فعل الضعيف، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]، أي لا تفعلوا أفعال الضعفاء وأنتم أقوىاء على ما تطلبونه بتدليل الله إياهم لكم)، ويجوز أن يقال إن الوهن هو انكسار الحد والخوف ونحوه، والضعف نقصان القوة.

أما مصطلح الاستكانة فقد قيل عنه: إنه إظهار الضعف والميل إلى التخاذل، وفيه يقول عز وجل: ﴿وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا﴾ [آل عمران: ١٤٦].

ومن ذلك - أيضا - الفارق بين كلمتي: [ سبل - فجاج ]، يقول عز وجل: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَّكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى﴾ [طه: ٥٣]؛ فقوله: [سُبُلًا] تدل على كل سبيل مُتَخَلِّلٍ في الأرض يمكن السير فيه سواء كان من أصل خلقة الأرض أو كان من أثر فعل (الناس)، وفي ذلك كناية عن كثرتها في الأرض، وقد قيل: إنَّ "السبل: الطرق، والفجاج جمع فج، وهو الطريق الواسعة"، وقيل كذلك: إنَّ الفج هو: الطريق الواسع<sup>(٢)</sup>.

نخلص مما سبق إلى أن كلمة: [ السبل ] وهي جمع سبيل، هي: طريق ممتد ممهد، وهو مظنة اهتداء السالك له إلى حيث يقصد ويريد إذا قصد إلى سواء السبيل ولم يتعوج يمينا

(١) انظر تفصيل ذلك في: " الفروق اللغوية"، أبو هلال العسكري، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت، ط١، ص(٢٤٦-٢٥٣) (بتصرف).

(٢) ينظر: " الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ٢٠٠٦م، ج ١٤، ص(٧٨) - وانظر كذلك: " الكشاف"، الزمخشري، مرجع سابق، تفسير سورة الأنبياء، ص(٦٧٧).

وشمالاً، ويؤكد اقترانها بالهداية قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥) وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (١٦)﴾ [النحل: ١٦]، وقوله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿فَجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣١]؛ الفجاج، وإن اشتركت مع السُّبُل في معنى الطريق فإنها تختص عنها بسمه الاتساع، ومن ثمَّ يختص السبيل بالتمهد والاستواء، وتختص الفجاج بالاتساع.

وقد قُدِّمَت [ الفجاج ] على [ سبلاً ] في سورة الأنبياء، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣١]؛ حيث السياق هنا سياق بيان عجائب الخلق، وما أودع في الأرض من الجبال الرواسي والفجاج الواسعة وغير ذلك؛ ثم أتبع ذلك بنعمة كونها سبلاً ممهدة، يهتدي بها من باب التتميم للنعم<sup>(١)</sup>.

ومن الشواهد الدالة أيضاً على مراعاة اللفظ القرآني للفروق المعجمية الفارق بين لفظتين وردتا في نفس القضية القرآنية، ولكن في سورتين مختلفتين، وهما: [ انبجست / انفجرت ]، وقد وردت اللفظتان في قوله تعالى:

• لفظة: [ انبجست ] في سورة الأعراف في قوله عز وجل: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّٰنَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٠].

• لفظة: [ انفجرت ] في سورة البقرة في قوله عز وجل: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ كُلُّوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة: ٦٠].

ولعلنا نطرح سؤالاً مهماً وهو لماذا جاءت لفظة: [ انبجست ] في سورة الأعراف بينما جاءت لفظة: [ انفجرت ] في سورة البقرة على الرغم من كون اللفظتين تتحدثان عن نفس الموضوع ونفس القضية؟

(١) [ لمزيد من الشواهد التحليلية، انظر ]: " بلاغة القرآن"، د/ عبد الحميد هنداوي، دار الهاني، مصر، ٢٠٠٥م، ط ١. وانظر: " جماليات الاتساع في المعنى وتعددده"، د/ عبد الحميد هنداوي، دار الهاني للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت، د.ط.

ونحن إذا شئنا أن نقوم بتحليل ذلك تحليلاً بلاغياً، قلنا: إنَّ كل فعل هذين الفعلين: [انبجست / انفجرت] يدل على اندفاع الماء من الحجر بعد أن قام سيدنا موسى عليه السلام بضربه بعصاه، إلا ان هناك فارقا في الدلالة بينهما، ومما يجب أن نتيقن منه أن القرآن لا يأتي بأي لفظ، ويضعه في موضع ما ويكون هذا الموضع غير دقيق، فلا بد إذن من فروق، وهي بالفعل فروق دقيقة جدا، ومنها:

١- أن الانبجاس هو مقدمة الانفجار، أو المرحلة الممهدة له.

٢- أن الماء المندفَع مع الانفجار أغزر وأكثر من الانبجاس.

ومن خلال هذين الفارقين اللذين قمنا بتوضيحهما يتجلى لنا وجه الدقة في مُلاءمة كُلِّ لفظ من هذين اللفظين لموضعه من السياق والمقام.

ونحن إن أردنا - كذلك - الاجتهاد في تجلية الجانب الإعجازي من خلال إيثار لفظة على أخرى في موضع عن آخر لوجدنا أن:

١- سورة الأعراف هي السابقة في النزول على سورة البقرة؛ ومن ثم كانت ملاءمة لتكون هي المرحلة السابقة أو المقدمة، ومن هنا جاء لفظ: (الانبجاس) في سورة الأعراف الذي يتوافق مع هذه الدلالة، وكذلك ملاءمة لفظ [ الانفجار ] للمرحلة التالية، أو اللاحقة، أو النتيجة المرحلة اللاحقة أو النتيجة (الانفجار) لسورة البقرة! وهذا من دقة القرآن الكريم في دقة اختيار الكلمات، وربطها بسياقها، ومقامها ربطا بديعا يتخطى قدرة العقل البشري على مجاراته، أو الوقوف متحديا إياه!

٢- إنَّ كلا من الآيتين قد تضمن السياق فيهما طلباً للسقيا، غير أن سياق الأعراف كان موجهاً إلى موسى عليه السلام من قومه (إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ)، أما في سياق البقرة فقد جاء موجهاً إلى الله عز وجل من موسى.

٣- في كلا السياقين توجه الخطاب بصيغة الأمر إلى بني إسرائيل، غير أنه في سياق الأعراف - حيث قلة الماء "مع الانبجاس" - توجه الأمر إليهم بالأكل فقط { فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعَثُّوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ } [البقرة: ٦٠] ، أما في سياق البقرة - حيث غزارة الماء (مع الانفجار) - فقد توجه الأمر إليهم بالأكل والشرب معاً (فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ).

نخلص في النهاية للقول إن كتاب الله كتاب معجز وافر بالشواهد والأدلة ﴿ لَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ [الفرقان: ٦٢].

وبعد أن تعرفنا على بلاغة الفروق المعجمية من خلال الأسلوب القرآني نتعرف في الصفحات التالي من خلال المبحث التالي على بلاغة اللفظ القرآني من خلال المشترك اللفظي، فننتعرف على المقصود من المشترك اللفظي، ومواضعه البلاغية والإعجازية في القرآن الكريم .

## المبحث الرابع

### (بلاغة اللفظ القرآني من خلال المشترك اللفظي)

المقصود بمفهوم المشترك اللغوي، هو أن يشترك لفظان فأكثر في معنى واحد، وهو المسمى بالترادف، فإذا تعددت المعاني الحقيقية للفظ الواحد فهذا ما يعرف بالمشترك اللفظي سواء أكانت هذه المعاني متقاربة بالدلالة أم مختلفة، ومن هنا فقد عرف العلماء المشترك اللفظي على أنه اللفظ الواحد يحصل له أكثر من معنى<sup>(١)</sup> وبالنظر فإننا وجدنا أن المشترك اللفظي قد يُؤتى به لغرض بلاغي أو نكتة جمالية، ومن الشواهد الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ﴾ [التكوير: ١٧]، والناظر في الآية السابقة يلحظ كلمة: [عَسَسَ]، ومن المعروف لغةً أن هذه الكلمة تأتي لبيان معاني الإقبال والإدبار؛ فأقبال الليل والنهار هما ساعتان شريفتان لهما لكل منهما خصوصيته؛ ولذلك فإنه من غير المستبعد - إطلاقاً - أن يُراد بالقسم كلاً من هاتين الساعتين الشريفتين، وسياق الكلام يساعده ولا يعارضه<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر تفاصيل تعريفات العلماء والأصوليين واختلافاتهم للمشترك اللفظي لغةً واصطلاحاً في: "الكتاب"، سيبويه، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط٣، ١٩٨٨م، مكتبة الخانجي، القاهرة، (٢٤/١)، وانظر: "الأضداد في اللغة"، محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ١٩٨٧م، صيدا، بيروت، لبنان، ص(٧٠)، وانظر: "الصاحبي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها"، أبو الحسين أحمد بن زكريا المعروف بـ ابن فارس، تحقيق: د/ عمر فاروق، مكتبة المعارف، بيروت، ط١، ١٩٩٣م، ص(٤٥٦)، وانظر: "المحكم والمحيط الأعظم في اللغة"، علي إسماعيل المعروف بـ ابن سيده، تحقيق: مصطفى السقا، د/ حسين نصار، مجموع المخطوطات بجامعة الدول العربية، مادة: [شرك]، وانظر: "شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول في الأصول"، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس القرافي، مكتبة البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، لبنان، ص(٣٠)، وانظر: "المزهر في علوم اللغة وأنواعها"، السيوطي، تحقيق: [محمد أحمد جاد المولى - محمد أبو الفضل - علي البجاوي]، مكتبة دار التراث، د.ت، ط٣، (٣٦٩/١).

(٢) انظر في ذلك: "تفسير القرآن العظيم"، ابن كثير، مرجع سابق، تفسير سورة التكوير، ج٨، ص(٣٢٨)، وانظر: "الجامع لأحكام القرآن"، القرطبي، مرجع سابق، ص(٩٣).

ومن الشواهد الدالة - كذلك - لفظ (قسورة) في قوله تعالى: ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ [المدثر: ٥١]؛ فقد ذكر ابن جرير<sup>(١)</sup> الاختلاف فيها؛ فمنهم من قال: الرُماة، ومنهم من قال هو الأسد.

إلا أنّ السياق لا ينفي أحد المعنيين بل يحتملها جميعاً؛ فالحُمر بلا شك تفر من الرُماة كما تفر من الأسد، ويؤيد ذلك مجيء قسورة منكراً.

ومن الشواهد الدالة - كذلك - لفظتي: [ريع / آية]، وقد وردتا في قوله تعالى: ﴿أَنْبِئُونَا بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾ [الشعراء: ١٢٨]؛ فمن المتعارف عليه أنّ لفظة [ريع] من المشترك اللفظي؛ إذ تعني الطريق أو الشرف وهو الموضع العالي أو المنظر، ولا مانع - على الإطلاق - من اجتماع هذه المعاني معا<sup>(٢)</sup>.

والمشترك اللفظي له علاقة وطيدة بالإعجاز البلاغي، حيث تتعدد في التعبير القرآني الدلالات والمعاني والوجوه والنظائر لألفاظ محددة. فالمشترك اللفظي ما اتحدت صورته وألفاظه واختلف معناه، ولولا تنوع الاستعمال لما تنوع معناه، وهذا ما جعل من هذه الكلمات قضية لغوية جديرة بالدراسة والبحث، وعامل من عوامل تنميتها وإثرائها، والتمكّن من دلالاتها.

وقد اختلف أهل اللغة في أمره، فمنهم من قال بوقوعه في اللغة كأصمعي والخليل بن أحمد وسيبويه وابن فارس وابن قتيبة وأبي عبيدة وغيرهم، وأفردوا مؤلفات خاصة سردوا له فيها أمثلة كثيرة، وهو عندهم سمة إيجابية ودليل على ثراء اللغة وطواعيتها ومرونتها واتساعها في التعبير. ومنهم من أنكر وجوده ووقوعه، لأنه عندهم طريق للإيهام والتعمية والغموض، ولذلك عملوا على تأويل أمثله تأويلاً يخرجها من هذا الباب، كأن يجعلوا إطلاق اللفظ في أحد معانيه حقيقة وفي المعاني الأخرى مجازاً، وفي مقدمة هؤلاء المنكرين - وهم قلة - «ابن درستويه. وفي هذا السياق قال السيوطي: «واختلف الناس فيه فالأكثر على أنه ممكن الوقوع..»

(١) انظر في ذلك: "جامع القرآن عن تأويل أي القرآن"، الطبري، تحقيق: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م، ج٢٤، ص(١٣٠).

(٢) انظر في ذلك: "المعجم الوسيط"، مجمع اللغة العربية، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٨م، ط٤، مادة: (الريع).

وقد عني عدد كبير من اللغويين والبلاغيين بظاهرة المشترك اللفظي، وتنبه العلماء له، وأشاروا إلى شواهد وإلى أثره الدلالي في بيان معاني القرآن، فالمشترك اللفظي من الظواهر الدلالية الخاصة؛ التي دعت عوامل متعددة لوقوعه، فكما تتطور الألفاظ وتتغير تتطور المعاني مع احتفاظها بأصواتها وصورها، فقد وردت ألفاظ كثيرة من المشترك اللفظي في آيات القرآن الكريم، وهذه طائفة من أمثلة المشترك التي وردت في القرآن الكريم :

١. الساعة: بمعنى الفترة القصيرة من الزمن وهي ما نعرفها بزماننا الحاضر بستين دقيقة، يقول سبحانه: (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۗ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ} [يونس: ٤٥]. فقد جاء لفظ ساعة في الآية الكريمة بمعنى فترة زمنية قصيرة في يوم القيامة وهي قدر ساعة من نهار.

وبمعنى يوم القيامة، جاء في قوله سبحانه: (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ۗ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ) الروم: "الآية" ٥٥. اللفظ الأول: بمعنى يوم القيامة. واللفظ الثاني بمعنى الساعة الزمنية.

٢. الجنة: بمعنى جنة الخلد: قوله تعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) البقرة: ٨٢. وقوله: (ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ) الزخرف: ٧٠.

والجنة بمعنى البستان: في قوله تعالى { أَيُّودٌ أَحَدَكُمُ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ } "البقرة: ٢٦٦". وقوله تعالى: (وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا) (الكهف: ٣٥). بمعنى حديقته أو بستانه.

٣. ضرب: بمعنى البناء: يقول سبحانه: (فَضْرِبَ بَيْنَهُمُ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ) {الحديد: ١٣}

وجاءت بمعنى ذهب وبعُد: قوله سبحانه: (لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) (البقرة ٢٧٣).

وبمعنى ضرب الجسد: مثل قوله سبحانه: {وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا} [النساء: ٣٤] وجاءت بمعنى

القتل: (فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ) {محمد: ٤}. أي اقتلوهم. وبمعنى مثل الله في قوله: (وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)، أي مثل للناس.

### المبحث الخامس

#### (بلاغة اللفظ القرآني، واتساع دلالاته من خلال المتواطئ)

يقصد بالألفاظ المتواطئة، هي أن يوجد اللفظ له معنى واحد، وهذا المعنى له أفراد كثيرون، مثل كلمة (إنسان) ، فإنها تصدق على زيد وعلى صالح ، وعلى ناصر ، وعلى محمد ، وعلى هند وعلى علياء ، وعلى زينب، وغير ذلك، وهذا ما يسمى اللفظ المتواطئ أي أن تأتي لفظة واحدة تصدق على أفراد كثيرين، مثل أيضاً كلمة ( بلد ) تطلق على مكة وجدة والمدينة والرياض، ومثلها كلمة (مدينة) أيضاً فهي متواطئ لفظي .

يشترط في هذا المتواطئ اللفظي : أن يكون صدق اللفظ على هذه الأفراد متساوياً، فلا فرق بين علي وناصر وسالم في صفة رجل، فكلهم رجل، لأن كلمة ( رجل ) تصدق عليهم بالتساوي.

ويفرق الأصوليون بين المشترك والمتواطئ وذلك أن: [اللفظ المشترك] هو اللفظ الواحد الموضوع لعدة معان وضعا أولاً، أما [المتواطئ] فهو لفظ يطلق على أشياء متغايرة، ولكنها متفقة في المعنى الذي وضع اللفظ له، مثل: لفظ " اللون"، وهي لفظة تحمل في مضمونها أشكالاً عدة؛ فالبياض لون، والسواد لون، والاخضرار لون، والزرقة لون، وكذلك فهناك على سبيل المثال لفظة: ومثل لفظ "جسم" فهي تطلق على السماء والأرض، والإنسان، والحيوان، وعلى كل شيء له ثقل ويشغل حيزاً؛ فقوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحديد: ١]، ورد فيه لفظ متواطئ يدل على العموم وهو لفظ "ما" فإنها تعني الإنسان، والملائكة والحيوان والجماد، ومن هنا نفهم أن اللفظ المتواطئ من ألفاظ العموم فاللفظ المتواطئ من ألفاظ العموم.

ومن الشواهد الدالة على اللفظ المتواطئ - كذلك - قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢]؛ إذ إن كل قسم من الأقسام الثلاثة الوااردة بالآية السابقة يضم هو في ذاته أصنافاً كثيرة؛ وعلى سبيل المثال لا الحصر فالقسم الأول وهو:

"الظالم لنفسه" فإنه يضم عدة أصناف فرعية، منها: [المضيق للواجبات - المنتهك للمحرمات].

وأما القسم الثاني، وهو [المقتصد] الوارد في الآية - كذلك - فإنه يضم في ذاته عدة أصناف، ومنها: [فاعل الواجبات - تارك المحرمات].

وكذلك القسم الثالث بالآية وهو: [السابق بالخيرات]، فإنه يضم عدة أصناف في ذاته، ومنها: مَنْ سَبَقَ فَتَقَرَّبَ بالحسنات مع الواجبات.

ولا يخلو اللفظ المتواطئ من قيمة جمالية تثير في العقل والفؤاد متعة العقل الراقي الذي يسبح بعمق وهدوء فتتجلى له من معالم الجمال والانتشاء ما يزيده عشقا للغته العربية وللقرآن العظيم، ولعل قيمته الجمالية ترجع إلى ما فيه من إيجاز إجمالي يُغني عن التفصيل. ومن أبرز الشواهد على اللفظ المتواطئ في القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ [التكوير: ٧]؛ فقد ورد في التفسيرات المختلفة أربعة تأويلات<sup>(١)</sup>:

- ١- التأويل الأول: يعني عُمِلَ بهن عمل مثل عملها، فيحشر العامل بالخير مع العامل بالخير إلى الجنة، ويحشر العامل بالشر مع العامل بالشر إلى النار، قاله عطية العوفي.
- ٢- التأويل الثالث: معناه ردت الأرواح إلى الأجساد، فزوجت بها أي صارت لها زوجًا.
- ٣- التأويل الرابع: أنه قرن كل غاو بمن أغواه من شيطان أو إنسان.

وبهذا يظهر لنا ما يوجد باللغة العربية من إعجاز بلاغي عظيم حتى إنه يستعمل أشمل الكلمات في لغة العرب لمعان عديدة مقصودة، وبذلك تكثر معاني القرآن الكريم مع الإيجاز، وهذا من آثار كونه معجزة خارقة لعادة كلام البشر، ودلالة على أنه كلام ربنا العليم الذي يعلم السر وأخفى وخلق اللفظ والمعنى، فلا يخفى عليه من أمرهما شيء.

وبعد أن عرضنا في هذا الفصل لأسرار البلاغة القرآنية، من حيث بلاغة الألفاظ القرآنية ودلالاتها نتعرف في الفصل التالي على الإعجاز في البيان القرآني، وتميزه، وتفرد، وجمعه لأسباب البلاغة وجمالها.

(١) انظر هذه التأويلات بالتفصيل في: "تفسير القرآن العظيم"، ابن كثير، مرجع سابق، ج ٨، ص (٣٣٢ - ٣٣٣).

## الفصل الرابع

### الإعجاز في البيان القرآني

المبحث الأول: تعريف البيان لغة واصطلاحًا

المبحث الثاني: وضوح البيان القرآني

المبحث الثالث: دقة تعبير القرآن

المبحث الرابع: جمع القرآن بين الإجمال والبيان

المبحث الخامس: طريقة القرآن الكريم في جمعه بين البيان والإجمال

## المبحث الأول

### تعريف البيان لغة واصطلاحاً

#### أولاً: توطئة:

لقد أنزل الله تعالى القرآن الكريم على أمة البيان، فلامس أسماعها ببيان لا أحلى، ولا أعذب ولا أجمل، ولا أروع منه! بيان يمتزج بأجزاء النفس لطافةً، وبالنعيم العلوي الأصيل إيقاعاً وجرساً، وما إن سمعه العرب حتى خالوه السحر يدبُّ في أجسادهم.

سجدت لهذا البيان أسماعهم وأفئدتهم قبل جباههم ورؤوسهم، بيان حلق بهم في دنيا لا عهد لهم بها، بل في سماء لا تدانيها سماء، حتى قال الوليد بن المغيرة: "إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو وما يعلى عليه، وما هو بقول بشر"، لما سمع من نبينا الكريم - صلى الله عليه وسلم - قوله جل وعلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

#### ثانياً: البيان لغة:

البيان: هو الوضوح، يقال: بان الشيء بيانا: اتضح، فهو بين، وهو ما بين به الشيء من الدلالة وغيرها<sup>(١)</sup>، ويصف الجاحظ البيان بقوله: "البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يغضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصولة كائنا ما كان هذا البيان<sup>(٢)</sup>".

ولقد حاز القرآن الكريم من البيان أعظم الرتب، وأرفع المنازل.

ولقد تنوعت الآيات التي وصفت القرآن الكريم بالبيان:

١ - فوصف الله القرآن كله بالبيان كما في قوله تعالى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٨]، وقال تعالى: ﴿وَوَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِّلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، فقد جاء البيان في الآية الأولى قبل الهدى والرحمة، وفي

(١) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، د.ت، ط ١، (٦٧/١٣).

(٢) البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، مكتبة الخانجي، القاهرة ٢٠٠٨، (٨٢/١).

الآية الثانية جاء البيان قبل الهدى والرحمة، وهذا يبين أنه لا وصول لطريق الهداية إلا بالبيان الذي جاء به القرآن الكريم<sup>(١)</sup>.

٢ - ووصف الله تعالى آيات القرآن بالبيان، كما في قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ} [البقرة: ٩٩]، وقوله تعالى: {وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُهُ بِإِمِينِكَ إِذَا لَأَزْتَابَ الْمُبْطِلُونَ} (٤٨) بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ} [العنكبوت: ٤٨ - ٤٩]، فالآيات واضحة الدلالات على ما اشتملت عليه من العلوم النافعة، فكيف يُطلب له دليل وهي الدليل؟ ولا أدل على بيانها من استقرار حفظها في الصدور، ولو كان فيها لبس أو غموض؛ لما تيسر حفظها ولما أُنقن ضبطها، فأضحى البيان مع سهولة حفظها في الصدور من خصائص هذا الكتاب العزيز<sup>(٢)</sup>.

### ثالثاً: علم البيان اصطلاحاً:

عرف العلماء علم البلاغة على أنه ذلك العلم الذي يمكن الإنسان من إظهار المعنى الذي يريده في الجملة التي يقوم بتكوينها ولكن بالعديد من الطرق، فقد أقر علماء اللغة أن علم البيان من أهم العلوم التي تتضمن تحت قائمة البلاغة. ومن المعروف أن البلاغة تتضمن علمين آخرين مع علم البيان، وهما علم البديع وعلم المعاني، ولكل علم من علوم البلاغة أقسامه والطرق التي يمكن أن يأتي بها في الجملة.

**وفي المبحث التالي نتعرف على وضوح البيان القرآني في ألفاظه ومعانيه التي تحمل أسراراً بيانية إعجازية تعبر عن مكنونات النفس وتتسم بالوضوح والجلال والأحكام والمعاني مما يبعث في النفس الإعجاب والإجلال والإيمان بأنه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.**

(١) خصائص الأسلوب القرآني دكتور أبو بكر محمد فوزي البخيت، جامعة الملك سعود، كلية التربية، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ ص ٢٦٨.

(٢) الكشاف للزمخشري، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض ط ١، مكتبة العبيكان، ١٩٩٨م ١٤١٨هـ (٤٥٨/٣).

## المبحث الثاني

### وضوح البيان القرآني

تتجلى عظمة القرآن الكريم في وضوح أسلوبه، ولو أن أديباً أو كاتباً أودع كتابه من فنون المحسنات اللفظية وألوان البديع، ثم خرج غامضاً مبهماً؛ لهجره الناس وعزفوا عنه، فالوضوح هو أصل البيان وأساسه، وما أرسل الله تعالى الرسل بلسان أقوامهم إلا ليبينوا لهم الدين ويوضحوا لهم الرسالة، قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}. [إبراهيم: ٤]

ولك أن تلتمس هذا البيان من جوانب عدة في أسلوب القرآن الكريم، ومن ذلك ما يلي:

#### أولاً - وضوح الألفاظ والمعاني:

فأنت تجد المعنى بعيداً عن التعقيدات، لا يحتاج إدراكه إلى مقدمات فلسفية، ولذا كانت معاني القرآن الكريم معجزة، كما قال الخطابي: "وأما المعاني فلا خفاء على ذي عقل أنها هي التي تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها والترقي إلى أعلى درجات الفضل من نعوتها وصفاتها" ويقول الزركشي: "فإن من استطاع أن يفهم بالأوضح الذي يفهمه الأكثرون، لم يتخط إلى الأغمض الذي لا يعرفه إلا الأقلون"<sup>(١)</sup>.

وبهذا الوضوح والبيان في الأسلوب عبر القرآن عن مكنونات الأنفس في مثل قوله تعالى: {وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [القصص: ١]، وقوله: {وَتَنْظُنُونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا} [الأحزاب: ١٠]، وعن مقالة العجاوات في مثل قوله تعالى: {حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} [النمل: ١٨].

#### ثانياً - وضوح الحجج والدلالات:

وهذا الوضوح في الحجج هو الذي قال الله تعالى عنه: {وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا} [الفرقان: ٣٣]، وقد أحسن ابن الوزير حين بين ما اختص به أسلوب القرآن الكريم من الوضوح بعدة أمور:

(١) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ١٣٧٧هـ - ١٩٨٥م، ط ١، مج ١ (٢٤/٢).

- أن هذه الحجج من أجمع العلوم أوضحتها في الإفهام.  
 - خلوها من فضول الكلام وحشوه الذي امتلأت به حجج أهل المنطق والكلام.  
 - سهولة فهم عباراته مما يورث النفع العام للخواص والعوام<sup>(١)</sup>.  
 وهكذا ترى أن أسلوب القرآن يجعل من مشاهدات الناس، وما ألفوه مادة لترسيخ الدلالات والحجج دون الحاجة إلى تعقيدات وسفسطات تُذهب برد اليقين، واطمئنان القلب بالإيمان، وقد استدل جل وعلا في أول أمر في القرآن على استحقاق عبوديته بإقرارهم بما يرون ويشاهدون من مظاهر ربوبيته، فقال تعالى: لَبِا أَيَّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ [البقرة: ٢١ - ٢٢]، فهذا الاستدلال على وضوحه تضمن عدة وجوه:

أولها: إقامة البراهين بخلقهم وخلق السموات والأرض والمطر والأشجار.  
 ثانيها: التلطف بذكر ما لله جلّ وعلا عليهم من حقوق وما تفضل عليهم وخصهم به.  
 ثالثها: الدلالة على صفات المعبود جلّ وعلا من الحياة والقدرة والحكمة والرحمة، لأن في الاستدلال بهذه المشاهدات بيان لآثار رحمته بالعباد، وحكمته في تقدير الأرزاق والأقدار<sup>(٢)</sup>.  
 ومن الأمثلة في وضوح الحجج قوله تعالى: {قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ} [سبأ: ٢٤]، فقد أمر الله تعالى نبيه أن يسألهم على جهة الاحتجاج وإقامة الدليل على أن الرزاق لهم من السموات والأرض من هو؟ ثم أمره أن يقتضب الاحتجاج بأن يأتي جواب السؤال إذ هم في بهتة ووجمة من السؤال، وإذ لا جواب لهم ولا لغيرهم إلا بأن يقولوا: هو الله، وهذه السبيل في كل سؤال جوابه في غاية الوضوح؛ لأن المحتج يريد أن يقتضب ويتجاوز إلى حجة أخرى يوردها<sup>(٣)</sup>.

(١) ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان، محمد بن إبراهيم الوزير الحسني اليمني الصنعاني، مطبعة المعاهد القاهرة، ١٣٤٩هـ، ص ٧.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم محم بن أحمد بن جزي الكلبي، تحقيق: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ، (٧٥/١).

(٣) المحرر الوجيز في تفسر القرآن العزيز، محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، (٤١٩/٤).

## ثالثاً - وضوح الأحكام:

فكما جاء الأسلوب القرآني واضح الألفاظ والحجج، فهو أيضا واضح في بيان الأحكام، وقد قرّر القرآن هذا الوضوح بطريقتين:

الطريق الأول: التعقيب ببيان الآيات بعد ذكر الأحكام، وهذا كثير في القرآن الكريم، ففي أحكام الصيام ختم الله تعالى أحكامه بقوله تعالى: {ذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} [البقرة: ١٨٧]، وحين نبّههم إلى مضارّ الخمر ذيل ذلك بقوله: {كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ} [البقرة: ٢١٩]، وفيما يتعلق بأحكام الطلاق قال: {كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [البقرة: ٢٤٢]، وفي الحثّ على الصدقة قال تعالى: {كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ} [البقرة: ٢٦٦]، والأمثلة غير ذلك أكثر من أن تُحصى<sup>(١)</sup>.

الطريق الآخر: أنه قررها كقاعدة قرآنية شاملة لجميع التكاليف، وذلك في قوله تعالى: {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ} [النحل: ٨٩]. قال ابن عاشور: "فإكمال الدين هو إكمال البيان المراد الله تعالى الذي اقتضت الحكمة تتجيمه، فكان بعد نزول أحكام الاعتقاد التي لا يسع المسلمين جهلها، وبعد تفاصيل أحكام قواعد الإسلام التي آخرها الحج بالقول والفعل وبعد بيان شرائع المعاملات وأصول النظام الإسلامي، كان بعد ذلك كلّه قد تمّ البيان المراد الله تعالى في قوله: {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ} [النحل: ٨٩]."

ومما يدل على شمول الوضوح في جميع التكاليف ما أعقب هذه الآية بقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [النحل: ٩٠].

وهكذا فإن الوضوح في أسلوب القرآن الكريم يدل على أن القرآن جاء للإفهام، ولا يوجد في القرآن ما لا معنى له، وفي هذا رد على الملحدين والزنادقة والجهمية وغيرهم.

(١) خصائص الأسلوب القرآني دكتور أبو بكر محمد فوزي البخيت، جامعة الملك سعود، كلية التربية، الطبعة الأولى، ١٤٣٦ هـ، ص ٢٧٦.

## المبحث الثالث

### دقة تعبير القرآن

من تمام الأسلوب القرآني دقته في اختيار الألفاظ، ودلالاتها على المعاني، وقد أشار الجاحظ إلى أن دقة المدخل مما يظهر المعنى، وهو من البيان الذي امتدحه الله تعالى، وتكمن دقة أسلوب القرآن الكريم من حيث إحاطة الله تعالى باللفظة الأحقّ بهذا المقام<sup>(١)</sup>. وقد بيّن الخطابي عدم قدرة إتيان البشر بمثل هذا الأسلوب لأمر منها: أن علمهم لا يحيط بجميع أسماء اللغة العربية وأوضاعها التي هي ظروف المعاني، ولا تدرك أفهامهم جميع معاني الأشياء المحمولة على الألفاظ<sup>(٢)</sup>.

### ودقة تعبير القرآن تتجلى في أمرين:

#### الأول: دقة الألفاظ:

فكل لفظ في القرآن الكريم في مكانه له دلالاته الذي لا يؤدي إلا به، وتتبع ذلك باب من أبواب البيان تفرد به القرآن.

يقول ابن الأثير في دقة اختيار الألفاظ القرآنية: "ومن عجيب ذلك أنك ترى لفظتين تدلان على معنى واحد، وكلاهما حسن في الاستعمال، وهما على وزن واحد؛ إلا أنه لا يحسن استعمال هذه في كل موضع تستعمل فيه تلك، بل يفرق بينهما في مواضع السبك، وهذا لا يدركه إلا من دق فهمه، وجل نظره"، ثم قال: "ومما يجري هذا المجرى قوله تعالى: ﴿مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم: ١١]، وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧]، فالقلب والفؤاد سواء في الدلالة، وإن كانا مختلفين في الوزن، ولم يستعمل القرآن أحدهما في موضع الآخر<sup>(٣)</sup>.

(١) البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، مكتبة الخانجي، القاهرة ٢٠٠٨، (١/٨١).

(٢) بيان إعجاز القرآن، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (ت ٣٨٨هـ) تحقيق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام الناشر: دار المعارف بمصر الطبعة: الثالثة، ١٩٧٦م ص ٢٧.

(٣) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن الأثير، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢٠هـ. (١/١٦٤).

## الثاني: الدقة في التركيب:

يقول الرافعي: "لا جرم أن المعنى الواحد يعبر عنه بألفاظ لا يجري واحد منها في موضعه عن الآخر إن أريد شرط الفصاحة؛ لأن لكل لفظ صوتاً ربما أشبه موقعه من الكلام، ومن طبيعة المعنى الذي هو فيه، والذي تُساق له الجملة، وربما اختلف وكان بغير ذلك أشبه"<sup>(١)</sup>. ومن الدقة في التركيب، الدقة في ترتيب الألفاظ والجمال في الآية للدلالة على المعنى المراد، وتساوي ألفاظها في الجزالة، ومن ذلك قوله تعالى: {قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذُكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا} [يوسف: ٨٥]، "فقد أتى بأغرب ألفاظ القسم وهي التاء، فإنها أقل استعمالاً، وأبعد من أفهام العامة بالنسبة إلى الواو والباء، وبأغرب صيغ الأفعال التي ترفع الأسماء وتتصب الأخبار، فإن "تزال" أقرب إلى الأفهام، وأكثر استعمالاً منها، وأتى بأغرب ألفاظ الهلاك وهو "الحرص" فاقتضى حسن الوضع في النظم أن تجاور كل لفظة بلفظة من جنسها في الغرابة توخياً لحسن الجوار ورغبة في ائتلاف المعاني بالألفاظ، ولتتعادل الألفاظ في الوضع وتتاسب في النظم"<sup>(٢)</sup>.

ومن الأمثلة كذلك قوله تعالى: {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ} [الأعراف: ١٣٣]، تضمنت الآية خمسة ألفاظ: {الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ}، وأحسن هذه الخمسة هي: الطوفان والجراد والدم، فلما وردت هذه الألفاظ قدم منها الطوفان والجراد، وأخر لفظة الدم، وجعلت لفظتا: "القمل والضفادع" في الوسط، ليتركب السمع أولاً الحسن من الألفاظ الخمسة، ثم إن لفظة "الدم" أحسن من لفظتي: "الطوفان والجراد"، وأخف في الاستعمال، ومن أجل ذلك جيء بها آخرًا، ومراعاة مثل هذه الأسرار والدقائق في استعمال الألفاظ ليس من القدرة البشرية<sup>(٣)</sup>.

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت الطبعة الثامنة، ١٤٢٥هـ. (١٥٥)

(٢) معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ، (٢٥٩/١).

(٣) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن الأثير، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢٠هـ (١٦٩/١).

ومن الدقة في التركيب ما يجعل اللفظ في موضع مستحسنًا رائعًا، ويكون في موضع آخر على خلاف ما وجدت من الاستحسان، ومن الأمثلة على ذلك: لفظة "تؤذي" فقد جاءت في آية من القرآن وبيت من الشعر، فجاءت في القرآن جزلة متينة، وفي الشعر ركيكية ضعيفة، فأثر التركيب فيها هذين الوصفين الضدين.

فقوله تعالى: {إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ} [الأحزاب: ٥٨]، جاءت "يؤذي" مضافة إلى "النبي"، أما في الشعر فقد جاءت مفردة دون إضافة في هذا البيت:

تَلَذُّ لَهُ الْمُرُوءَةُ وَهِيَ تُؤْذِي وَمَنْ يَعَشَقُ يَلْذُّ لَهُ الْغَرَامُ<sup>(١)</sup>

وقد أطمأ اللثام عن دقة التعبير القرآني لهذه اللفظة ابن الأثير حين قال: "وهذه اللفظة إذا جاءت في الكلام، فينبغي أن تكون مندرجة مع ما يأتي بعدها متعلقة به كقوله تعالى: {إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ} [الأحزاب: ٥٣]، وقد جاءت في قول المتنبي منقطعة، ألا ترى أنه قال: وَمَنْ يَعَشَقُ يَلْذُّ لَهُ الْغَرَامُ<sup>(٢)</sup> فجاء بكلام مستأنف، وقد جاءت هذه اللفظة بعينها في الحديث النبوي، وأضيف إليها كاف الخطاب فأزال ما بها من الضعف والركاكة، وذلك أنه صلى الله عليه وسلم اشتكى، فجاءه جبريل عليه السلام ورقاه، فقال: "بِاسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ"<sup>(٣)</sup>.

فانظر إلى السرّ في استعمال اللفظة الواحدة، فإنه لما زيد عليها حرف واحد وحسنها<sup>(٤)</sup>.

وفي المبحث التالي نتعرف على جمع القرآن بين الإجمال والبيات لنعرف أن إجمال القرآن بين وبيانه مجمل، وأنه ما من لفظة كان الإجمال فيها محتاجًا إلى البيان إلا وجد فيها من القرآن بيانًا شافيًا.

(١) ديوان المتنبي: (٧٥/٤).

(٢) ديوان المتنبي: (٧٥/٤).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب الطب والمرض والرقي، برقم (٢١٨٦) (١٧١٨/٤).

(٤) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، (١٦٧/١).

## المبحث الرابع

### جمع القرآن بين الإجمال والبيان

اختص الأسلوب القرآني بالبيان المطلق، واشتماله على الإجمال ميزة كبرى، ومزية عظيمة، وإنك لتعجب أشد العجب، كيف يجتمع الإجمال والبيان معا في موضع واحد! مع ما اشتمل من الوضوح في فهمه، وكم من كلام مبسوط يصعب فهمه، ولا يتضح مقصده، فإن رام صاحبه الجمال والاختصار أفسد الكلام وشتت الفهم.

أما القرآن الكريم فبيانه مجمل، وإجماله بيّن، وهذا المعنى هو الذي قصده د. دراز في حديثه عن الإجمال بقوله: "وهذه عجيبة أخرى تجدها في القرآن الكريم، ولا تجدها فيما سواه، ذلك أن الناس إذا عمدوا إلى تحديد أغراضهم لم تتسع لتأويل، وإذا أجملوا ذهبوا إلى الإلباس أو الإبهام، أو إلى اللغو الذي لا يفيد، ولا يكاد يجتمع لهم هذان الطرفان في كلام واحد. وتقرأ القطعة من القرآن الكريم فتجد في ألفاظها من الشفوف<sup>(١)</sup> والإحكام والخلو من كل غريب عن الغرض ما يتسابق به مغزاها إلى نفسها، دون كد خاطر، ولا استعادة حديث، كأنك لا تسمع كلاما ولغات، بل ترى صوراً وحقائق ماثلة، وهكذا يخيل إليك أنك قد أحطت به خبرا، ووقفت على معناه محدودا، ولو رجعت إليه كرة أخرى لرأيتك منه بإزاء جديد غير الذي سبق إلى فهمك أول مرة"<sup>(٢)</sup>.

ومن أمثلة على الإجمال في القرآن الكريم:

أقرب مثال على الإجمال سورة الفاتحة، فقد أجملت جميع ما جاء في القرآن العظيم، فقد أجمال علم الأصول الذي مداره على معرفة الله وصفاته وإليه الإشارة ب: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣)، ومعرفة النبوات، وإليه الإشارة ب: {الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ}، ومعرفة المعاد وإليه الإشارة ب: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}، وعلم العبادات وإليه الإشارة ب: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ}، وعلم السلوك وهو عمل النفس على الآداب الشرعية والانقياد لرب البرية وإليه الإشارة ب: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}، وعلم القصص وهو الاطلاع على

(١) الشفّ: ضرب من الستور يُرى ما وراءه، وجمعه شفوف. انظر: تهذيب اللغة (١١/١٩٤).

(٢) النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن الكريم، محمد عبد الله دراز، اعتنى به: أحمد مصطفى فضيلة، دار القلم للنشر والتوزيع، ١٤٢٦ هـ، ص ١٥١.

أخبار الأمم السابقة، والقرون الماضية، ليعلم المطلع على ذلك سعادة من أطاع الله، وشقاوة من عصاه، وإليه الإشارة بقوله: {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ}، فأجمل في الفاتحة جميع مقاصد القرآن الكريم، وهذا هو الغاية في البيان مع ما اشتملت عليه من الألفاظ الحسنة والمقاطع المستحسنة وأنواع البلاغة<sup>(١)</sup>.

وكما اتَّسم الإجمال بالبيان فهو كذلك في تمام الأحكام، فما من لفظة كان الإجمال فيها محتاجاً إلى البيان إلا وتجد بيانها في القرآن شافياً.

ومثل قوله تعالى: {أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [النحل: ١]، وقوله تعالى: {قَتَرَى الَّذِينَ فِي فُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرَوْا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ} [المائدة: ٥٢].

حين أخبر الله تعالى عن إتيان أمره في سورة النحل أعقبها بقوله: {فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ}، وكفى بهذه الجملة في بيان المراد من هذا الأمر، فما هو الأمر الذي يستعجله المخاطبون؟ ولذا لما اختلف في هذا الأمر؛ هل المراد الأحكام والفرائض، أم أنه الوعيد الذي استعجله الكفار في العذاب وقيام الساعة؟ كان في قوله: {فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ}، بياناً شافياً لهذا الأمر المراد، وأنه وعيد المشركين وإنذارهم بالعذاب وقرب الساعة، كما قال ابن جرير: "فإنه لم يبلغنا أن أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم استعجل فرائض قبل أن تفرض عليهم، فيقال لهم من أجل ذلك: فقد جاءكم فرائض الله فلا تستعجلوها، وأما مستعجلو العذاب من المشركين، فقد كانوا كثيراً"<sup>(٢)</sup>.

أما في آية المائدة: فلما أخبر الله عن حال المنافقين في توليهم لليهود والنصارى والركون إليهم خشية الحاجة إليهم في أي وقت من الأوقات، رد ظنهم السيء بقوله تعالى: {فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ}، فانظر إلى الإجمال في قوله: {أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ}، بدون تعقيب، وقارن بينه وبين الأمر الذي في سورة النحل، وذلك أنه لما كان الركون إلى الكفار

(١) خصائص الأسلوب القرآني دكتور أبو بكر محمد فوزي البخيت، جامعة الملك سعود، كلية التربية، الطبعة الأولى، ١٤٣٦ هـ ٢٨٤.

(٢) ٦٠. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، تحقيق أحمد ومحمود شاکر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ٢٠٠٠م (١٦٠/١٤).

متجدداً، والمسارة إليهم من هذه الفئة مستمرة في كل زمان ومكان، أجمل الله تعالى هذا الأمر دون تحديد له، لتذهب النفس فيه كل مذهب.

ويقول ابن جرير معقبا على الآية الكريمة: "وقد يحتمل أن يكون الأمر الذي وعد الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يأتي به، وهو الجزية، ويحتمل أن يكون غيرها، رغم أنه أي ذلك كان فهو مما فيه إدالة المؤمنين على أهل الكفر بالله وبرسوله، ومما يسوء المنافقين ولا يسرهم، وذلك أن الله تعالى قد أخبر عنهم أن ذلك الأمر إذا جاء أصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين"<sup>(١)</sup>، وكلما حصلت المداولة بين أهل الحق والباطل وظهر أهل النفاق فنحن ننتظر أمر الله الذي يجعلهم على ما أسروا في أنفسهم نادمين.

وفي المبحث التالي نتعرف على طريقة القرآن الكريم في جمعه بين البيان والإجمال، وعلى التعبير بالألفاظ الجامعة التي تتضمن الأصول، والتعبير بالكلمات الجامعة لمعاني متعددة، وإطلاق اللفظ مجملاً دون تعيين؛ لتذهب النفس في تحديد المراد به كل مذهب يصلح له، وإطلاق اللفظ مجملاً مع ما ذكر ما بينه أو يعينه إلى غير ذلك من عناصر؛ جمع القرآن بين البيان والإجمال.

## المبحث الخامس

### طريقة القرآن الكريم في جمعه بين البيان والإجمال

أولاً: التعبير بالألفاظ الجامعة التي تتضمن الأصول:

ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} [الأعراف: ١٩٩]، فقد جمعت هذه الآية مكارم الأخلاق<sup>(٢)</sup> كلها لأن في: {خُذِ الْعَفْوَ}، صلة القاطعين والصفح عن الظالمين، وفي الأمر بالمعروف تقوى وصلة الأرحام وصرف اللسان عن الكذب، وفي الإعراض عن الجاهلين الصبر والحلم، وتنزيه النفس عن ممارسة السفية<sup>(٣)</sup>. وقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [النحل: ٩٠]. فقد أجمل الأمر بكل خصال الخير

(١) المصدر السابق (٥١٤/٨)

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي مرجع سابق (٢٢٦/٣)

(٣) المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز، لابن عطية (٤٩١/٢).

والنهي عن كل خصال الشرّ، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: "إن أجمع آية في القرآن لخير أو لشرّ آية في سورة النحل: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ..} (١). ولما كانت هذه الآية جامعة لكل خصال الخير على إجمالها؛ فإن أي آية في القرآن تأمر بخير واجب أو مندوب، وأي آية في القرآن تنهى عن منكر واجب أو مكروه هي بيان لهذه الآية (٢).

وقوله تعالى: {فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ}، فهذا اللفظ مع إجماله قد اشتمل على الأمر بالدعوة، والجهر بها، والشجاعة في تبليغها، كما شمل جميع ما أوحى الله إلى نبيه صلى الله عليه وسلم، وأمر ببيانه، كما تضمن أثر هذه الدعوة في الناس، فبين اللفظ جميع ما في الرسالة من الدعوة إليها، وأحوال المدعوين. وحكى أبو عبيد: أن أعرابيا سمع رجلا يقرأ: {فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ}، فسجد، وقال: "سجدت لفصاحته" (٣).

### ثانيا: التعبير بالكلمات الجامعة لمعانٍ متعددة:

فقد يُراد التعبير عن أمر ووصفه بمجموعة أوصاف، فيعبر بكلمة واحدة تدل على هذه الأوصاف مجتمعة، وهذه المعاني المتعددة المقصودة من اللفظ قد يرد بيانها في مواضع متفرقة من القرآن الكريم، وقد يكتفى بذكرها مجملة اكتفاء بدلالة اللغة مع قصد الأسلوب القرآني لجميع تلك المعاني.

ومن الأمثلة على النوع الأول: قوله تعالى: {ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ} [الحج: ٢٩]، فتأمل كيف عظم الله بينته ووصفه بأشرف الأوصاف من كونه أول بيت وأقدمه، إذ إن من معاني العتيق: القديم، ولا شك أن هذا المعنى يوحى بالأفضلية والنفاسة والتعظيم، وكونه منارة هدى وبركة، وهذا ما دل عليه قوله تعالى: {إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ

(١) جامع البيان تفسير الطبري، (٣٣٧/١٤)

(٢) ولك أن تنظر في كثرة الآيات التي استشهد الشنقيطي بها في تفسيره لهذه الآية وغيره من المفسرين، انظر: أضواء البيان (٤٦٣/٢).

(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد أبو حبيب الماوردي، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت، د.ط، د.ت، (١٣٠/١)، والشفا بتعريف حقوق المصطفى، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، دار الفيحاء عمّان، الأردن، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ، (٥٠٧/١).

وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ} [آل عمران: ٩٦]، وهو عتيق كذلك من حيث دلالاته على أنه معتق من تسلط الجبابرة، لا يظهر عليه أحد، كما قال تعالى: {وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} [الحج: ٢٥]. فالتعبير بهذه الكلمة في هذا الموضع في غاية الإجمال مع ما احتواه من البيان دون لبس أو اختلاط<sup>(١)</sup>.

ومن الأمثلة على النوع الثاني قوله تعالى: {وَعَدُوا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ} [القلم: ٢٥]، فالحرد في اللغة يدل على القدرة وعلى الجد والعزم في الفعل وعلى الحنق والغضب، وجميع هذه المعاني صالحة في وصف أصحاب الجنة وذكرها مقصود؛ ولذا لم يرد ما يعين أحدها، فتأمل كيف أودعت هذه المعاني في كلمة واحدة<sup>(٢)</sup>.

**ثالثا: إطلاق اللفظ مجملا دون تعيين لتذهب النفس في تحديد المراد به كل مذهب يصلح له:**

وإطلاق هذا اللفظ مجملا دون تعيين أوضح في البيان، ولو كان معينا لحصر البيان على معنى أو نوع دون الآخر، وهذه خاصية بدیعة في أسلوب القرآن واتساع خطابه، ولا أدل على ذلك من آية سورة المائدة: {فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَهُ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ} [المائدة: ٥٢]، ومن الأمثلة على ذلك - أيضا - قوله تعالى: {وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ} [البقرة: ٢٥٢]، فقد أجملت الآية الدفع دون تحديد أو تعيين، فلم تذكر ماهيته، ولم تعين وقته، فالدفع قد يكون بالجهاد، وقد يكون بالعلم والبيان، وقد يكون الدفع بأساليب أخرى كثيرة غير ذلك، وقد أشار إلى ذلك رشيد رضا بقوله: "وأنت ترى أن قوله تعالى: {وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ} [البقرة: ٢٥١] ليس نصا فيما يكون بالحرب والقتال خاصة، بل هو عام لكل نوع من أنواع التنازع بين الناس؛ الذي يقتضي المدافعة والمغالبة<sup>(٣)</sup>".

(١) خصائص الأسلوب القرآني دكتور أبو بكر محمد فوزي البخيت، جامعة الملك سعود، كلية التربية، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ: ص ٢٩٠

(٢) جامع البيان (١٧٦/٢٣) والتحرير والتتوير"، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للطباعة والنشر، د.ت، ط ١، ج ٢٢ (٨٤/٢٩).

(٣) تفسير المنار للشيخ محمد عبده، تأليف: محمد رشيد رضا، الطبعة الثانية، ١٩٤٧م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (٣٩٤/٢)

### رابعاً: إطلاق اللفظ مجملاً مع ما ذكر ما يبيّنه أو يعيّنّه:

وذلك أنه يرد في أسلوب القرن الكريم من النصوص ما يحتمل أكثر من معنى كما سبق، ولكن قد يراد به معنى محددًا دون غيره، فلا تجده في الأسلوب القرآني دون بيان، بل يبيّنه بيانا كافيا وافيا، مع تنوع الأساليب، بل إن أسلوب القرآن يرشد إلى معنى أشمل وأعمق في البيان، إلى أنه وجّه في بيان أجمل بالإحالة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، كمقصد من مقاصد الأسلوب القرآني في البيان، وقد جاء التصريح بذلك في قوله تعالى: {بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [النحل: ٤٤]، قال القرطبي: ثم جعل إلى رسوله صلى الله عليه وسلم ما كان منه مجملاً، وتفسير ما كان منه مشكلاً، وتحقيق ما كان منه محتملاً، ليكون له مع تبليغ الرسالة ظهور الاختصاص به، ومنزلة التفويض إليه<sup>(١)</sup>.

١ - ودلائل اختصاص الأسلوب القرآني ببيان النبي صلى الله عليه وسلم غير هذه الآية قوله تعالى: {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ} [النحل: ٨٩]، قال الواحدي: "يعني: لكل شيء من أمور الدين، إما بالنص عليه، أو الإحاطة على ما يوجب العلم من بيان النبي صلى الله عليه وسلم، أو إجماع المسلمين"<sup>(٢)</sup>.

وتأمل ارتباط بيان القرآن الكريم بالنبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآيات دون سائر الأنبياء في مثل قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [إبراهيم: ٤]، فلم يرتبط ببيانهم بالمنزل عليهم، وقد جاء في الحديث: "ما من الأنبياء من نبي، إلا وقد أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة"<sup>(٣)</sup>، وقد أفاد التعقيب بالتفكير في قوله تعالى: {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ

(١) تفسير القرطبي: (٢/١)

(٢) التفسير الوسيط (٧٩/٣).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي، برقم (٤٩٨١) ومسلم في كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان بنبيينا محمد صلى الله عليه وسلم برقم (١٥٢).

وَهُدَىٰ وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ} [النحل: ٨٩]، أي: لعلمهم يتفكرون في اختصاصك بهذا القرآن، وبيانك له<sup>(١)</sup>.

٢ - وقد تنوعت أشكال البيان في أسلوب القرآن الكريم، فتارة يكون متصلاً، كقوله تعالى: {من الفجر}، بعد قوله تعالى: {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ} [البقرة: ١٨٧]، وتارة يكون منفصلاً في نفس السورة كما في قوله تعالى: {الطلاق مرتان} [البقرة: ٢٢٩]، {فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} [البقرة: ٢٣٠].

٣ - ومن أساليب الإجمال: المزوجة بين الإجمال والبيان في موضعين فيذكر في آية أمراً مجملاً وآخر مبيناً، ثم يذكره في موضع آخر فيجمل المبين ويبين المجمل، كما أخبر الله تعالى عن يونس حين نادى ربه في بطن الحوت في قوله تعالى: {وَدَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} [الأنبياء: ٨٧]، وفي قوله تعالى: {قَالَتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ (١٤٢) فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ} [الصافات: ١٤٢ - ١٤٤]، ففي سورة الأنبياء أجمل ذكر الظلمات وبين تسيبته، وفي الصافات بين الظلمات وأجمل التسيب. وصور البيان والإجمال في هذا كثيرة، وفيها من تناسب القرآن، وتعانق سوره وترابط آياته ما يستحق التأمل، ويدلّك على استيفاء البيان في أسلوب القرآن الكريم<sup>(٢)</sup>.

وبعد أن عرضنا في هذا الفصل على الإعجاز في البيان القرآني من جوانب وضوحه وديقته وجمعه بين الإجمال والبيان وطريقة القرآن في ذلك نتعرف في الفصل التالي على التوازن في أسلوب القرآن ولغته في سوره وآياته من خلال دراسة الجانب التطبيقي للتوازن القرآني، وتوضح ذلك بالأمثلة من القرآن الكريم.

(١) التحرير والتنوير (١٤/١٦٤).

(٢) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الجنكي الشنقيطي دار بن حزم بيروت لبنان، ط ١٣٠١م (٢٠/١).

## الفصل الخامس

### التوازن في أسلوب القرآن ولغته

المبحث الأول: تعريف التوازن

المبحث الثاني: توازن القرآن الكريم في أسلوبه

المبحث الثالث: التوازن في التدرج بين الأمر والنهي

المبحث الرابع: توازن الأمر والنهي في الأمور التعبدية

المبحث الخامس: التوازن في التقديم والتأخير

المبحث السادس: التوازن الأسلوبي بين الحذف والإثبات

## المبحث الأول

### تعريف التوازن

يمتاز القرآن الكريم بالتوازن في كل جانب، لأنه كلام الله العلي القدير، الذي أعجز ببيانه بلغاء العرب، وأسكت بتوازنه أفواه الملاحدة والمتكلمين فيه، والمتصفح لسور القرآن الكريم وآياته يلحظ ذلك جلياً في كتاب الله.

#### أولاً: التعريف اللغوي للتوازن

لفظ التوازن من الأصل الثلاثي "وَزَنَ" واستعملت هذه المادة عند العرب بمعان عدة، وباشتقاقات مختلفة: قال ابن فارس: الواو والزاي والنون، بناء يدل على تعديل واستقامة<sup>(١)</sup>. وقال الراغب: الوزن كعرفة قدر الشيء<sup>(٢)</sup>.

ويطلق لفظ "ميزان" على الآلة التي توزن بها الأشياء، والميزان الكتاب، والميزان المقدار والعدل<sup>(٣)</sup>.

وقد وردت مادة "وزن" ومشتقاتها في القرآن الكريم إحدى وعشرين مرة<sup>(٤)</sup>. فقد وردت فيما يلي: قوله تعالى: {وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ، [سورة الرحمن: ٧]، وقوله عز وجل: {وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ} [الأنعام: ١٥٢] وقوله تعالى: {فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الأعراف: ٨] وقوله تعالى: {وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ} [الأعراف: ٩]، وقوله عز وجل: {وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ} [الحجر: ١٩]، وقوله تعالى: {فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا}. [الكهف: ١٠٥].

أول من استخدم مصطلح التوازن هو أبو هلال العسكري، حينما قال في كتابه "الصناعتين" متحدثاً عن تلاؤم الكلام وانسجام صوته: "فهذا الكلام جيد التوازن.."<sup>(٥)</sup>،

(١) معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، نشر دار الاتحاد العربي، ط ٢٠٠٢م (١٠٧/٦).

(٢) مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني، ط ٣، ٢٠٠٢م، دار القلم، تحقيق: صفوان داوودي، ص ٨٦٨.

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي، تحقيق بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، ط ١، ٢٠٠٣م، (٣٣٨/٩).

(٤) الكشاف للزمخشري، دار إحياء التراث العربي، تحقيق عبد الرازق المهدي، ط ٢، ٢٠٠١م، (٧٥٢/٤).

(٥) كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري، تحقيق علي البجاوي، المكتبة العصرية ببيروت، ١٤١٩هـ ص ١٧٥.

والثعالبي في كتابه "فقه اللغة وسر العربية"، حيث عنون فيه فصلاً بقوله: "فصل في حفظ التوازن".

وتجدر الإشارة هنا إلى أن كلا من العسكري والثعالبي استخدموا لفظ "التوازن" في الجانب اللفظي الصوتي، كما سيتضح لاحقاً.

كما استخدمه الزمخشري المتوفى سنة (٥٣٨هـ) في نطاقه اللفظي الصوتي - كذلك - حينما وزن بين قوله تعالى: {إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ} [الفجر: ١٥]، وقوله: {وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ} [الفجر: ١٦]، قال: فإن قلت: فكيف يتوازن قوله: فأما الإنسان {إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ}، وقوله: {وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ}؟ وحق التوازن أن يتقابل الواقعان بعد أما وأما، تقول: أما الإنسان فكفور، وأما الملك فشكور<sup>(١)</sup>.

### ثانياً: التعريف الاصطلاحي للتوازن:

لقد عرف المعاصرون التوازن بتعريفات عدّة، أذكر منها:

عرفه الدكتور عبد الكريم بكار بأنه: "إعطاء جوانب الحياة وجوانب الشخصية على وجه الخصوص حقها من الرعاية والتنمية، من غير إفراط في جانب على حساب الجانب الآخر"<sup>(٢)</sup>.

وعرفه محمد بن حسن بن عقيل بأنه: "إعطاء كل شيء حقه من غير زيادة ولا نقص، وهو ينشأ عن معرفة حقائق الأشياء، على ما هي عليه، ومعرفة حدودها وغاياتها ومنافعها"<sup>(٣)</sup>.

والتعريف الأنسب للتوازن في القرآن الكريم - من وجهة نظر المؤلف - أنه: وفاء القرآن بمقتضى المتقالات، بما يحقق مقاصده النبيلة، وغاياته الشريفة؛ بأحسن ما يكون<sup>(٤)</sup>.

وفي المبحث التالي نتعرف على توازن القرآن الكريم في أسلوبه، ونتعرف على الإيقاع القرآني المتميز، وتميز أسلوب القرآن عن الشعر والنثر.

(١) الكشف للزمخشري، دار إحياء التراث العربي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، ط٢، ٢٠٠١م، (٣٢٥/٢٠).

(٢) ابن عباس مؤسس علوم العربية، الناشر: دار السوادي، جدة (١٩٩١م / ١٤١١هـ). ص ٥٠.

(٣) التنازع والتوازن في حياة المسلم، محمد بن الحسن بن عقيل، مؤسسة الطباعة والصحافة للنشر، جدة السعودية، ١٤٣٥هـ ص ١٣.

(٤) التوازن القرآني في الألفاظ والتراكيب والأسلوب، عماد محمود الزقيلي، ط١، ٢٠٠٩م، دار الذخائر، ص ٢٤.

## المبحث الثاني

### توازن القرآن الكريم في أسلوبه

مما وصف به المشركون النبي صلى الله عليه وسلم أنه شاعر، وأن القرآن الكريم شعر، يقول تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأُولُونَ﴾ (٥) [الأنبياء: ٥]، ذلك أنهم وجدوا فيه ما تصوروا أنه يشبه قوافي الشعر، بالنظر إلى فواصله، ولكنهم يعلمون أنه ليس بشعر كشعرهم المعهود، فقد نفى بعضهم كونه شعرا، ووصفه بعضهم بالكهانة والأساطير، وهذا يدل على أنهم أمام نوع جديد من الكلام، يشبه كلامهم ويختلف عنه، وليس لديهم مصطلح واضح للدلالة يصلح له<sup>(١)</sup>.

ولقد نفى القرآن الكريم عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن رسالته وصف الشعر، يقول تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُوْمَنُونَ﴾، [الحاقة: ٤١]، وقال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٩].

إنه قرآن منزل من عند الله تعالى، ليس بشعر، فالشعر معروف بأوزانه وقوافيه المعروفة، وأبحره المدروسة، أما القرآن فليس شعرا ولا الشعر يشبهه، وأغراض الشعر من مدح وغزل وهجاء كلها غير موجودة في قرآن الله العلي العظيم.

#### أولاً: الإيقاع القرآني المتميز:

اكتسى القرآن الكريم نظاما صوتيا خاصا، من أول كلمة إلى آخر كلمة فيه، لم يتخلف ألبتة، وقد تجلى ذلك في أصوات ألفاظه، وصفات حروفه وجرسه، وفواصله، وطول كلماته وقصرها، ونظام الوقف والابتداء فيه، حتى صار نظاما صوتيا يدركه الفاهم لمعانيه والجاهل لها، يُلاحظ ولا يُشرح، تدركه هبة لذيّة، وحاسة خفيّة<sup>(٢)</sup>.

يقول ابن عاشور: "والشعر كلام موزون مقفّى، له معان مناسبة لاغراضه التي أكثرها هزلٌ وفكاهة"<sup>(٣)</sup>.

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور، مرجع سابق (٢٦٢/٢٢).

(٢) المصدر السابق، (٢٦٨/٢٢).

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٢٦٢/٢٢).

أما النثر فلا عجب أن يتفوق القرآن الكريم عليه، فقد تفوق القرآن على الشعر، وهو أرقى من النثر بلاغة، وبيانا عندهم.

### ثانياً: تميز أسلوب القرآن عن الشعر والنثر:

مكانة البيان القرآني ليست محل نزاع، فقد شهد بفضلها العدو والصديق وقامت دلائل سموها بما يسكت الخصوم، ويلقهم حجر الصمت، والموازنة بين الأسلوب القرآني وغيره من أساليب البشر ليست لإثبات تفوق القرآن الكريم، فهذا ثابت لا يخفى إلا على معاند أو جاحد أو جاهل.

لكن المقصود هنا هو تجلية بعض جوانب تفوق القرآن في أسلوبه، والذي تفوق على أحسن ما في الشعر والنثر، ووازن بينهما بميزان دقيق، منحه جمالا فاق جمال الشعر بجرسه ونظمه وقوافيه، وأدى المضامين بانطلاقة وحرية، فاقت انطلاقة النثر وحرية<sup>(١)</sup>.

فالشعر منمق بالأوزان لكنها في كثير من الأحيان تكبل الشاعر وتسيره وفق نظامها وقبورها، فتراه أسيرا لها منقادا لتفعيلاتها، وكم أقحمت الأوزان أصحابها فيافي معان لم تكن في حسابهم! وكم حالت الأوزان بين الشاعر ومخزون فكره الذي يحويه وجدانه، حتى شبه بعض الشعراء بمن ينحت الصخر، وحتى من كان منهم كأنما يغترف من البحر تراه - غالبا - يوغل في المبالغة، ويجاوز المعقول في الخيال والتصوير، وقد عفا الناس عن الشعراء مبالغاتهم، فقد اعتادوا الشعراء {أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (٢٢٦)} [سورة الشعراء: ٢٢٥-٢٢٦].

يقول ابن عاشور رحمه الله تعالى: "فإن للشعر طرائق من الأغراض، كالغزل والنسب والهجاء والمديح والملح، وطرائق من المعاني، كالمبالغة البالغة حد الإغراق وكادعاء الشاعر أحوالا لنفسه في غرام، أو سير، أو شجاعة هو خلو من حقائقها، فهو كذب مغتفر في صناعة الشعر، وذلك لا يليق بأرفع مقام لكاملات النفس، وهو مقام أعظم الرسل صلوات الله تعالى عليهم أجمعين، لكن القرآن، كله صدق، وكله حق، يقول تعالى: لَوْ مَنَّ اللَّهُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً [النساء: ١٢٢]"<sup>(٢)</sup>.

(١) التوازن القرآني في الألفاظ والتراكيب والأسلوب، عماد محمود الزقيلي، ط ١، ٢٠٠٩م، دار الذخائر ص ٢١٧

(٢) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار التونسية للطباعة والنشر، د.ت، ط ١، (٢٢٨/٢٢).

## المبحث الثالث

### التوازن في التدرج بين الأمر والنهي

#### أولاً: توازن الأمر والنهي في مسائل العقيدة:

لقد جاء كتاب الله الكريم بالتوحيد الصافي الخالص، الذي لا يشوبه أي دخن، ولا تؤثر فيه أي شبهة، وقد تعارضت العقيدة النقية مع موروث الكفار الذي شوّهه آباؤهم الأولون جيلاً بعد جيل.

فتحتم على القرآن الكريم أن يقضي على أمرين أساسيين: الموروثات الباطلة التي نقشتها الأجيال عبر القرون، ثم بناء العقيدة الجديدة المرضية عند الله تعالى.

وتحقيق هذين المقصدين يحتاج وقتاً، وطريقة ناجحة للتغيير، أما الوقت فهو وقت نزول القرآن الكريم الذي استغرق ثلاثة عشر عاماً في مكة المكرمة، وكانت الحقة المكية هي الأهم، وأما المنهج والطريقة فكان القرآن الكريم، وما اتصف به من أسباب النجاح، ومنها: التوازن في تقديم أصوله ومبادئه، والأمر بالحق، والنهي عن الباطل بتوازن دقيق.

فالقرآن بذلك يهدي المدعويين إليه بتؤدة، ويكشف لهم بطلان معبوداتهم، فتارة ينهاهم، وتارة يكشف لهم بطلانها، ثم يجلي لهم محاسن التوحيد، ومميزات الإيمان بالله وحده، ويحكي لهم عن النعيم المقيم الذي ينتظرهم إن هم اتبعوا الحق<sup>(١)</sup>.

وكذلك لم يكثر عليهم بالأوامر في بادئ الأمر، ولم يتقل عليهم بكثرة النواهي، بل جعل التدرج منهجه، وقد راعى ذلك في التنفير من الشرك، والحثّ على الإيمان:

#### ثانياً: كلام القرآن عن الشرك:

ليس في القرآن كله "لا تشركوا" بالنهي مسندة إلى واو الجماعة، إلا مرة واحدة وهي قوله تعالى: {وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا}، [النساء: ٣٦] ووردت كلمة "لا تشرك" مسندة إلى ضمير المفرد على لسان لقمان مخاطباً ابنه، كما قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}، [لقمان: ١٣]، وقد ورد النهي عن الشرك بصيغ أخرى كقوله تعالى: {وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [القصص: ٨٧]، وفي قوله تعالى:

(١) التوازن القرآني في الألفاظ والتراكيب والأسلوب، عماد محمود الزقيلي، ط ١، ٢٠٠٩م، دار الذخائر، ص ٢٣٠.

{فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}، [البقرة: ٢٢]، وفي قوله تعالى: {لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا} (١) [الإسراء: ٢٢].

بينما ورد الفعل "أشرك" باختلاف الضمائر المسند إليها، وباختلاف حالاته بين الماضي والمضارع، فقد ورد أكثر من سبعين مرة، والمصدر "الشرك" ورد خمس مرات. و"شريك" و"شركاء" و"مشركون" بالرفع والنصب والجر والإفراد والجمع والتذكير والتأنيث وردت أكثر من ثمانين مرة، وهي في هذه الحالات وردت في سياقات التحذير من الشرك، ومحاورة المشركين ورد شبهاتهم، ودعوتهم إلى التوحيد وترغيبهم فيه (٢).

بهذا يتضح أن التحذير من الشرك كان أغلبه بغير صيغة للنهي المباشر، وإنما جاء بأساليب أخرى، كالقصة، وبيان ضلال الشرك، ويطلان هذا الاعتقاد.

### ثالثاً: كلام القرآن عن الكفر:

ورد هذا الأصل باشتقاقاته، واختلاف صور إسناده للضمائر أكثر من أربعمئة مرة، لم يرد فيها "لا تكفروا" ولا مرة واحدة، لا مفردة ولا مجموعة، بينما وردت بصيغ: "كفر" و"الكفر" و"كفور" و"كفار" و"كافر" بصيغ الجمع والإفراد (٣).

ورد التحذير في القرآن الكريم من الكفر والشرك والنفاق والفسق بأسلوب النهي بصيغة "ولا تكونوا" كقوله تعالى: {وَأْمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰ كَافِرٍ بِهِ} [البقرة: ٤١]، وهو نهى عن الكفر بالقرآن الكريم (٤). وقوله تعالى: {مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [الروم: ٣١].

كما ورد بصيغة "لا تتخذوا" كقوله تعالى: {وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِذَا يَفِيءُ فَانْهَبُونِ} (٥١) [النحل: ٥١].

وهذا يدل على تنوع أساليب القرآن الكريم في الأمر والنهي، في تثبيت أسس العقيدة.

(١) التوازن القرآني في الألفاظ والتراكيب والأسلوب، عماد محمود الزقيلي، ط١، ٢٠٠٩م، دار الذخائر، ص ٢٣١

(٢) الدلالات المعنوية لفواصل الآيات القرآنية، جمال محمود أبو حسان، طبعته جائزة دبي، ط١، ٢٠١١م، ص ١٢٥.

(٣) التوازن القرآني في الألفاظ والتراكيب والأسلوب، عماد محمود الزقيلي، ط١، ٢٠٠٩م، دار الذخائر، ص ٢٣٢

(٤) التوازن القرآني في الألفاظ والتراكيب والأسلوب، عماد محمود الزقيلي، ط١، ٢٠٠٩م، دار الذخائر، ص ٢٣٢

## رابعًا: كلام القرآن عن النفاق:

لهذا الأصل أكثر من معنى، والذي يعنينا هنا المعنى المتعلق بإظهار الإيمان وإخفاء الكفر، وقد ورد لهذا الأصل اشتقاقات عدة تفوق الثلاثين مرة. ليس فيها نهي مشتق من هذا الأصل، ولكن التحذير من النفاق جاء بصيغ أخرى، كقوله تعالى: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ} [الأنفال: ٢١]، وقد ذكر ابن كثير فيها قولين<sup>(١)</sup>: أحدهما أن المراد به المنافقون، والأمر بالإخلاص - باعتباره مقابل النفاق - بصيغته المختلفة، كقوله تعالى: {فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} [غافر: ١٤].

## المبحث الرابع

### توازن الأمر، والنهي في الأمور التعبدية

يتناول هذا المطلب التوازن في الأسلوب القرآني في مجال الأمور التعبدية، والشعائر، وسنذكر مثالين على ذلك:

أولاً- الصلاة: الصلاة من الأصل الثلاثي "صلى" ويطلق في اللغة على معنيين، هما: النار وما أشبهها، والثاني: جنس من العبادة<sup>(٢)</sup>.

وكلمة "الصلاة" ومشتقاتها لها استعمالان في القرآن الكريم؛ أحدهما: الصلاة بمعنى الدعاء، ومنه قوله تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} (١٠٣) [التوبة: ١٠٣]، أي: ادع لهم.

آخرهما: المعنى الاصطلاحي للصلاة، والتي هي: "أقوال وأفعال مخصوصة مفتوحة بالتكبير، مختتمة بالتسليم"<sup>(٣)</sup>، وهذا الذي يعنينا هنا.

ورد لهذا الأصل بالمعنى الاصطلاحي ما يزيد عن تسعين اشتقاقا في القرآن الكريم كـ، الأمر منها ورد مرة بصيغة: "صل" في قوله تعالى: {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ} [الكوثر: ٢] ومرة

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (٣٠٩/٢)

(٢) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٣٠٠/٣)

(٣) الروض المربع شرح زاد المستقنع في اختصار المقنع، لمنصور بن يونس البهوتي، تحقيق: سعيد اللحام، دار الفكر، (٥١/١).

بصيغة الصلاة مسبوقه بالأمر للمؤنث "أقمن" في قوله تعالى: {وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ}، [الأحزاب: ٣٣]، وخمس مرات للمذكر "أقم" كقوله تعالى: {فَأَعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي} [طه: ١٤]، ومرة مسبوقه بالأمر "حافظوا" في قوله تعالى: {حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ} [البقرة: ٢٣٨]، فيكون مجموع ذلك ثماني عشرة مرة<sup>(١)</sup>.

أما باقي الاشتقاقات فكانت فقط في سياق التحبيب في الصلاة، والتخويف من تركها أو تأخيرها، وبيان فضلها، وفضل المصلين والمحافظين عليها.

وجاء التحذير من تركها من خلال بيان عقوبة تاركها، أو مؤخريها عن وقتها، يقول تعالى: {إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ} [المدثر: ٣٩-٤٣] وقوله تعالى: {فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ}. [الماعون: ٤-٥].

وهكذا يتبين أسلوب القرآن الكريم في التوازن بين الأمر المباشر بالصلاة، والأمر غير المباشر بها، وفي بيان فضلها، والترغيب فيها، والتحذير من تركها، وبيان عقوبة تاركها. ثالثاً: الدعاء: لهذا الأصل أكثر من معنى، والذي يعيننا هنا هو ما دل على الاستغاثة والطلب<sup>(٢)</sup>. وبهذا المعنى ورد ما يزيد على مائة وعشرين مرة.

ما جاء بصيغة الأمر المباشر إحدى وعشرين مرة، منها قوله تعالى: {ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} [الأعراف: ٥٥]، وقوله تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} [غافر: ٦٠]، وقوله تعالى: {وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا} [الأعراف: ٥٦].

وأما النهي فقد ورد بصيغة "لا تدع" للمفرد ثلاث مرات، منها قوله تعالى: {وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ}، وبصيغة "لا تدعوا" للجمع مرة واحدة، في قوله تعالى: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا} [النحل: ١٢٥].

وبهذا يتبين التوازن في أسلوب القرآن الكريم في اشتقاقات الدعاء، وذلك بين أمر ونهي، وخبر وإنشاء، وصيغ للمفرد والمثنى والجمع، والمذكر والمؤنث، والترغيب بالدعاء المقبول، والتنفير من الدعاء المخالف للشرع، وكل ذلك وفق ميزان دقيق.

(١) التوازن القرآني في الألفاظ والتراكيب والأسلوب، ص ٢٤٢

(٢) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفرريقي المصري، دار صادر، بيروت، د.ت، ط ١ حرف الواو، فصل الدال، (٢٥٧/١٤).

## المبحث الخامس

### التوازن الأسلوبي في التقديم والتأخير

#### أولاً: تعريف التقديم والتأخير:

يُراد بالتقديم والتأخير تأخير كلمة عن موضعها لحكمة اقتضت ذلك، أو تقديمها، أو تأخير تركيب أو حرف عن موضعه أو تقديمه<sup>(١)</sup>.

والتقديم والتأخير أحد أبواب اللغة العربية، كما أنه أحد أبواب علوم القرآن الكريم، باعتباره فناً قرآنياً، وأحد أساليب القرآن الكريم الهامة. وقد تناوله الكثير من مصنفى كتب علوم القرآن، كالزركشي، والسيوطي، ومن المعاصرين فضل عباس (ت ٢٠١١) رحمهم الله تعالى جميعاً.

يقول عنه الجرجاني: "هو باب كثير الفوائد جمّ المحاسن واسع التصرف بعيد الغاية، لا يزال يفتقر لك عن بديعه، ويفضي بك إلى لطيفه، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنتظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك، أن قدم فيه شيء، وحول اللفظ عن مكان إلى مكان"<sup>(٢)</sup>.

#### ثانياً: تقسيمات التقديم والتأخير:

نأخذ تقسيم السيوطي، وقد قسمه باعتبار الأثر الدلالي، إلى قسمين رئيسين: الأول: ما أشكل معناه بحسب الظاهر، فلما عرف أنه من باب التقديم والتأخير اتضح، وقد مثل عليه بالآتي:

١- قوله تعالى: {وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى}، [طه: ١٢٩]، وتقديرها: لولا كلمة وأجل مسمى لكان لزاماً.

٢- وقوله تعالى: {إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ خُذْ زِكْرَكَ وَالْمَقَامَ الَّذِي بَعَثْنَا فِي نَارِ السُّورِ وَالْمَقَامَ الَّذِي بَعَثْنَا فِي نَارِ الزَّكِّيَّةِ وَمَقَامَ الَّذِي بَعَثْنَا فِي نَارِ الْمُتَكْوِنِينَ وَالْمَقَامَ الَّذِي بَعَثْنَا فِي نَارِ الْمُتَكْوِنِينَ وَالْمَقَامَ الَّذِي بَعَثْنَا فِي نَارِ الْمُتَكْوِنِينَ} [آل عمران: ٥٥]، التقدير: إني رافعك إلي ومتوفيك.

يقول الدكتور صلاح الخالدي: "توفى الله تعالى عيسى عليه السلام توفى نوم، وذلك عندما أتاه الجنود واليهود لقتله وصلبه، فحماه الله منهم، وألقى عليه النوم، وتوفاه وقبضه

(١) الأعلان في علوم القرآن، محمد عبد المنعم القيعي، ط ٤ ١٩٩٦ م، ص ٣٤٢.

(٢) دلائل الإعجاز، لعبد القاهر الجرجاني، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط ١، ١٩٩٥ م، (١/١٠٦).

أثناء نومه، ورفعته إليه، وجعله في السماء، وهو حي بروحه وجسمه في السماء، حياة خاصة معجزة ليست كحياتنا<sup>(١)</sup>.

٣- وقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ}، والتقدير: لهم عذاب شديد يوم الحساب بما نسوا. وهذا فيه خلاف، ولعل الأولى جعل "يوم" مفعولا للفعل "نسوا" فلم عذاب شديد بسبب نسيانهم يوم القيامة، وهذا وعيد لهم لعدم إيمانهم باليوم الآخر، وبهذا يكون تركيب الآية على الأصل<sup>(٢)</sup>.

٤- وقوله تعالى: {فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً} [النساء: ١٥٣] والتقدير: فقالوا جهرة أرنا الله، لأنهم إذا رأوا الله تعالى فقد رأوه جهرة.

قال الراغب: "الجهر: يقال لظهور الشيء بإفراط حاسة البصر أو حاسة السمع"، فهم يريدون رؤية الله تعالى بوضوح، ورؤية حقيقية لا مجرد نور، أو سماع صوت<sup>(٣)</sup>.

٥- وقوله تعالى: {وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ} [يوسف: ٢٤]، والتقدير: لولا أن رأى برهان ربه لهم بها.

الثاني: ما ليس كذلك، "ما يتضح معناه من غير ضرورة، لمعرفة أنه من باب التقديم والتأخير"، ولم يمثل له، وهذا النوع أمثله كثيرة، منها: ترتيب الأسماء المعطوفة بالواو، فإن فهمها لا يتوقف على معرفة ترتيبها<sup>(٤)</sup>.

### ثالثاً: حكمة التقديم والتأخير:

يقول الزركشي: "للتقديم والتأخير حكم وأسباب كثيرة، وفوائد عديدة، بعضها في البلاغة وبعضها في الدلالة، وبعضها في الصوت والجرس، وغالبا تتفق هذه الحكم معاً في المثال الواحد، وما يدركه الناظر فيها ما هو إلا جزء من فوائدها، وربما غاب عنه الكثير"<sup>(٥)</sup>.

(١) القرآن ونقض مطاعن الرهبان، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم ط١، ٢٠٠٧م، ص ١٩٣.

(٢) الكشاف للزمخشري، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض ط١، مكتبة العبيكان، ١٩٩٨م ١٤١٨هـ، (٩/٤).

(٣) مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني، دار القلم، تحقيق: صفوان داوودي ط٣، ٢٠٠٢م، ص ١٩٩.

(٤) التوازن القرآني في الألفاظ والتراكيب والأسلوب، عماد محمود الزقيلي، ط١، ٢٠٠٩م، دار الذخائر، ص ٢٩١..

(٥) البرهان في علوم القرآن للزركشي، (٣/٣٣٣).

وحكمة التقديم والتأخير تكون غالبا الاهتمام بالمقدم، يقول سيبويه: "كأنهم يقدمون الذي بيانه أهم، وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعا يهمانهم ويغنيانهم"<sup>(١)</sup>.

وقد نقل السيوطي عن ابن الصائغ (ت ٧٢٠هـ) تسع حكم للتقديم والتأخير<sup>(٢)</sup>:

١- التبرك بتقديم اسم الله تعالى يقول تعالى: {اعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ} [الأنفال: ٤١]، فتقديم لفظ الجلالة للتبرك.

٢- التعظيم، يقول تعالى: {وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا} [النساء: ٦].

٣- التشريف، كتقديم الذكر على الأنثى، كما في قوله تعالى: {الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ}،

[الأحزاب: ٣] والحرر على العبد، كما في قوله تعالى: {الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ} [البقرة:

١٨]، والخييل على سواها من الدواب، كما في قوله تعالى: {وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا

وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ}، [النحل: ٨] وكذلك تقديم المؤمنين على الكافرين في كل

موضع، وأصحاب اليمين على أصحاب الشمال، والجنة على النار..

٤- المناسبة: وهي إما: مناسبة المتقدم لسياق الكلام، وإما مناسبة لفظ هو من التقدم أو

التاخر.

ومثال النوع الأول مناسبة السياق، كما في قوله تعالى: {وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ

وَحِينَ تَسْرَحُونَ}، [النحل: ٦]، فإن جمالها حين رواحها، أفضل من جمالها حين سراحها.

ومثال النوع الثاني "اشتغال التركيب لفظا هو من التقدم والتأخر" كقوله تعالى: {هُوَ الْأَوَّلُ

وَالْآخِرُ} [الحديد: ٣]، وقوله تعالى: {وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ}

[الحجر: ٢٤] وقوله عز وجل: {ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ (٣٩) وَثَلَاثَةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ (٤٠)}. [الواقعة:

٣٩ - ٤٠].

٥- الحث على القيام به، كقوله تعالى: {مَنْ بَعْدَ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ} [النساء:

١١]، فإن الدين مقدم على الوصية عند توزيع التركة، ولكنها قدمت في الآية للحث عليها.

(١) الكتاب عمر بن عثمان بن قنبر "سيبويه" تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٣، ١٩٨٨م، ١٤٠٨هـ، (٣٤/١).

(٢) الإتيان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق وتخريج: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط١، ٢٠٠٨م، ١٤٢٩هـ، (٤٠/٣).

٦- السابق: كقوله تعالى: {لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ} [البقرة: ٢٥]، فالسنة سابقة للنوم، وقوله: {صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى} [الأعلى: ١٩]، ومعلوم أن إبراهيم أسبق من موسى عليهما السلام<sup>(١)</sup>.

٧- السببية، كقوله تعالى: {وَأَيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاحة: ٥]، فالعبادة سبب حصول الإعانة، وقوله تعالى: {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ} [النور: ٣٠]، إذ الغض سبب حفظ الفروج.

٨- الكثرة، كما في قوله تعالى: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ} [المائدة: ٣٨]، فالسارقون أكثر من السارقات، لتفوقهم في البنية الجسدية والجرأة وغير ذلك.

٩- الترقى من الأدنى إلى الأعلى، كما في قوله تعالى: {اللَّهُمَّ أَرْجُلُ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْتَاطُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا} [الأعراف: ١٩٥]، فاعتبروا الأيدي أشرف من الأرجل، والآذان أشرف من الأعين<sup>(٢)</sup>.

وهناك أغراض أخرى للتقديم والتأخير، ذكرها الزركشي وغيره، لا يتسع الحيز لإجمالها، وخالصة القول أن التقديم والتأخير فن رفيع يعرفه أهل البصر بالتعبير، والذين آتاهم الله تعالى حظاً من معرفة مواقع الكلام، وليس ادعاء يُدعى، أو مجرد كلمة تُقال<sup>(٣)</sup>.

وقد بلغ القرآن الكريم في هذا الفن الذروة، كما بلغ في غيره من فنون اللغة، فلم توضع كلمة في القرآن الكريم في غير مكانها، وبهذا كان القرآن أبلغ الكلام، وأفصح الألفاظ، فقد قال تعالى: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعْرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضَلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ} [الزمر: ٢٣].

(١) الإتيان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (٤٢/٣).

(٢) الإتيان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، (٤٢/٣)

(٣) التعبير القرآني: الدكتور فاضل صالح السامرائي، دار ابن كثير، ط٤، ٢٠٢١م، ص٥٣.

## المبحث السادس

### التوازن الأسلوبي بين الحذف والإثبات

#### أولاً: الحذف لغة:

هو قطع الشيء من طرفه<sup>(١)</sup>.

ثانياً: واصطلاحاً: عرفة الزركشي في البرهان بقوله: "إسقاط جزء من الكلام أو كله لدليل".

ومصطلح الحذف يختلف عن مصطلح الإيجاز، في كون الأول يقتضي مقدرًا، مثل قوله تعالى: {وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ} [يوسف: ٨٢] فإن تقديره: وأسأل أهل القرية<sup>(٢)</sup>.

أما الإيجاز فإنه قسمان، إيجاز حذف، وإيجاز قصر، يقول الزركشي: "والفرق بينهما أن شرط الحذف والإيجاز أن يكون في الحذف ثم مقدر، نحو قوله تعالى: {وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ} [يوسف: ٨٢]، بخلاف الإيجاز، فإنه عبارة عن اللفظ القليل الجامع للمعاني الجمّة بنفسه"<sup>(٣)</sup>.

وفرق الزركشي بين الحذف والإضمار بقوله: "والفرق بينه وبين الإضمار أن شرط المضمّر بقاء أثر المقدر في اللفظ نحو قوله تعالى: {يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعْدَاءَ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} [الإنسان: ٣١]، والمضمّر فيها فاعل الفعل "يُدْخِلُ" وتقديره هو، فالحذف شيء مختلف عن الإيجاز والإضمار، وإن جمع بينهما قلة اللفظ وكثرة المعنى"<sup>(٤)</sup>.

#### ثالثاً: فوائد الحذف في القرآن الكريم:

١- التفخيم والإعظام لما فيه من الإبهام، لذهاب الذهن في كل مذهب، وتشوفه إلى ما هو المراد، فيرجع قاصراً عن إدراكه، فعند ذلك يعلو شأنه، ويعظم في النفس مكانه"<sup>(٥)</sup>.

(١) لسان العرب لابن منظور: ج ٩، ص ٣٩.

(٢) الخصائص لابن جني، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٢، (٣٦٢/٢).

(٣) البرهان في علوم القرآن، للزركشي، (١٠٢/٣).

(٤) المصدر السابق، (١٠٢/٣).

(٥) المصدر السابق، (١٠٧/٣).

- ٢- "زيادة لذة بسبب استنباط الذهن للمحذوف، وكلما كان الشعور بالمحذوف أعسر كان الالتذاذ به أشد وأحسن"<sup>(١)</sup>.
- ٣- "زيادة الأجر بسبب الاجتهاد في ذلك بخلاف غير المحذوف".
- ٤- "طلب الإيجاز والاختصار وتحصيل المعنى الكثير في اللفظ القليل".
- ٥- التشجيع على الكلام، وسماه ابن جني (ت ٣٩٢هـ)، شجاعة العربية<sup>(٢)</sup>.
- ٦- موقعه في النفس، في موقعه على الذكر، فالمحذوف في موضعه أحسن من ذكره.
- ٧- التناسق الصوتي، والانسجام اللفظي، فالحذف يحقق أغراضا دلالية وصوتية في آن واحد، وما من محذوف إلا وحذفه أحسن من ذكره من حيث جرس الكلام، وقد عدّ الزركشي رعاية الفاصلة من أسباب الحذف.
- ٨- صيانة القرآن الكريم من فرية الحشو، فاللفظ إذا استوى ذكره وحذفه في الدلالة كان ذكره حشوا مذموما.
- ٩- يمنح الألفاظ فسحة أوسع في دلالاتها، فالمحذوف يكون أحيانا ذكره بمثابة قيد للمعنى، فحذفه يرفع هذا القيد، ويطلق العنان للمعنى.
- انظر إلى جمال الحذف في قوله تعالى: {إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا} [الزمر: ٧٣]، فإن الجواب محذوف، وهذا الحذف يمنح التركيب معاني لثواب المؤمنين في الجنة، لا يطبقها اللفظ<sup>(٣)</sup>.

#### رابعاً: نماذج على الحذف والإثبات في القرآن الكريم:

- ١- يقول تعالى: {وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} [لقمان: ٢٥]، والتقدير: ليقولن: خلقهن الله، لقريظة تقدمت في السؤال، "من خلق السماوات والأرض؟" فكان الحذف اعتمادا على دلالة السياق. والمحذوف إذن هو الفعل والمفعول، والمثبت هو لفظ الجلالة "الله" هو الفاعل.

(١) المصدر السابق.

(٢) الخصائص لابن جني، (٣٦٠/٢).

(٣) البرهان في علوم القرآن "الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية بمصر، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م، ط ١، (١٠٧/٣).

٢- قوله تعالى: {وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ} [النساء: ١٤٠]، قال الزركشي في تعليل إثبات شبه الجملة "بها": "الفائدة في إعادة الجارّ والمجرور أعني: "بها" لأنه لو حذف من الثاني لم يحصل الربط، لوجوب الضمير فبينما وقع مفعولاً ثانياً، أو كالمفعول الثاني لـ"سمعتم"، ولو حذف من الأول لم يكن نصاً على أن الكفر يتعلق بالإثبات لجواز أن يكون متعلق الأول غير متعلق الثاني"<sup>(١)</sup>.

٣- قوله تعالى: {أَكُلْهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا} [الرعد: ٣٥]، والتقدير: وظلها دائم، وهذا من باب حذف الخبر.

٤- قوله تعالى: {حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ}، [الأنبياء: ٩٦]، والتقدير: فتحت سد يأجوج ومأجوج، وهو من باب حذف المضاف.

٥- وقوله تعالى: {لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ} [الروم: ٤]، أي: من قبل ذلك، ومن بعد ذلك، وهذا من باب حذف المضاف إليه وهو أقل عدداً من حذف المضاف<sup>(٢)</sup>.

٦- قوله تعالى: {فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَىٰ}، أي: وأخفى من السر، وهذا من باب حذف ما بعد أفعل التفضيل، ويلاحظ هنا تناسب اللفظ بعد الحذف مع الفاصلة<sup>(٣)</sup>.

٧- وقوله تعالى: {وَعَمِلَ صَالِحًا} [البقرة: ٦٢]، والتقدير: وعمل عملاً صالحاً، وهذا من باب حذف الموصوف.

٨- وقوله تعالى: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ} [المائدة: ٦٨]، وتقديره: لستم على شيء نافع، وهذا من باب حذف الصفة<sup>(٤)</sup>.

٩- قوله تعالى: {فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ} [الشعراء: ٦]، تقديره: فضرب فانفلق، وهذا من باب حذف حرف العطف، والاسم المعطوف<sup>(٥)</sup>.

(١) المصدر السابق، (٣/١٣٤)

(٢) الخصائص، لابن جني، (٢/٣٦٣).

(٣) البرهان في علوم القرآن "الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية بمصر، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م، ط ١ (٣/١٥٤).

(٤) المصدر السابق، (٣/١٥٥).

(٥) الخصائص، لابن جني، (٢/٣٦١). و البرهان في علوم القرآن للزركشي، (٣/١٥٨)

١٠- قوله تعالى: {قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ} [النمل: ٥٩]، والتقدير: الذين اصطفاهم، وهذا من باب حذف المفعول للتخفيف، وقد دل عليه سياق الكلام<sup>(١)</sup>.

والشواهد كثيرة أكثر من أن تُحصى، في القرآن الكريم، ولم يرد سياق أتى فيه حذف إلا وكان الحذف أجمل، ولم يرد سياق وفيه إثبات إلا وكان الإثبات أحسن، فلقد أنزل الله تعالى قرآنه الذي هو أعظم الكلام، بالعربية التي هي أفصح اللغات.

وبعد أن عرضنا في هذا الفصل للتوازن في أسلوب القرآن ولغته من جوانب الأسلوب والتدرج بين الأمر والنهي والتوازن في التقديم والتأخير والحذف والإثبات إلى آخره نتعرف في الفصل التالي على الجانب الإعجازي في أساليب التوكيد في القرآن الكريم.

(١) الكشاف للزمخشري الكشاف للزمخشري، دار إحياء التراث العربي، تحقيق عبد الرازق المهدي، ط ٢، ٢٠٠١م، (٤/٤٧٨).

## الفصل السادس

### الجانب الإعجازي في أساليب التوكيد للقرآن الكريم

المبحث الأول: القيمة الإعجازية في أسلوب التوكيد بالقرآن.

المبحث الثاني: أغراض أساليب التوكيد في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: أساليب التوكيد الواردة بالجملة الاسمية في القرآن الكريم

المبحث الرابع: أساليب التوكيد الواردة بالجملة الفعلية في القرآن الكريم

## المبحث الأول

### القيمة الإعجازية في أساليب التوكيد للقرآن الكريم

#### أولاً: مدخل:

ما من أحد يستطيع إنكار ما اتسم به القرآن الكريم من قوة نظمه وترباط تراكيبه ومعانيه ودلالاته التي أثبتت - بما لا يدع مجالاً لأي شك أو ظن - مدى القدرة الإعجازية التي يتصف بها القرآن الكريم النازل بلسان عربي مبين فأقام الحجة على كل كاذب أو مُشكك، واستخدام القرآن للغة العربية قد أكسبها ثراءً وتنوعاً في أساليبها وتراكيبها حتى عدت لغةً لا نظير لها، ومن ثم فإن اللغة العربية إنما تكتسب قوتها وعزتها وثراءها من القرآن الكريم، وإنه - للأسف - لما تخاذل المسلمون عن القرآن الكريم وهجروه فما كان من اللغة - التي هي هويتهم الحضارية - إلا أن هجرتهم هي الأخرى، وقد ترتب على هجرها اضمحلالاً فكرياً وسلوكياً يكاد أن يعصف بكل ما هو قيم في حياتنا الإسلامية!.

ولما كان استخدام القرآن الكريم للغة العربية استخداماً فاعلاً مؤثراً مُثريا لها في ألفاظها وتركيبيها وأساليبها ودلالاتها فقد كان اختيارنا لجانب من أساليب اللغة العربية التي أكسبها القرآن الكريم ثراءً وتنوعاً وألبسها الثوب القشيب، غير أنها لا تخلع عنها ثوبها القشيب ذلك لا في عيد ولا في غيره؛ فهو سمتها وجزء من تفاصيل كيانها.

ولهذا كله فقد وقع اختيارنا على أسلوب التوكيد، وكما هو معروف فإن التوكيد لا يُؤتى به إلا لحاجة، ومن هنا كانت للتوكيد دواعيه وأسبابه ومراتبه التي قال بعضهم فيها: "إنما يُؤتى به للحاجة للتحرز عن ذكر ما لا فائدة له، فإن كان المخاطب خالي الذهن ألقى إليه الكلام بدون تأكيد، وإن كان متردداً فيه حسن تقويته بمؤكد، وإن كان منكراً وجب تأكيده" (١). وللتوكيد أساليبه، منها:

١- التوكيد بنون التوكيد الثقيلة والخفيفة، مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

(١) "البرهان في علوم القرآن"، بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة ومطبعة عيسى الحلبي، مصر، ط ٢، ١٩٧٢م، (٣٩٠/٢).

- ٢- التوكيد بالسین وسوف، مثل قوله تعالى: ﴿سَنُقَرِّبُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ [الأعلى: ٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [الضحى: ٥].
- ٣- التوكيد بـ: «إِنَّ» و «أَنَّ» المشددتين، قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]، ويقول تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾ [فصلت: ٣٩].
- ٤- التوكيد المعنوي واللفظي، يقول تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١]، وقال عز وجل: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ٤].
- وللتوكيد أغراض متعددة؛ فالكلام إذا تأكد تقرر، وصار حقيقة لا مرآة فيها، وبات لا شك ولا نزاع يدور حوله، والقصد منه: الحمل على ما لم يثبت في ذهن المخاطب ليصير ثابتاً، ومن ذلك قوله تعالى مؤكدا نزول القرآن الكريم في ليلة مباركة ذات قدر ورفعة وشأن: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ، لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ، سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ﴾ [القدر: ٥]، وقال تعالى: ﴿حَم . وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ، إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدخان: ٣].
- وفي المبحث التالي نتعرف إلى أغراض أساليب التوكيد في القرآن في الجملة بنوعيتها الاسمية والفعلية .

## المبحث الثاني

### أغراض أساليب التوكيد في القرآن

وجاء التوكيد في كتاب الله لأغراض كثيرة، منها:

- ١- تقرير أن الكتاب الذي جاء به رسول الله هو منزل من عند الله، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ [النساء: ١٠٥]، وقال عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ [الرعد: ٣١].
- ٢- تقرير أن القرآن الكريم محفوظ بحفظ الله له من أي تبديل أو تحريف، أو نقص أو زيادة، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

٣- الرد على منكري البعث الذي كثر فيه الجدل قديماً وحديثاً، قال عز وجل: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ. الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ. كَلَّا سَيَعْلَمُونَ. ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ [النبا: ٥].

٤- تقرير أن كتاب الله كتاب هداية، يُنير البصائر، ويجعلها تهتدى إلى أقوم طريق، قال عز وجل: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩]، وغير ذلك من الأغراض.

كما سنقوم بتوضيح ذلك مدعوماً بشواهد تطبيقية من طرفي العبارة العربية وتناول الجملة في هيئتها الاسمية والفعلية مبينين إن شاء الله تعالى أغراض كل نوع من أساليب التوكيد، وقيمتها الدلالية، وما تنثيره في الحاسة اللغوية من إعجاز مُتَقَرِّد يشهد بقدرة القرآن الكريم أمام كل ملحد، أو مشكك، أو طاعن.

### المبحث الثالث

#### أساليب التوكيد الواردة بالجملة الاسمية في القرآن الكريم

تعددت الأساليب التوكيدية الواردة في القرآن الكريم والتي اتخذت من شكل الجملة الاسمية لباساً لها، ومن تلك الأساليب:

##### أولاً: (الحال المؤكدة لمضمون الجملة الاسمية)

ومن مؤكدات الجملة الاسمية الجملة الحالية، وهذا النوع من التوكيد مبثوث في كتاب الله، وقد وردت الحال مؤكدة لمضمون جملة متقدمة عليها فلزمت هذه الجملة والتصقت بها لإفادة التأكيد ومن شواهد ذلك قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة - ٢]. فالجملة (لَا رَيْبَ فِيهِ) قد فهم معناها مما قبلها، وهو جملة: (ذَلِكَ الْكِتَابُ) المتضمنة كمال الكتاب وهو القرآن؛ فهو الكتاب الكامل ولا كتاب غيره، وذلك يستلزم نفى الشك عنه، ولذلك فجملة (لَا رَيْبَ فِيهِ) حالية تؤكد، ما تضمنته الجملة السابقة<sup>(١)</sup>، والجملة التي تؤكدها الحال تكون اسمية، طرفاها: المبتدأ والخبر - معرفتان، وجامدان<sup>(٢)</sup> جموداً محضاً والحال

(١) " شرح الأشموني على ألفية ابن مالك " المسمى: [منهج السالك إلى ألفية ابن مالك]، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٥٥م، ط١، (٢٥٧/١)، وانظر: " النحو الوافي"، عباس حسن، دار المعارف، مصر، د.ت، د.ط، (٣١٣/٢).

(٢) انظر: " شرح الرضي"، مرجع سابق، (٥٠/٢)، وانظر: " النحو الوافي"، عباس حسن، مرجع سابق، (٢/٢) هامش (٣٠٩).

متأخرة عنهما، وذلك هو ما اشترطه النحاة في الحال التي تؤكد مضمون الجملة، ومن شواهد ذلك، قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾ [البقرة: ٩١]، وقوله تعالى: ﴿وَهَذَا صِرَاطٌ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾ [الأنعام: ١٢٦]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وقوله تعالى: ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ﴾ [هود: ٦٤].

ثانيًا - ( تأكيد الجملة الاسمية بـ: " لكن " :

إن الناظر في القرآن الكريم يلحظ أن الآيات التي وردت فيها " لكن " بعد الإثبات آيات كثيرة، ولها دلالات مهمة في زيادة الفهم والإيضاح، ومن هذه الآيات، قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [غافر - ٦١]؛ فعدم الشكر غير مناسب للإفضال، بل اللائق به أن يشكر المتفضل<sup>(١)</sup>.

ومن الآيات التي وردت فيها " لكن " بعد النفي؛ فأفادت الإثبات ما يلي:

﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢].  
 ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَكَأْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة - ١٠٣].

وبالتدبر في أحوال خبر (لكن) المشددة وجدناه يأتي على عدة أشكال، وهي:

• يأتي مفرداً، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى﴾ [البقرة: ١٨٩].

• يأتي جملة فعلية فعلها ماضٍ، مثل قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ [الأنفال: ١٧].

• يأتي جملة فعلية فعلها مضارع، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام: ١١١].

وما سبق لم يمنع مجيء أشكال أخرى للجملة بعد (لكن) المشددة، ومن ذلك ما نلاحظه من ورود الجملة الفعلية الماضية بعد (ولكن) بغير (كان) في آيات، منها: ﴿وَلَكِنَّ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنعام - ٤٣].

(١) [لمزيد من التفاصيل حول هذه المسألة، انظر]: شرح الرضى على الكافية تحقيق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قار يونس، د.ت، ط١، (٣٧٢/٤)، وانظر: "البحر المحيط"، أبو حيان الأندلسي، مكتبة ومطبعة النصر الحديثة، الرياض، د.ت، د.ط، (٢٥١/٢) - (٢٧٠/٢).

وكذلك وروده كجملة شرطية بعد (ولكن) في آيتين، وهما: ﴿وَلَكِنْ مِّنْ شَرَحٍ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ [النحل ١٠٦]، وقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا﴾ [الأحزاب - ٥٣].

### ثالثاً: ( تأكيد الجملة الاسمية بـ " إن " و " أن " المخففتين):

لقد وردت « إن » المخففة وآياتها بالجملة الفعلية في مواطن كثيرة من القرآن الكريم، وتنقسم هذه الجملة إلى قسمين: [ مضارع وماض ناسخين ].

• أما المضارع فلم يأت منه إلا آيتان مكيتان، وهما:

﴿ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ [ الشعراء - ١٨٦ ]

﴿ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُرْلِفُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ ﴾ [ القلم - ٥١ ].

• أما الجملة الماضية الناسخة فهي التي تمثل الكثرة، وآياتها موزعة في كتاب الله على النحو التالي:

يقول تعالى: ﴿ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ﴾ [البقرة - ١٤٣].

ذكر الزمخشري<sup>(١)</sup> أن: «إن» هنا هي «إن» المخففة التي تلزمها اللام الفارقة، والضمير في كانت لما دل عليه قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ﴾ [البقرة: ١٤٣].

قال أبو حيان<sup>(٢)</sup>: " [ إن ] هنا عند البصريين هي التي للتوكيد، المخففة من الثقيلة، ودخلت على الفعل الناسخ، كما دخلت على الجملة الابتدائية، واللام في (لمن) وما أشبهه فيها خلاف: أهي لام الابتداء لزمتم للفرق أم هي لام أخرى اجتلبت للفرق؟ ومذهب الفراء في نحو هذا هي النافية بمعنى (ما)، واللام بمعنى (إلا) وذهب الكسائي إلى أن (إن) بمعنى (قد)، إذا دخل على الجملة الفعلية، وتكون اللام زائدة، وبمعنى (ما) النافية، إذا دخل على الجملة الاسمية، واللام بمعنى (إلا)، وفي ذلك يقول عز وجل: ﴿ فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴾ [يونس - ٢٩]؛ فالناظر في الآية الكريمة يلحظ أن: ( إن كُنَّا ) هي المخففة من الثقيلة، واللام هي الفارقة بينها وبين النافية "

(١) "الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجه التأويل"، الزمخشري، مرجع سابق، (٣٨/١).

(٢) "البحر المحيط"، أبو حيان الأندلسي، مكتبة ومطبعة النصر الحديثة، الرياض، د.ت، د.ط، (٩٨/٢).

### رابعاً- (تأكيد الجملة الاسمية ب: "أماً" مفتوحة الهمزة مشددة الميم)

من مؤكدات الجملة الاسمية «أماً» مفتوحة الهمزة مشددة الميم نحو: أما زيد فمنطلق، وأغلب ورودها في القرآن الكريم على هذا النحو، أعنى أن ما بعدها مبتدأ يطلب خبراً. والجملة من المبتدأ والخبر مؤكدة ب «أماً» والتأكيد لها ثابت في مثل هذا التركيب وغيره، وهي كلمة فيها معنى الشرط؛ إذ إن الفاء لأزمة في جوابها<sup>(١)</sup> وقال الزركشي: «فأندتها في الكلام: أنها تكسبه فضل تأكيد، تقول: زيد ذاهب، فإذا قصدت أنه لا محالة ذاهب، قلت: أما زيد فذاهب، ولهذا قال سيبويه: مهما يكن من شيء فريد ذاهب»<sup>(٢)</sup>.

ومن الشواهد الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [الجمالية - ٣١]، وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيَعَذِّبُهُمْ عَذَابًا﴾ [النساء - ١٧٣]، وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ﴾ [السجدة: ١٩].

### خامساً: (تأكيد الجملة الاسمية ب: "كان"):

تفيد «كان» التشبيه والتوكيد، أما التشبيه فلا خلاف فيه بين النحويين، وأما التأكيد فمفهوم من قولهم «كان» أصلها «إن» قالوا «كان» مركب من كاف التشبيه و«إن» فأصل قولك: كان زيدا الأسد، إن زيدا كالأسد، فالكاف هنا تشبيه صريح وهي في موضع الخبر تتعلق بمحذوف تقديره: إن زيدا كائن كالأسد، ثم إنهم أرادوا الاهتمام بالتشبيه الذي عقدوا عليه الجملة، فأزالوا الكاف من وسط الجملة وقدموها إلى أولها لإفراط عنايتهم بالتشبيه<sup>(٣)</sup> فتبين من هذا النص أن «كان» هي «إن» المؤكدة زيدت عليها كاف التشبيه ويزيد الزركشي معنى التأكيد في «كان» وضوحاً حين قال: «كان» للتشبيه المؤكد ولهذا جاء (كانه هو) دون غيرها من أدوات التشبيه، ولليقين كما في قوله (وَيَكُنَّ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ). ومن الشواهد الدالة، قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾ [الأعراف - ١٧١]، وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا﴾ [يونس - ٢٧].

(١) "المقتضب"، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، لبنان، د.ت، د.ط، (٣٥٥/٢).

(٢) "البرهان في علوم القرآن"، بدر الدين الزركشي، مرجع سابق، (٢٤٢/٤).

(٣) "شرح المفصل"، موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش، عالم الكتب، بيروت، ومكتبة المنتبى، القاهرة، د.ت، ط ١، ص (٨ - ٨١).

## سادساً: (تأكيد الجملة الاسمية والفعلية بـ"ألا" بفتح الهمز والتخفيف):

تجدر الإشارة بالذكر إلى كون هذا النمط من الأنماط كثيرة الورد في القرآن، ومن الشواهد الدالة على ذلك، قوله تعالى: ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾ [النحل: ٢٥]، وقوله تعالى: ﴿أَلَا بُعْدًا لِّعَادِ قَوْمِ هُودٍ﴾ [هود: ٦٠]، وكذلك قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٣]، وقوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]، وقوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦٢]، وقوله تعالى: ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٣]، وقوله تعالى: ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَعْشُونَ نِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [هود: ٥]، مع ملاحظة أننا راعينا في اختياراتنا للشواهد السابقة أن تكون معبرة عن جميع أحوال ورود (ألا) بنمطها: فتح الهمز والتخفيف<sup>(١)</sup>.

وفي المبحث التالي نتعرف إلى أساليب التوكيد الواردة في الجملة الفعلية في القرآن الكريم، فننتعرف على أنواع توكيد الفعل المضارع بإن ونون التوكيد والسين وسوف إلى غير ذلك من المؤكدات.

(١) [لمزيد من التفاصيل، انظر]: "البحر المحيط"، أبو حيان الأندلسي، مرجع سابق، (٥٢٨/٧)، وانظر: "أساليب التوكيد في القرآن الكريم"، عبد الرحمن المطردي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ١٩٨٦م، ط ١، ص (٢٥٥).

## المبحث الرابع

### أساليب التوكيد الواردة بالجملة الفعلية في القرآن الكريم

تعددت الأساليب التوكيدية الواردة في القرآن الكريم والتي اتخذت من شكل الجملة الفعلية لباساً لها، ومن تلك الأساليب:

#### أولاً- الفعل المضارع المؤكد تأكيداً راجحاً وهو الواقع بعد [إن] المدغمة في [ما]:

لقد وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم من هذا النوع من التوكيد، ومن نماذج ذلك - على سبيل المثال لا الحصر - قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا يَا تَبِئَكُمْ مَنِّي هُدًى﴾ [البقرة: ٣٨]؛ فالناظر في: [يأتينكم] يلاحظ أنه فعل مضارع مؤكد بنون التوكيد الثقيلة؛ إذ أكد بالنون وجاء الفعل المضارع بعد (إن) المدغمة في ما.

ومن الشواهد على ذلك - أيضاً - قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨]: فالناظر في: [ينسين] يلاحظ أنه فعل مضارع مؤكد بنون التوكيد الثقيلة؛ إذ جاء الفعل المضارع بعد «إن» المدغمة في ما.

#### ثانياً- تأكيد الفعل المضارع بنون التوكيد الثقيلة والخفيفة:

من المعلوم أنّ الفعل المضارع يؤكد بنون التوكيد ولكن بعدة شروط وقد ذكرها النحويون، قال ابن هشام<sup>(١)</sup>: "وأما المضارع فله خمس حالات:

**الأولى:** أن يكون توكيده بها واجباً، وذلك إذا كان: مثبتاً، مستقبلاً، جواباً لقسم، غير مفصول من لامه بفواصل، مثل قوله تعالى: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٧]، ولا يجوز توكيده بهما إن كان منفيًا نحو قوله تعالى: ﴿تَاللَّهِ تَقْتَوُا تَذَكَّرُ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٥]؛ إذ التقدير: [لا تقنؤا]، أو كان حالاً كقراءة ابن كثير: ﴿لأقسم بيوم

(١) [انظر تفاصيل ذلك في]: "أوضح المسالك إلى أفية ابن مالك"، عبد الله بن هشام الأنصاري المصري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط ٥، ١٩٦٦م، (٣/ ١٢٦ - ١٣٦).

القيامة ﴿القيامة: ١﴾، أو كان مفصلاً من اللام، مثل قوله تعالى: ﴿وَأَسْوَفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [الضحى: ٥].

**الثانية:** أن يكون قريباً من الواجب، وذلك إذا كان شرطاً لإن المؤكدة بما، كقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا تَرَيْنَ﴾ [مريم: ٢٦].

**الثالثة:** أن يكون كثيراً، وذلك إذا وقع بعد أداة طلب - من نهى أو عرض أو تمن أو استفهام - كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا﴾ [إبراهيم: ٤٢].

**الرابعة:** أن يكون قليلاً، وذلك بعد «لا» النافية، أو «ما» الزائدة التي لم تسبق بإن الشرطية، كقوله تعالى: ﴿وَأَنْقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥].

### ثالثاً - الفعل المضارع المؤكد تأكيداً جائزاً، وهو الواقع بعد أداة طلب:

والناظر في هذا الأسلوب يلحظ وروده بكثرة في القرآن الكريم ومن نماذج آياته، قوله تعالى: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢]؛ فالنهي مُوجَّه لبني إبراهيم ويعقوب، والمعنى الزموا الإسلام وداوموا عليه ولا تفارقوه حتى تموتوا، والإعراب: «لا» نهى، «تموتن» في موضع جزم بالنهي أكد بالنون الثقيلة وحذفت الواو لالتقاء الساكنين<sup>(١)</sup>، ويقول تعالى: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [البقرة: ١٤٧]، والنهي - هنا - مُوجَّه للنبي، والمراد أمته، «لا» نهى، «تكونن» في موضع جزم بالنهي، أكد بالنون الثقيلة، ومن الشواهد - أيضاً - قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]؛ فالنهي - هنا - موجه من الله إلى المؤمنين، «لا» نهى، «تموتن» في موضع جزم بالنهي، أكد بالنون الثقيلة وحذفت الواو لالتقاء الساكنين، ولهذا النوع شواهد أخرى كثيرة، لا يتسع المقام لحصرها.

نخلص مما سبق إلى أن الفعل الماضي لم يؤكد بالنون لا في القرآن ولا غيره، أما فعل الأمر، فإنه يجوز توكيده بالنون، إلا أنه لم يأت في القرآن مؤكداً بها. أما الفعل المضارع فهو الذي قد يجب توكيده، وقد يترجح، وقد يكون غير واجب، ولا مترجحاً، يجب توكيده إذا كان جواباً لقسم، ويترجح إذا جاء بعد «إن» المدغمة في «ما»، ويكون غير واجب ولا راجحاً إذا جاء بعد أداة طلب.

(١) "الجامع لأحكام القرآن"، القرطبي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٢م، د.ط، (٢/ ١٣٦ - ١٣٧).

وبلاحظ - كذلك - أنه لم يأت في القرآن الكريم فعل مضارع منفى مؤكد بنون التوكيد إلا فعلاً واحداً في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥]؛ فقد اختلف فيها المفسرون والنحاة اختلافاً كبيراً، وأكثرهم يرى أن: «لا» من «لا تُصِيبَنَّ»، للنهي لا للنفي.

#### رابعاً - الفعل المضارع المؤكد تأكيداً واجبا، وهو الواقع في جواب القسم المجرد من فعل الشرط وجوابه:

ويمكن أن نقسم الآيات الواردة في هذا النوع فئتين، إحداها جاء فيها صادرا عن الله عز وجل، والأخرى كان فيها القسم صادرا عن غير الله، وهذه تنقسم إلى قسمين:

• الأول: قسم من أنصار الحق المؤيدين له.

• الآخر: قسم من أعداء الحق المنكرين له.

ومن الآيات القرآنية التي ورد فيها قسم من الله عز وجل، قوله تعالى: ﴿وَلْتَجِدْنَهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾ [البقرة: ٩٦]؛ فالناظر في: (لتجدن) اللام واقعة في جواب قسم محذوف تقديره: "والله لتجدن".

ومن الآيات القرآنية التي ورد فيها قسم من غير الله عز وجل، فإنها تنقسم إلى قسمين:

(أ) القسم الصادر من الرسل عليهم الصلاة والسلام، ومنها في القرآن: ﴿لَتَأْتُنِّي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾ [يوسف: ٦٦]؛ فاللام في: [لتأتني] قد اقترنت بجواب القسم، و [لتأتني]، فعل مضارع مؤكد بنون التوكيد الثقيلة، وهذا القسم صادر عن نبي الله يعقوب عليه السلام، وغيره كثير وارد في القرآن على لسان أنبياء الله كسيدنا إبراهيم وسيدنا موسى وسيدنا سليمان عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين.

(ب) القسم الصادر عن أعداء الحق، ومنها في القرآن: ﴿لَتَأْخُذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ [النساء: ١١٨]؛ فاللام في: [لتأخذن] واقعة في جواب القسم، [اتخذن] فعل مضارع مؤكد بنون التوكيد الثقيلة، وهذا القسم صادر عن إبليس عليه لعنة الله عز وجل.

وهناك أمثلة أخرى لقسم إبليس لعنه الله بخلاف الشاهد السابق، ولكننا اكتفينا بما يوضح المسألة، وهناك - كذلك - قسم من قابيل: ﴿قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ [المائدة: ٢٧]، وقسم من

فرعون: ﴿فلنأتينك بسحر مثله﴾ [طه: ٥٨]، وهناك أمثلة كثيرة لا يتسع المقام لحصرها كقسم الكفار وقسم المنافقين وخلافه.

نخلص في النهاية للجزم بأن أساليب التوكيد المعروضة في القرآن تزخر بأكثر مما نشي به من دلالات إعجازية؛ تنبئ عن قدرة الله عز وجل في إظهار ذات القدرة لخلقه لعلمهم بالتدبر والتفكير يفقهون قولاً.

### خامساً - تأكيد الفعل المضارع بالسين وسوف:

والناظر في القرآن يلحظ كثرة الشواهد الدالة على ذلك بما تتضمنه من دلالات وسمات إعجازية، ومن ذلك الآيات التي ورد فيها وعد من الله عز وجل، يقول تعالى: ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ۖ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ٥٨]؛ فالسين - هنا - لتأكيد الوعد.

ومن شواهد ذلك أيضاً، قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكُمْ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧]؛ فالسين - هنا - لتأكيد الوعد، وهي دالة على تحقق الوقوع البتة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]؛ فالسين في [سَيَجْزِي] تفيد التأكيد.

ومنه قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُوْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٥]؛ فالملاحظ أنه في تصدير جملة: [ وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ] بالسين مع إبهام الجزاء من التأكيد والدلالة على فخامة شأن الجزاء وكونه بحيث يَقْصُرُ عنه البيان ما لا يخفى.

ومن شواهد ذلك - أيضاً - قوله تعالى في سورة النساء: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [النساء: ٥٧]؛ حيث إنَّ الله سبحانه وتعالى يُخبر بأنه سيدخل المؤمنين الصادقين في إيمانهم جنات تجري من تحتها الأنهار، وهذا وعدٌ من الله عز وجل، والله لا يخلف وعده قط، أمَّا [السين] في قوله: « سَنُدْخِلُهُمْ » فهي لتأكيد هذا الوعد.

ومن شواهد ذلك، قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ﴾ [النساء: ١٧٥]؛ فالآية الكريمة تخبر أن الذين آمنوا بالله واعتصموا به هم في رضوانه ورحمته ويغدق عليهم النعيم المقيم، و[السين] في قوله تعالى: ﴿فسيدخلهم في رحمة منه﴾ لتأكيد الوعد.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٦]؛ فالسين في: [ سَأَكْتُبُهَا ] يُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ لِلتَّأْكِيدِ وَيُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ لِلتَّسْتَقْبَالِ.

أما بخصوص الآيات التي ورد فيها وعيد من الله عز وجل، منها قوله تعالى: ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتْغَلِبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ﴾ [آل عمران: ١٢]، فالسين في قوله: « سَتْغَلِبُونَ » للتأكيد، والمعنى «ستغلبون البتة عن قريب في الدنيا وقد صدق الله وعده بقتل بنى قريظة وإجلاء بنى النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وهو من أوضح شواهد النبوة، وأما ما روى عن مقاتل من أنها نزلت قبل بدر وأن الموصول عبارة عن مشركي مكة ولذلك قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر: إن الله غالبكم وحاشركم إلى جهنم وبئس المهاد فيؤدى إلى انقطاع الآية الكريمة عما بعدها لنزوله بعد وقعة بدر»<sup>(١)</sup>.

ومنه قوله تعالى: ﴿ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢٤]؛ فالسين في: [سَيُصِيبُ] للتأكيد؛ لأنهم استعلوا وتعاضموا فاستحقوا الجزاء بالعقاب والإذلال.

وأما الوعيد الذي جاء علي لسان موسي فقد ورد في قوله تعالى: ﴿ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُ بِهَ السِّحْرِ إِنَّ اللَّهَ سَيَبْطِلُهُ ﴾ [يونس: ٨١]، والذي جاء علي لسان عدوه فرعون ذكر في قوله تعالى: ﴿ قَالَ سَنُقَاتِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ﴾ [الأعراف: ١٢٧]؛ فالسين في [ سَنُقَاتِلُ ] للتأكيد.

### نخلص مما سبق للقول:

إنَّ وجوه إعجاز القرآن ودلالاتها كثيرة ومتنوعة، وتخفى على كثيرين منا، الأمر الذي يدعونا دوماً إلى الاجتهاد والمثابرة في الفهم والتحليل، عسى أن يفيض الله علينا ويغمر أفئدتنا بوافر عطائه فنفقه ما لم نكن نعلم، والذي نعتقد أنه ما من آية ورد فيها وعد من الله إلا وهي تحمل دلالة الترغيب، وكذلك ما من آية جاءت دالة على الوعيد إلا وهي تحمل معاني الترهيب.

٥- دخول السين على الفعل المضارع؛ لتأكيد الإخبار بالغيب:

(١) " إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم"، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د.ت، د.ط، (٢١٨/١).

وقد ورد ذلك في آيات كثيرة، ومنها قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبَلَتِهِمْ﴾ [البقرة: ١٤٢]؛ فالسين الدالة على الاستقبال من الإخبار بالغيب.

ومنه قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨]، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا﴾ [التوبة: ٤٢].

ومنه قوله تعالى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ [التوبة: ٩٥]؛ تأكيداً لمعاذيرهم الكاذبة وترويجاً لها والسين للتأكيد.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَأُمَّمٌ سَمَّعْتُهُمْ ثُمَّ يَمْسُهُمْ مَمَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [هود: ٤٨]؛ فلما انتهى الطوفان وأغرق الله المشركين أمر الله نوحاً أن يهبط إلى الأرض هو ومن معه بسلام وبركات في المعاش والأرزاق ينتشرون هنا وهناك أمماً مستقلاً بعضها عن بعض، ثم يتناسل منهم أمم آخرون كقوم عاد وثمود يمتعهم قليلاً في الدنيا ثم يمسه العذاب بكفرهم وعصيانه.

### سادساً - دخول السين على الفعل المضارع لتأكيد الهداية:

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢]؛ فالسين في: [سَيَهْدِينِ] لتثبيت الهداية، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الصفافات: ٩٩]، ومنه - كذلك - قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف: ٢٧].

قال صاحب روح المعاني: « فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ » يثبتني على الهداية، فالسين للتأكيد لا للاستقبال<sup>(١)</sup>.

### سابعاً - [سوف] لتأكيد الوعد:

ويمكن أن نُقسّم الآيات التي وردت فيها [سوف] الداخلة على الفعل المضارع لتأكيد الوعد إلى قسمين، قسم صادر من الله تعالى، وأخرى صادرة من غيره.

[١] الآيات التي ورد فيها وعد من الله، ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٧٤]؛ ف [سوف] لتأكيد الوعد حيث أن المقام مقام جهاد في سبيل الله وقتال لإعلاء كلمته.

ومن شواهد ذلك - أيضاً - قوله تعالى: ﴿ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً﴾ [النساء: ١١٤].

(١) "روح المعاني في تفسير القرن العظيم والسبع مثاني"، الألوسي، مرجع سابق، (٢٥ : ٧٦).

[٢] الآيات التي ورد فيها وعد من غير الله تعالى، فإنها تتمثل في آية واحدة، صدر فيها الوعد من نبي الله يعقوب، وهو قوله تعالى: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾ [يوسف: ٩٨].  
ثامناً - [سوف] لتأكيد الوعيد:

والآيات التي وردت فيها سوف الداخلة على الفعل المضارع؛ لتأكيد الوعيد يمكن أن نقسمها نوعين: نوعٌ صادرٌ من الله، وآخر من غيره، وهذا ينقسم إلى فئتين فئة صادرة من رسولين وعبد صالح وأخرى من فرعون، كما يلي:

[١] آيات الوعيد الصادرة من الله، ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء: ٣٠]؛ فقوله: [ فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا ]، أي ندخله إياها ونحرقه بها والجملة جواب شرط.

ومن ذلك - أيضا - قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا﴾ [سورة النساء: ٥٦].

[٢] أما الوعيد الصادر من فرعون؛ فقد ورد في الآيتين التاليتين:

• ﴿إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا ۗ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٣].

• ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الشعراء: ٤٩].

ومن خلال الآيات القرآنية التي قمنا باستقراءها التي تمثل هذا النوع من الأسلوب - وهو تأكيد الفعل المضارع بالسين وسوف - بلغ عددها: [١٢٩] آية؛ حيث وردت [السين] في [٨٧] آية، منها: [٥٤]، كما جاءت [سوف] في [٤٢] آية.

وفي النهاية لا يسعنا سوى التسليم بمدى قدرة القرآن الكريم على إحداث ذلك التنوع الملحوظ في الأسلوب التوكيدي، وقد استخدمه القرآن الكريم - كغيره من الأساليب - كوسيلة - مع غيره من الوسائل والأساليب والتراكيب - لطرح قضايا معينة، والتركيز على موضوعات، تعين على فهم الإسلام، وما يدعو إليه ويحث البشرية على اتباعه؛ لأنه هو باب النجاة لمن أراد النجاة.

**ويعد أن عرضنا في هذا الفصل للجانب الإعجازي في أساليب التوكيد للقرآن الكريم من حيث قيمته، وأغراضه، وأسراره، وأساليبه، نتعرف في الفصل التالي على التنوع الأسلوبي في القرآن الكريم.**

## الفصل السابع

### التنوع الأسلوبي في القرآن الكريم

- المبحث الأول: التنوع الأسلوبي، وتعدد المصطلحات.
- المبحث الثاني: التنوع الأسلوبي، في مجال البناء النحوي.
- المبحث الثالث: التنوع الأسلوبي، في مجالي الضمائر والعدد.
- المبحث الرابع: التنوع الأسلوبي، في مجال الصيغ.
- المبحث الخامس: التنوع الأسلوبي، في مجال الأدوات.

## الفصل السابع

### التنوع الأسلوبي في القرآن الكريم

تعددت وجوه إعجاز القرآن الكريم، وتنوعت فيه الظواهر، ومن تلك الظواهر ظاهرة المُغايرة الأسلوبية التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالبلاغة القرآنية ودقة القرآن في نظمه وتراكيبه ودلالاته، غير أننا في تناولنا إياها أحببنا أن نفرّد لها مبحثاً مختصاً بها؛ لِمَا تتضمنه هذه الظاهرة من خصوصية تعلقها بنحو اللغة وصرّفها أولاً، وشدة تنوع دلالاتها أمراً ثانياً.

ولقد تعددت المصطلحات الدالة على التغيير والتبديل في أنماط الأسلوب الواردة بالنص المقروء؛ ومنها كما ورد في التراث البلاغي مصطلحات، مثل: [الاختيار/ العدول/ الالتفات/ شجاعة العربية/ مخالفة مقتضى الظاهر، وغيرها]، والأمر لم يتوقف عند ذلك فقد وجدنا المحدثين يختلفون كذلك في المصطلح الدال على التنوع الأسلوبي، فوجدنا مصطلحات، مثل: [ الانحراف/ الانزياح/ العدول/ المجاوزة ]، وهناك - كذلك - من يُطلق عليها اسم: المُغايرة الأسلوبية، ومنهم من أطلق عليها اسم: "التنوع الأسلوبي"، ومنهم - كذلك - من ينفقن في إطلاق مصطلح دال على التبدل والتغيير؛ فمرة يطلق عليها التشاكل الأسلوبي ومرة الاختلاف الأسلوبي ومرة التنوع الأسلوبي ومرة اختلاف النسق الأسلوبي ومرة التداخل اللغوي، وكأنّ الأمر تبعاً لهوى نفس الباحث - وقد شغلته نفسه بمحاولة إظهار ذاته البحثية عبر الخوض في سفسطة لفظية لا طائل من ورائها - فضلا عن زيادة وهمية في عدد أوراق بحثه أو منشوره، والمحصلة النهائية شتات فكري يُورث اضطراباً فكرياً في المفاهيم والمصطلحات والأولويات عند شبابنا من الباحثين ممن يتلمسون خُطى الطريق المستقيم في بداية مشوارهم العلمي والبحثي، واني لأرجو أن يكون الأوان قد آن لوضع حدّ لهذا الاضطراب، والأمر منوط بنية صادقة لله وعزيمة على العمل قادرة صابرة، وائتلاف روحي بين العلماء والباحثين واعتصامهم واجتماعهم حول هوية واحدة يرتضونها ويرتضون العمل بها والسير على خطاها، واني لأرجو من الله عز وجل أن يبرز النور لمشروع عربي دولي يُعنى بتوحيد مصطلحات أمة العرب الفكرية والاجتماعية والإنسانية والسياسية والإسلامية، غير أنّ المشروع دون إرادة عربية مُجتمعة تسعى لتنفيذه على أرض الواقع، أظنه ضرباً من المحال!

## المبحث الأول

### التنوع الأسلوبي وتعدد المصطلحات

بعيدا عن تعقيدات التعريفات اللغوية والاصطلاحية لظاهرة المغايرة الأسلوبية<sup>(١)</sup> واختلاف آراء العلماء والمعجميين فيها فإننا نرى أنّ المراد من التنوع الأسلوبي أو ما يُطلق عليه "المغايرة الأسلوبية" هو: أن تتنوع اختيارات المُبدع بين البدائل اللغوية المُشتركة في أداء أصل المعنى؛ طلبًا للتعبير الأكثر ملاءمة للسياق والمقام، ومن ذلك قوله تعالى في سورة الملك: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ﴾ [الملك: ١٩]؛ فالمُلاحظ أنّ الآية الكريمة قامت بالتنوع في استخدام الصيغ الأسلوبية ولم تثبت على نسقٍ واحدٍ؛ إذ نجد التعبير القرآني يستخدم صيغة [اسم الفاعل] في قوله: [صاففات]، ثم يعدل عنها بصيغة أخرى لتنتهي الآية بصيغة الفعل المضارع [يقبضن]؛ وبالبحث فقد وجدنا القرآن يستخدم اسم الفاعل [صاففات] الدال على الثبات للتعبير عن الحدوث في اللفظة الأولى، واختارت الآية الفعل المضارع [يقبضن] الدال على الحدوث والتجدد؛ للتعبير عن الحدث في اللفظة الثانية، والهدف من وراء ذلك كله هو مراعاة المعنى الفني الدقيق الذي أرادت الآية أن ترمز إليه وتدل عليه.

ولو أردنا أن نبحث عن الدلالة الخفية لذلك التنوع الأسلوبي في الآية لوجدنا الزمخشري قد سبقنا إلى ذلك؛ إذ أورد في تفسيره الكشاف: «فإن قلت: لم قيل [ويقبضن]، ولم يقل [قابضات]؟ قلت: لأنّ الأصل في الطيران هو صف الأجنحة؛ لأن الطيران في الهواء كالسباحة في الماء، والأصل في السباحة مد الأطراف وبسطها، وأما القبض فطارئ على البسط للاستظهار به على التحرك فجاء بما هو طارئ غير أصل بلفظ الفعل على معنى: أنهن صاففات ويكون منهن القبض تارة بعد تارة كما يكون من السابح ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا﴾

(١) لمزيد من التفاصيل حول التعريفات اللغوية والاصطلاحية للمغايرة الأسلوبية، انظر: "لسان العرب"، مرجع سابق، مادة: (غير). وانظر: "الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية"، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، دار الحديث، القاهرة، تحقيق: [د/محمد محمد تامر - أنس محمد الشامي - زكريا جابر أحمد]، ٢٠٠٩م، ط١، ص(٨٦٥). وانظر: "كتاب التعريفات"، علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، تحقيق: عبد المنعم الحفني، دار الرشاد، القاهرة، مصر، د.ت، ط١، ص(٧٩).

الرَّحْمَنُ ﴿ بقدرته وبما دبر لهن من القوادم والخوافي، وبني الأجسام على هيئة قد يأتي منها الجري في الجو ﴿ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴾ يعلم كيف يخلق، وكيف يدبر العجائب»<sup>(١)</sup>.  
ونفهم من الكلام السابق للزمخشري أنّ المقصد في الآية السابقة هو بيان أنّ أصل المعنى يُمكن الدلالة عليه بأكثر من صيغة؛ فأصل المعنى في الآية هو لفت الأنظار إلى قدرة الله في حفظ الطير وتسخيره في جو السماء في حالتي القبض والبسط، وهذا يحصل بالتعبير باسم الفاعل أو المضارع، ولكن الآية قد اختارت للمعنى الأول اسم الفاعل، وللتاني صيغة المضارع من باب التنويع الأسلوبى للدلالة على أنّ الأصل في الطيران هو صف الأجنحة، كما أوضح الزمخشري، ولما كان هذا هو الأساس فقد جيء بصيغة اسم الفاعل الدالة على الثبات، ومن ثم كان الإعجاز.

والناظر المتدبر في القرآن الكريم يلحظ أنّ القرآن قد قدّم ظاهرة المغايرة الأسلوبية بطريقة سلسلة سائقة تبعث على القارئ والمتدبر متعة لا حدود لها، ورغبة في تحريّ الإعجاز أكثر وأكثر، ولعلنا قد وُفقنا في استنباط بعض أشكال استخدام القرآن الكريم لهذه الظاهرة، ومنها على سبيل المثال لا الحصر.

## المبحث الثاني

### التنويع الأسلوبى في مجال البناء النحوي

الناظر في البناء النحوي الوارد بالقرآن الكريم يلحظ وبكل وضوح مدى التنويع الذي استخدمه القرآن الكريم، ومن صور هذا التنويع، ما يلي:

أولاً: تقديم بعض متعلقات الفعل على بعض، ومن ذلك على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ . يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ . وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ . وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٧].

وهناك - كذلك - قوله تعالى: ﴿يُبَصِّرُونَهُمْ يَوْمَ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ . وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ . وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ . وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾ [المعارج: ١٤].

والناظر في الشاهدين السابقين يلحظ أنّ الترتيب في الآيتين - موطن الشاهد - قد جاء على صيغة الترقى من الأدنى إلى الأعلى، وفي ذلك يقول الإمام الرازي في تفسيره: « المراد

(١) انظر في ذلك: "الكشاف"، الزمخشري، مرجع سابق، ص(١١٢٧).

أن الذين كان المرء في دار الدنيا يفر إليهم ويستجير بهم، فإنه يفر منهم في دار الآخرة، ذكروا في فائدة الترتيب كأنه قيل: (يوم يفر المرء من أخيه) بل من أبويه فإنهما أقرب من الأخوين بل من الصاحبة والولد، لأن تعلق القلب بهما أشد من تعلقه بالأبوين»<sup>(١)</sup>.

ومما سبق نلاحظ أن الترتيب في آية الفرار بـ [سورة عبس] قد جاء تصاعدياً، بينما جاء الترتيب في آية الافتداء بـ [سورة المعارج] تنازلياً على عكس موقف الفرار؛ والسبب في ذلك هو الموقف؛ إذ إنه موقف اشتد فيه الكرب، وبلغ الهول مبلغه وذروته، وهذا ما تكشف عنه الآيات السابقة لهذه الآية من أول سورة المعارج إلى هذا الموضع، يقول عز وجل: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ . لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ . مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ . تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ . فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا . إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا . وَتَرَاهُ قَرِيبًا يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ . وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا . يُبْصِرُونَهُمْ يَوْمَ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ بِبَنِيهِ﴾ [المعارج: ١-١٤].

نخلص في النهاية للقول: إن القرآن الكريم في هذا الترتيب الذي جاء به، إنما هو يراعي النفس البشرية في أدق تفاصيلها ومكوناتها الداخلية التي لا يبصرها إلا الله العليم الخبير سبحانه وتعالى؛ فبسبب هول الكرب وشدته والرغبة العارمة للمجرمين في سرعة الهرب والتخلص من هول الموقف بأي وسيلة كانت فإنهم يسارعون - دون - بلا أدنى رحمة أو شفقة وبأنانية استحوذت على قلوبهم - بالافتداء بأعز ما يملكون، وهم الأبناء والإخوة والصحاب!

ثانياً: التقديم والتأخير في متشابه القرآن، ومن ذلك على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [القصص: ٢٠]، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ [يس: ٢٠]؛ فالناظر في الآية الأولى - موطن الشاهد - من سورة القصص سيفهم أن المراد من الآية هو: [مجيء من لا يعرفه سيدنا موسى - عليه السلام - من مكان لم يكن مجاوراً لمكانه، ثم أخبره هذا الشخص المجهول أن الكفار

(١) انظر في ذلك: "تفسير الفخر الرازي المشهور بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب"، الإمام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضيا الدين عمر المشتهد بخطيب الرّي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٩٨١م، ط ١، ج ٣١، تفسير سورة عبس، ص (٦٥). وانظر - كذلك - ج ٣٠، تفسير سورة المعارج، ص (١٢٦).

وأعداء الله يكيدون له ويمكرون عليه وقد أعدوا العُدَّة لقتل سيدنا موسى عليه السلام، وبذلك استوى حُكم الفاعل والمكان الذي جاء منه، فتم تقديم ما أصله التقديم، وهو الفاعل. والناظر في كتاب درة التنزيل وغرة التأويل لصاحبه الخطيب الإسكافي يلحظ أنَّ العلة في تقدم الجار والمجرور في سورة يس مردها أهمية إيضاح البُعد المكاني وأثره في إظهار المفارقة بين الساعي في إجابة رسل الله وبذله الجهد والمشقة في ذلك، حيث يأتي مسرعاً من أقصى المدينة، في حين أنَّ هناك من أعرضوا، وصدوا عن سبيل الله، وعن رُسل الله وهم جاثمين في أماكنهم<sup>(١)</sup>.

ومن الفوائد الإضافية ذات الدلالات القوية - كذلك - ما أضافه الإمام الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير؛ إذ قال: وفائدة ذكر أنه جاء من أقصى المدينة الإشارة إلى أن الإيمان بالله ظهر في أهل أطراف المدينة قبل ظهوره في قلب المدينة؛ لأن قلب المدينة هو مسكن حكامها، وأحبار اليهود، وهم أبعد عن الإنصاف، والنظر في صحة ما يدعوهم إليه الرسل<sup>(٢)</sup>.

ولم يتوقف الأمر عند الخطيب الإسكافي أو الطاهر بن عاشور؛ فقد وجدنا ابن كثير<sup>(٣)</sup> في تفسيره لسورة القصص يُلحق كلام كلٍّ من الإسكافي والطاهر بن عاشور بفائدة ثالثة؛ فقد أوضح أنَّ عِلَّة التقديم تعود إلى إبراز صفة الرجولية في هذا الرجل؛ وقد أفرد في تفسيره علة ما أسماه بـ: "الرجولية"، فقال إن هذا يعود إلى مُخالفته الطريق المرصود؛ حتى لا يلحق به القوم فيحولون بينه وبين الوصول لسيدنا موسى عليه السلام، إضافةً إلى اتخاذه الطريق الأقرب للإسراع في الوصول لسيدنا موسى قبل وقوع الخطر، وكذلك ما قام به من إفشاء المكيدة التي اتفق عليها الملاء من قوم فرعون واجتماعهم على قتل سيدنا موسى عليه السلام، وكل ذلك في شجاعة كبيرة غير مبال بخوف من قتل أو عقوبة، فهذه شجاعة نادرة وهي من صفات الرجال، وكذلك إخلاصه في النصيحة لسيدنا موسى عليه السلام، يقول تعالى: ﴿إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [القصص: ٢٠].

(١) انظر في ذلك: " درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز"، الخطيب الإسكافي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ١٩٨١م، ط٤، ص(٣٩٠-٣٩١) [بتصرف].

(٢) انظر في ذلك: " التحرير والتنوير"، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للطباعة والنشر، د.ت، ط١، ج٢٢، ص(٣٦٥-٣٦٧) [بتصرف].

(٣) انظر في ذلك: " تفسير القرآن العظيم"، الإمام الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، دار ابن حزم للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ط١، ص(١٤١٢). [بتصرف].

ثالثاً: تقديم بعض الجمل المعطوفة بعضها على بعض، ومن ذلك على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ٤٨]، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ١٢٣]؛ والناظر في هاتين الآيتين يلحظ أنهما شغلتا كثيرا من المفسرين باحثين عن سرٍّ ما بينهما من اختلاف في التقديم والتأخير، وقد تحدث الخطيب الإسكافي عن ذلك في كتابه درة التنزيل؛ إذ أوضح " أن تقديم الشفاعة أنسب في الآية الأولى؛ حيث الحديث عن النفس الجازية الشافعة؛ لأنَّ الشافع يقدم الشفاعة على بذل العدل عنها "؛ وذلك صحيح لأنَّ الشافع يقدم في الشفاعة ما هو أيسر عليه وأقل كلفة، ولا شك أنَّ الشفاعة بالجاء والقول أيسر منها بالعدل، وهو الفداء بالمال أو النفس، ونحوهما.

كذلك نراه يوضح في الآية الثانية أنَّ النفس المطلوبة بجرمها لايقبل منها عدل أي فداء عن نفسها، ولا تنفعها شفاعة شافع فيها؛ ومن أجل ذلك كله قال الله تعالى في الآية الأولى: ﴿ولا يقبل منها شفاعة﴾ وفي الثانية: ﴿ولا تنفعها شفاعة﴾؛ لأنَّ الشفاعة إنما تقبل من الشافع، وإنما تنفع المشفوع له<sup>(١)</sup>.

ونتعرف في المبحث التالي إلى التنوع الأسلوبي في مجالي الضمائر والعدد الذي يتضح من خلاله العديد من الدلالات الجمالية، التي تدل على قيمة الجماعة والتنوع بين صيغتي الأفراد والجمع .

### المبحث الثالث

#### التنوع الأسلوبي في مجالي الضمائر والعدد

##### أولاً - التنوع الأسلوبي في مجال الضمائر:

بعيدا عن تغير المصطلحات واختلاف العلماء فيما بينهم في المصطلح الدال على تنوع الضمائر في البناء التركيبي للجملة فإننا سنعتمد المصطلح القديم الذي هو "الالتفات"؛ لأصلته أولاً، وشدة ارتباطه بالتراث البلاغي أمراً ثانياً، ونلاحظ ذلك في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]؛ ففي الآية الكريمة ما يُعرف في البلاغة العربية باسم

(١) " درة التنزيل وغرة التأويل "، الخطيب الإسكافي، مرجع سابق، ص(١١-١٣). [ينصرف].

"الالتفات"<sup>(١)</sup>؛ وذلك أنّ الخطابَ في سورة الفاتحة قد بدأ بصيغة الغائب في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، ثم تحول إلى الخطاب إلى قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ﴾، والسر في ذلك هو الاهتمام بمراعاة حال البعد؛ حيث يكون غافلاً في أول القراءة فكأنَّ الله غائب عنه - بالنسبة له، وهو لا يزال يتعرف عليه شيئاً فشيئاً، ثم لا يملك إلا أن يتوجه إليه مخاطباً إياه مُقراً بربوبيته وأحقّيته بالعبودية ووحدانيته مفرداً إياه بالاستعانة؛ حيث لا ملجأ منه إلا إليه، فيقول داعياً إياه: ﴿يَاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ. اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ . صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٥-٧].

وكذلك فإن الناظر في اختيار الضمائر الدالة على الجمع في: [نعبد]، و[اهدنا]: لمحة تدل على قيمة الجماعة، وأنَّ العبد لا يغتر بسعيه، بل يتوجه إلى مولاه مستشفعاً بمن هو معهم من زمرة الصالحين.

### ثانياً - التنوع الأسلوبي في مجال العدد:

والناظر في هذا النوع من التنوع الأسلوبي في القرآن الكريم سيلحظ أنّ من أشهر صورته، ما يلي:

[أ] التنوع بين صيغتي الإفراد والجمع، وهناك أمثلة كثيرة للدلالة على ذلك ومنها على سبيل المثال لا الحصر، قوله تعالى: ﴿تَلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [النساء، ١٣: ١٤]؛ فقد جمع [خالدين] في وصف ثواب الطائعين، وأفرده في وصف عقاب العاصين، ولا يخفى على كل ذي لب وذوق رفيع أنّ الإفراد العاصي فيه دلالة على الذلة التي هو فيها.

### [ب] العدول إلى المفرد:

إنه من الدلالات الفنية للعدول إلى المفرد ما جاء في قوله تعالى في سورة الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَتًا حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا . وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾ [الجن: ٩]؛ فالحرس والرصد اسما جمع، فوصف الحرس

(١) [لمزيد من التفاصيل عن أسلوب الالتفات ومظاهره وآثاره]، انظر: "أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية"، د/ حسن طبل، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٨هـ = ١٩٩٨م، ط ١.

بالمفرد، وجاء الرصد وصفًا لمفرد، وفي ذلك أوضح الإمام الطيبي أن قوله تعالى: ﴿شَهَابًا رَّصَدًا﴾ قد نزل فيه الواحد وهو الموصوف منزلة الجمع لوصفه به إظهار لكمال حفظه. وكما تعرفنا إلى الإعجاز البلاغي في مجال الضمائر في القرآن الكريم نتعرف في المبحث التالي إلى التنوع الأسلوبي في مجال الصيغ التي تتنوع بين اسم الفاعل، والمضارع والماضي، والاسم، وفعل الأمر، وصيغة المبالغة، ونتعرف على أسرارها البلاغية.

## المبحث الرابع

### التنوع الأسلوبي في مجال الصيغ

#### أولاً: التنوع بين اسم الفاعل والمضارع:

- فمن ذلك ما علق به عبد القاهر على قوله تعالى: (هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ).  
- فلو قيل "هل من خالق غير الله رازق لكم" لكان المعنى غير ما أريد، وذلك أن المقصود في الآية تقرير العباد برزق الله تعالى لهم، إلا أن في التعبير بالمضارع (يرزق) من الدلالة على تجدد الرزق، وحصوله للعباد كل وقت، فيه من دقة المعنى، ولطفه ما لا يفيدته التعبير باسم الفاعل.

#### ثانياً: التنوع بين صيغة الماضي وصيغة اسم الفاعل:

- من مواضع العدول إلى اسم الفاعل في القرآن الكريم قوله تعالى: (وَلَمَّا أُتِيَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ) [البقرة: ١٤٥]؛ حيث عدلت الآية عن التعبير بصيغة الفعل (تبعوا) التي عبرت بها في حق أهل الكتاب إلى صيغة الاسم في حق النبي صلى الله عليه وسلم، وجاء التعبير باسم الفاعل منفياً لأدنى احتمال في انتساب النبي صلى الله عليه وسلم لمتابعة الكتاب، وذلك على نحو ما جاء في قوله تعالى: (وَلَا أَنَا عَبْدٌ مَّا عَبَدْتُمْ) ولذا قال الألوسي: (وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ) أي لا يكون ذلك منك ومحال أن يكون "وقال الزمخشري" وما أنت بتابع قبلتهم" حسم لأطماعهم هذا فضلاً عن أن الإخبار باسم الفاعل في هذه الجملة أدى إلى تكرار الاسم فيها؛ مما زادها تأكيداً، ومبالغة في النفي المؤكد بالباء، واستخدام الجملة الاسمية المنفية (وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ) هذا أبلغ في بيان الشأن الثابت الدائم للرسول - صلى الله عليه وسلم - فجاء التعبير بهذه الصيغة منفية

للدلالة على انتفاء أهلية النبي صلى الله عليه وسلم لهذا الأمر من أصله، ومن ثم انتفاء نسبه إليه.

### ثالثاً: التنويع الأسلوبي بين الاسم وفعل الأمر:

- عرض ابن الأثير أمثلة هذا النوع من التنويع كقوله تعالى: (قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ) [الأعراف: ٢٩] وكان تقدير الكلام: أمر ربي بالقسط وإقامة وجوهكم عند كل مسجد؛ فعدل عن ذلك إلى فعل الأمر (قل أمر ربي) للعناية بتوكيده في نفوسهم، فإن الصلاة من أوكذ فرائض الله على عباده ثم أتبعها بالإخلاص، الذي هو عمل القلب، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم "الأعمال بالنيات"<sup>(١)</sup>.

### رابعاً: التنويع الأسلوبي بين اسم الفاعل وصيغة المبالغة:

- ومن أمثلة ذلك ما ورد في سورة الشعراء في قصة موسى على لسان فرعون: (قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (٣٤) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (٣٥) قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (٣٦) يَا تُوكَ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ) [الشعراء: ٣٤ - ٣٧].

- حيث جاء التعبير بصيغة المبالغة (سحار) في هذا الموضع دالاً على مقابلة الملاء وصف فرعون لموسى بالسحر وتأكيد على أنه يريد أن يخرجهم من أرضهم (بسحره) فناسب ذلك أن يقابلوا ذلك بالوصية بالإتيان بكل سحار عليم يفوق سحره سحر موسى.

- وتوضح هذه النكتة حينما نقف على سياق القصة المشابهة في سورة الأعراف حيث يقول الله تعالى على لسان الملاء من قوم فرعون: (قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (١٠٩) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (١١٠) قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (١١١) يَا تُوكَ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ) [سورة الأعراف: ١١٠-١١٢]، وقد علل بعضهم مجيء صيغة المبالغة في الشعراء دون الأعراف بأن المبالغة في الشعراء مناسبة لقول فرعون (إن هذا لسحر عليم).

(١) أخرجه البخاري، باب بدء الوحي، رقم (١) باب: ما جاء إن الأعمال بالنية والحسنة، ولقائل امرئ ما نوى، رقم (٥٤)

- ولكن يضعف من هذا التعليل أن الملائق قد وصف موسى كذلك في الشعر بأنه (ساحر عليم) وأرى أنه لم تأت المبالغة (ساحر) في سورة الأعراف.  
أما في سورة الشعراء فإن الكلام فيها على لسان فرعون - لا الملائق - وهو يؤكد لهم أن معجزة موسى - عليه السلام - والتي سماها فرعون سحرًا - تبلغ من القوة والتأثير أن يخرجهم موسى من أرضهم بها؛ لذا "جاءوا بكلمة الإحاطة وبصيغة المبالغة ليطيبوا قلبه، وليسكنوا بعض قلقه".

#### خامسًا: التنوع في صيغ المصدر: بين (الحياة - الحيوان):

- فمن ذلك ما جاء في قوله تعالى: (وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِئًا حَيَوَانٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) [العنكبوت: ٦٤].  
- حيث جاء اختيار المصدر (الحياة) للتعبير عن الحياة في الدنيا، وجاء اختيار المصدر (الحيوان) على صيغة (الفعالن)؛ للتعبير عن الحياة في الدار الآخرة.  
- ولذا قال الزمخشري وفي بناء الحيوان زيادة معنى ليس في بناء الحياة وهي ما في بناء فعالن من معنى الحركة والاضطراب كالنزول والنقصان واللهيان، والحياة حركة كما أن الموت سكون؛ فمجيؤه على بناء دال على معنى الحركة مبالغة في معنى الحياة.

#### سادسًا: التنوع بين المصدر واسم المرة:

وذلك كما في قوله تعالى إخبارًا عن قوم نوح وتكذيبهم لنبيهم عليه السلام: (قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنِّي لَأَنْذَرُكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٦٠) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ) [الأعراف: ٦٠: ٦١]؛ فعدل عن صيغة المصدر (ضلال) إلى صيغة اسم المرة (ضلالة) وأوقعها نكرة في سياق النفي لإفادة العموم، واختار حرف الجر الباء لنفي أدنى ملابسة له بالضلالة فكأنه قال (ليس بي شيء من الضلال)؛ وذلك لأن اسم المرة لا يدل على الفعلة الواحدة، ونفي الأدنى من نفي الأكثر [فيرجع حاصل المعنى ليس بي أقل قليل من الضلال فضلًا عن الضلال المبين].

#### سابعًا: التنوع الأسلوبي بين صيغة (فعل - افتعل):

- كما في قوله تعالى: (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ) [البقرة: ٢٨٦] حيث نلاحظ أن الآية اختارت (كسبت) على وزن (فعل) في الدلالة على فعل

الخير، بينما أثرت (اكتسبت) على (كسبت) في الدلالة على فعل الشر، فاختارت صيغة افتعل على صيغة (فعل) وهذه الصيغة افتعل تأتي لعدة معان، منها مما يناسب السياق: الاجتهاد والطلب والتصرف والمبالغة في معنى الفعل.

- قال سيبويه: قد عدلت الآية في التعبير عن الشر إلى الاكتساب؛ للدلالة على التكلف والاجتهاد والاضطراب.

- فالنكت الزمخشري هنا إلى ما تدل عليه الصيغة من المبالغة في الفعل ومناسبة ذلك لغلبة الشر على الطباع.

- قال ابن عطية: وقوله تعالى: {لَهَا مَا كَسَبَتْ} يريد من الحسنات {وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ} يريد من السيئات.

ونخلص مما سبق إلى أن الحسنات هي مما يكسب دون تكلف، والسيئات تكتسب ببناء المبالغة، فيحسن في الآية مجيء التصريفين؛ إحراراً لهذا المعنى.

**ثامناً: التنوع في الإخبار عن الفعل الماضي بالمستقبل، وعن المستقبل بالماضي:**

وذلك في قوله تعالى: (وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُبْرِئُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ) [فاطر: ٩] فالأصل الذي يقتضيه السياق هنا هو (فأثارت) وعدل عنه لغرض بلاغي.

- وقول تأبط شرّاً:

بَأْيٍ قَدْ لَقِيْتُ الْغَوْلَ تَهْوَى بِسَهْبٍ كَالصَّحِيفَةِ صَحْصَحَانَ  
فَأَضْرِبُهَا بِلَا دَهَشٍ فَخَرْتُ صَرِيحًا لِلْيَدَيْنِ وَلِلْجِرَانِ

- فأصله: (فضربتُها).

وعليه ورد - أيضا - قوله تعالى: {حُنْفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ} [الحج: ٣١ - ٣٢].

- فقال أولاً: "خرّ من السماء" بلفظ الماضي، ثم عطف عليه المستقبل لاستحضار صورة خطف الطير إياه وهوى الريح به، ونتعرف في المبحث التالي إلى التنوع الأسلوبي في مجال الأدوات، حيث نتناول حروف التوكيد وحروف الجر.

## المبحث الخامس

### التنوع الأسلوبي في مجال الأدوات

#### أولاً: التنوع في حروف التوكيد:

- من ذلك قوله عز وجل: (ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ) أكد إثبات الموت تأكديين - وإن كان مما لا ينكر - لتزليل المخاطبين منزلة من يببالغ في إنكار الموت، ذلت ماديتهم في الغفلة، والإعراض عن العمل لما بعده، ولهذا قيل "ميتون" دون "تموتون" .. وأكد إثبات البعث تأكيداً واحداً - وإن كان مما ينكر - لأنه لما كانت أدلته ظاهرة كان جديراً بأن ينكر، بل إما يعترف به أو يتردد فيه، فنزل المخاطبين منزلة المترددين، تنبيهاً لهم على ظهور أدلته، وحثاً على النظرة فيها، ولهذا جاء "تبعثون" على الأصل.

وفي قوله تعالى: (قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذَّنْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (١٣)) [يوسف: ١٣]، ذكر يعقوب - عليه السلام - سببين يمنعانه من إرسال أخيهم معهم؛ حزنه لفراقه، وخوفه عليه من أكل الذنب له، وكأنه لا يسلم لهم بالسبب الذي ذكروه، وهو أنه لا يأمنهم عليه، وإن كان لم ينكر ذلك صراحة؛ فحاله حال نبي يريد ألا يكذب، ويريد في الوقت ذاته أن يصرفهم بلطف عما ذهبوا إليه؛ محاولاً التخفيف من تأجج نار الحقد والغل والحسد على يوسف عليه السلام، ولكن جاء الكلام مع ذلك دالاً على حاله كاشفاً عنه.

- فالتوكيد في قوله: "إني ليحزنني" توكيد بان واللام ليس مقصوداً به المخاطب بلا شك، فأبناؤه متيقنون من شدة محبته ليوسف، وأنه لا يصبر على فراقه طرفة عين، ولولا ذلك لما أقدموا على ما هم مقدمون عليه، ورعاية حال المخاطب تقتضي من هذا النبي الحكيم ألا يؤكد ذلك الأمر وألا يظهره لأبنائه؛ لكيلا يزيد اشتعال الحقد في قلوبهم، ولا يزكي نار العداوة فيها، ولكن جاء هذا التوكيد فلتة من فلتات لسانه، كتعبير شعور تلقائي، يفيض به قلبه الذي يكاد ينفطر لمجرد تصور الفراق، ولو لساعة يسيرة.

- ويدل لذلك أيضاً تعبيره بالفعل دون الاسم فعبر بـ "أن تذهبوا به" بدلاً من "ذها بكم به" فأتى الكلام كاشفاً عن حال المتكلم بذلك، وهو أن الحزن المؤكد يلم به لمجرد وجود فعل الذهاب ومجرد تصور الحدث.

### ثانياً: التنويع بين حروف الجر:

- وذلك كما في قوله إخباراً عن قوم نوح وتكذيبهم لنبيهم عليه السلام: (قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنِّي لَأَنْزَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٦٠) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٦١)) [الأعراف: ٦٠: ٦١] ويمكننا أن نلمح بوضوح ذلك التنويع في الآية بين الحرف (في) وحرف (الباء) ومعلوم أن (في) تفيد الظرفية والانغماس بالكلية في الشيء أما الباء فهي تأتي للملابسة.

- وسر هذا التنويع يرجع إلى أن الملاء من قوم نوح قد اتهموا نوحاً عليه السلام بالضلال اتهاماً مؤكداً بأن واللام مبالغاً فيه بادعاء رؤيتهم له في ضلال مبين، بما يفيد لفظ الرؤية من اليقين والتثبت، ولفظ (في) من معنى الإحاطة والانغماس في الضلال، واختار حرف الجر الباء لنفي أدنى ملابسة له بالضلالة. فكانه قال (ليس بي شيء من الضلال) أو (ليس بي نوع من الضلال ألبتة، فكان هذا أبلغ في عموم السلب).

وبعد أن تعرفنا في هذا الفصل على التنويع الأسلوبي في القرآن الكريم في البناء والضمائر والصيغ والأدوات؛ نتعرف في الفصل التالي على الفواصل القرآنية من حيث أهميتها، وأنواعها، وبنائها، وبلاغتها.

## الفصل الثامن

### الفواصل القرآنية (بناؤها وخصائصها)

المبحث الأول: دراسة المصطلح لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: الفواصل القرآنية (أهميتها - أغراضها - فوائدها).

المبحث الثالث : الخلاف حول مُصطلح الفواصل القرآنية والسجع.

المبحث الرابع: تحديد الفواصل القرآنية وطرق معرفتها.

المبحث الخامس: الفواصل القرآنية (أقسامها وأنواعها/أنماطها وأشكالها).

المبحث السادس: البناء التركيبي للفاصلة القرآنية نحوياً/ صرفياً/ دلالياً.

المبحث السابع: الدراسات الإحصائية التي دارت حول الفواصل القرآنية

ون نتائجها ودلالاتها.

المبحث الثامن: الخصائص المميزة للفواصل القرآنية.

**توطئة:**

إنَّ المتأمل في كتابِ الله عزَّ وجلَّ يلحظ ما فيه من قُوَّةٍ وبيَّانٍ وبِلاغةٍ قد أثَّرت وتُؤثر في المتلقِّي بما أثارته، وتثيره من مَظَاهِرِ إعجازية؛ فأعجاز القرآن أشبه ما يكون بعقدِ أحجارِ كريمةٍ إن شاء المرءُ إحصاءها، أو وصفَ جمالها، أو معرفةَ ماهيتها لوقف أمامها كالمدهُوش الصامت على رأسه الطير!.

والفواصل القرآنية هي إحدى حَبَّاتِ ذلك العِقدِ شغلت العلماء - منذ زمن بعيد ولا زالت تشغلهم - بأسرارها، وجمالها، وبروعةِ جرسها، وموسيقاها، والبحث في أمرِ الفواصل القرآنية ليس بقريب عهدٍ وإنما يضرب بجذوره في أعماقِ النَّقَّاةِ الإسلامية<sup>(١)</sup> منذ أن انتبه العلماء والباحثون لدراسة القرآن، وتفسيره، وبيانِ ظواهره البلاغية والإعجازية.

**وفي تناولنا لظاهرة الفواصل القرآنية رأينا دراستها وفق مجموعة من العناصر التي الآتية:**

- ١- دراسة المصطلح لغة واصطلاحاً.
- ٢- الخلاف حول مُصطلح الفواصل القرآنية والسجع.
- ٣- تحديد الفواصل القرآنية وطرق معرفتها.
- ٤- الفواصل القرآنية (أهميتها - أغراضها - فوائدها).
- ٥- الفواصل القرآنية (أقسامها وأنواعها/أنماطها وأشكالها).
- ٦- البناء التركيبي للفاصلة القرآنية نحوياً/ صرفياً/ دلالياً.
- ٧- ما تدور حوله الفواصل القرآنية من المواد اللغوية ودلالة ذلك.
- ٨- اختلاف العلماء والباحثين في فهم الفواصل القرآنية وتفسيرها وتحليلها ونتائج ذلك.
- ٩- الدراسات الإحصائية التي دارت حول الفواصل القرآنية ونتائجها ودلالاتها.
- ١٠- الخصائص المميزة للواصل القرآنية.

(١) مرَّت الفواصل القرآنية برحلةٍ تاريخيةٍ شائقة عبر سنوات طوال تطور فيها مفهومها مرات عدة حتى استقر العلماء على تعريفٍ اصطلاحِيٍّ ثابتٍ لها وقد بدَّلَ فيها العلماءُ جهودًا فائقةً في التأسيس، والتفسير، وتناولها علمياً وجمالياً، (المزيد من التفاصيل حول تاريخ الفواصل القرآنية)، انظر: الفاصلة في القرآن، محمد الحسنوي، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ط٢، الباب الثاني، ص(٣٣).

## المبحث الأول

### دراسة المصطلح لغة واصطلاحاً

#### أولاً- التعريف اللغوي:

لمادة (فَصَلَّ) في اللغة العربية عددٌ من المعاني المتلاقية ترادفًا أو تضادًا، منها: الفصل، وهو: البون ما بين الشيئين، والفصل من الجسد موضع المفصل وبين كل فصلين وصل، مثل: الحاجز بين الشيئين والفاصلة هي الخرزة التي تفصل بين الخرزتين في النظام، وقد فصلَّ النظم وعَفَّدَ مُفَصَّلًا، أي جعل بين كل لؤلؤتين خرزة<sup>(١)</sup>.  
ومثله: الفَصْل: القضاء بين الحق والباطل، وقريب منه: فَصَّلَ من الناحية، أي: خرج منها، ومنها: التفصيل: التبيين، ومنها: الفصل واحد الفصول، أي: القِطْع<sup>(٢)</sup>.

#### ثانياً- التعريف الاصطلاحي:

قام جمعٌ غير قليل بتعريف الفواصل القرآنية وقد اهتمت بها كثير من علوم اللغة العربية<sup>(٣)</sup>، كعلم النحو والعروض والترقيم وعلم علوم القرآن وغيرها من علوم العربية، والواقع أن كلَّ التعريفات التي سبقت حول الفواصل القرآنية لا تخرج عن سنن المدلول اللغوي للفظتي: [فصلناه - مفصلات] الواردتين بكتاب الله عز وجل في قوله تعالى: ﴿بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ﴾، [الأعراف: ٥١]، وقوله تعالى: ﴿آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ﴾، [الأعراف: ١٣٢]، وقد دارت اللفظتان حول مدلولين اثنين، وهما:

[أ] ﴿بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ﴾ أي: تفصيل الآيات بالفواصل.

[ب] ﴿بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ﴾ أي: بيّناه.

[ج] ﴿آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ﴾ أي: بين كل آيتين فصل تمضي هذه وتأتي هذه بمعنى المهلة بين كل آيتين.

[د] ﴿آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ﴾ أي: مبيّنات.

المعنى الأول:

التفصيل بين كل آيتين بمعنى المهلة

المعنى الثاني: التوضيح والبيان

(١) دائرة المعارف الإسلامية، ط٢، ج٢، ص: (١١٤١) (هـ. فلايش)، النسخة الإنكليزية.

(٢) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، دار صادر، بيروت، د.ت، ط١، مادة: (فَصَلَّ).

(٣) انظر في ذلك: "لسان العرب"، المرجع السابق، مادة: (فَصَلَّ) - "الترقيم وعلاماته في اللغة العربية"، أحمد زكي باشا، المطبعة الأميرية بمصر، ١٣٣٠هـ، ١٩١٢م، ط١، ص(١٤ - ١٧).

رُغم اتفاق العلماء والباحثين - قديماً وحديثاً - على مصطلح "الفاصلة" فقد اختلفوا - كما هي طبيعة البشر - في دقائق تعريفاتهم الاصطلاحية لها، وقد زخرت كُتُبُ القُدامى والمحدثين بتلك الاختلافات<sup>(١)</sup> التي وإن دلت على شيء فإنما تدل على عمق تحليلاتهم وجُهدهم في إعمال عقلمهم وتفاوت أفكارهم، وبعيدا عن الاختلافات بما فيه من عواصف ولجج فإننا إن أردنا أن نخرج بتعريف اصطلاحِي للفواصل القرآنية يكون شافيا ومُغنياً وكافياً بإذن الله لذا فإننا سنعتبر أنَّ الفاصلة القرآنية: هي كلمة آخر الآية كفاية الشعر وسجعة النثر، أو هي توافق أواخر الآي في حروف الرويِّ أو في الوزن مما يقتضيه المعنى وتستريح إليه النفوس.

ولا شك أنَّ الفواصل القرآنية لا زالت تمثل بحرا زاخرا بالدرر واليواقيت الحسان، التي يمن بها الله تعالى على من شاء من عباده.

**ونتعرف في المبحث التالي إلى الفواصل القرآنية، ونتجول في أهميتها، وأغراضها، وفوائدها، باعتبارها ظاهرة جديدة على العرب؛ لم تكن معروفة ولا مطروحة في أدبهم.**

(١) انظر في بيان تلك الاختلافات: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن" الرُّمَّاني، تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط١، د.ت، ص(٨٩) "إعجاز القرآن" الباقلاني، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ١٩٦٣م، ط١، ص(٢٧٠) - "البرهان في علوم القرآن" الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية بمصر، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م، ط١، مج١، ص(٥٣) - "من بلاغة القرآن"، د/ أحمد أحمد بدوي، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٣٧٠هـ - ١٩٥٠م، ط١، ص(٧٥) - "إعجاز القرآن"، عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٣٨٣هـ، ١٩٦٤م، ط١، مج٢، ص(٢٠٦ - ٢٠٧). [تجدد الإشارة بالذكر إلى أنَّ الدكتور محمد الحسناوي قد عرض لكثيرٍ من هذه الاختلافات في كتابه: "الفاصلة في القرآن" في عدة فقرات، الفاصلة في القرآن، محمد الحسناوي، مرجع سابق، ص(٢٦ - ٢٧)]، غير أنَّ كتاب الفاصلة القرآنية لم يسلم من استدراقات غاية في الأهمية وردت في كتاب: "الدلالات المعنوية لفواصل الآيات القرآنية" لصاحبه لدكتور جمال محمود أبو حسان، عمان، الأردن، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، ط١، ص(٤٧ - ٥٠).

## المبحث الثاني

### الفواصل القرآنية (أهميتها - أغراضها - فوائدها)

#### أولاً - أهميتها:

وَهَبَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ لِلْفَوَاصِلِ الْقُرْآنِيَةِ نِعْمَةً عَظِيمَةً، وَهِيَ نِعْمَةُ الْحَسَنِ وَالْجَمَالِ الَّذِي يُبْهَرُ السَّمْعَ وَالْفُؤَادَ فَتَتَخَلَّلُ السَّمْعَ بِأَثَارِهَا الصَّوْتِيَّةِ وَالْمَوْسِيقِيَّةِ<sup>(١)</sup> فَتُطْرَبُ لَهَا الْأَذْنَ وَلَا تَجِدُ لِنَفْسِهَا سَبِيلًا سِوَى الْإِنْقِيَادِ التَّامِ لَهَا.

إِضَافَةً لِأَهْمِيَّتِهَا الدَّلَالِيَّةِ الَّتِي تُؤَكِّدُ دَقَّةَ اسْتِخْدَامِ هَذِهِ الْفَاصِلَةِ أَوْ تَلْكَ فِي مَوْضِعِهَا مِنَ النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ مِمَّا يَشِي بِتَضَامُنِ الْفَاصِلَةِ الْقُرْآنِيَّةِ مَعَ سِيَاقِهَا مِنْ جِهَةٍ وَمُضْمُونِ السُّورَةِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، إِضَافَةً إِلَى تَوْظِيفِ الْفَاصِلَةِ الْقُرْآنِيَّةِ لِبِنَائِهَا النَّحْوِيِّ وَالصَّرْفِيِّ لِلدَّلَالَةِ عَلَى غَرَضِهَا الْمَنْوُطِ بِهَا إِظْهَارِهِ، وَالْأَمْرَ أَشْبَهَ مَا يَكُونُ بِاتِّحَادِ عَصَبَةٍ عَلَى أَمْرٍ مَعِينٍ وَهُوَ مَا حَدَثَ مِنْ اتِّحَادِ كُلِّ مِنَ الْبِنَاءِ النَّحْوِيِّ وَالصَّرْفِيِّ وَالِدَّلَالِيِّ عَلَى إِظْهَارِ غَرَضِ الْفَاصِلَةِ الْقُرْآنِيَّةِ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ مِنْ مَوَاضِعِهَا، الْأَمْرَ الَّذِي يُؤَكِّدُ إِعْجَازَ الْقُرْآنِ لِلبَشَرِ؛ إِذْ يَتَعَذَّرُ عَلَى الْبَشَرِ - مَهْمَا بَلَغَتْ دَرَجَةَ فَصَاحَتِهِمْ وَبِلَاغَتِهِمْ - أَنْ يَصِلُوا لِمَنْثَلِ هَذِهِ التَّوْلِيفَةِ الَّتِي اسْتَحَقَّتْ عَن جِدَارَةٍ أَنْ تَكُونَ أُسْلُوبًا خَاصًّا مُمَيِّزًا تُفْرَدُ مِنْ أَجْلِ الْكُتُبِ وَالْمَوْاَلَفَاتِ لِلغَوْصِ فِي أَسْرَارِهِ وَاكْتِنَاهِ خِصَائِصِهِ.

وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى نَقُولُ: إِنَّ الْفَوَاصِلَ الْقُرْآنِيَّةَ تَكْمُنُ أَهْمِيَّتِهَا فِي كَوْنِهَا دَلِيلًا عَلَى إِعْجَازِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ وَأَنَّ هُنَاكَ رَبًّا عَزِيزًا حَكِيمًا رَغْمَ أَنْفِ كُلِّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ.

#### ثانياً - أغراضها ووظيفتها:

وَمِنْ هُنَا فَقَدْ عَدَّتْ الْفَاصِلَةُ ظَاهِرَةً جَدِيدَةً لَمْ تَكُنْ مَعْرُوفَةً وَلَا مَطْرُوحَةً لَدَى الْعَرَبِ، وَمِنْ ثَمَّ عِنْدَ طَرْحِهَا أَثَارَتْ أَفْنَدَتَهُمْ قَبْلَ عَقُولِهِمْ فَمَا كَانَ مِنْهُمْ، إِلَّا أَنْ أَوْلَوْهَا الْإِهْتِمَامَ بِالدَّرْسِ وَالْبَحْثِ، وَمَنْبَعِ الْجِدَّةِ فِيهَا أَنَّ الْفَاصِلَةَ الْقُرْآنِيَّةَ تَأْتِي تَابِعَةً لِلْمَعْنَى - كَمَا ذَكَرْنَا أَنْفًا - مَتَمِّمَةً

(١) [تجدد الإشارة بالذكر إلى أنه سيتم تناول المسألة الخاصة بالأثر الصوتي والإيقاعي الخاص بالفواصل القرآنية في موضعه من البحث، وما ذكر هنا من أجل توضيح الصورة العامة ورسم ملامح أهمية الفواصل القرآنية وأثارها].

للنظم القرآني، ولهذا فإنَّ لها أغراضًا كثيرة ووظائف متغايرة حاول العلماء والباحثون الإلمام بها، ومنها<sup>(١)</sup>:

١- هي إحدى وسائل التذكّر والعون على حفظ القرآن، والسرعة في حفظه، وتثبيتته في الذاكرة.

٢- تحسين الكلام ومساعدة القارئ على الاستراحة بين الفواصل؛ راحة للنفس عند التلاوة حيث يحسن السكوت عليها، وقد كمل المعنى، أو قارب الكمال؛ بحيث يشهد الذوق بذلك ويدركه.

٣- تؤدّن بانتهاء الآية وتميز بينها وبين التي تليها كما تميز قافية الشعر بيتًا من بيت مع اختصاص الفاصلة بأحكام الربط، ودقة النظم، وجمال التلاؤم.

٤- تساعد في جذب انتباه السامع وإطرابه؛ لما تتضمنه من نغم صوتي تُلذ له الأسماع بما تُحدثه من جمال صوتي، وفي ذلك قال الدكتور/ محمد عبد الله دراز: "وهذا الجمال التوقيعي لا يخفى على أحد"<sup>(٢)</sup> وفي كل ذلك ما هو إغناءً للفطرة العربية المجبولة على حبّ القوافي والأسجاع بما هو خير منه وأكثر ثوابًا، ولعل في كلام الأستاذ مصطفى صادق الرافعي ما يوضح ذلك؛ إذ يقول: "وما هذه الفواصل التي تنتهي بها آيات القرآن إلا صور تامة للأبعاد التي تنتهي بها جمل الموسيقى، وهي متفقة مع آياتها في قرار الصوت؛ اتفاقًا عجيبًا يلائم نوع الصوت، والوجه الذي يساق عليه بما ليس وراءه العجب مذهب"<sup>(٣)</sup>.

(١) ذكر غير واحد من العلماء والباحثين أغراضًا شتى للفواصل القرآنية، انظر في ذلك على سبيل المثال لا الحصر: "خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية"، د/ عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، ط١، ص(٢٢٥). "فواصل الآيات القرآنية"، د/ السيد خضر، مرجع سابق، ص(٥٤). "من أسرار البيان القرآني"، د/ فاضل صالح السامرائي، دار ابن كثير، بيروت، لبنان، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م، ط٢، ص(١٨٧). "جماليات السياق القرآني وتجلياته في الدرس البلاغي"، أ.د/ عقيد خالد العزّاوي، دار الماجد، دار العصماء، سورية، دمشق، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٦م، ص(٢٤ - ٢٥ / ١١١ - ١١٢).

(٢) "النبأ العظيم"، د/ محمد عبدالله دراز، دار طيبة للنشر والتوزيع، السعودية، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ط٢، ص(١٣١).

(٣) "إعجاز القرآن والبلاغة النبوية"، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م، ط٩، ص(٢١٦)

ثالثاً - فوائدها<sup>(١)</sup>:

وقف جمعٌ ليس بالقليل من العلماء والباحثين أمام الفواصل القرآنية للإمام بفوائد المعرفة بها، وذكروا منها جوانب عدّة، منها:

١- يحتاج لمعرفة علم الفواصل لصحة الصلاة؛ فقد قال بعض الفقهاء فيمن لم يحفظ الفاتحة: يتعين عليه قراءة سبع آيات أخرى، فمن لم يكن عالماً بالفواصل لا يمكنه أن يأتي بما يصحح صلاته.

٢- تتوقف معرفة المسنون على معرفة الفواصل؛ إذ إن الوقف على رعوس الآي سنّة.

٣- اشتراطه لصحة الخطبة؛ فقد اشترط العلماء فيها قراءة آية تامة، فمن لم يكن عالماً بالفواصل؛ يعسر عليه معرفة ما يصحح به الخطبة.

٤- اشتراط هذا الفن في باب الإمامة<sup>(٢)</sup>، فإن من القراء من يوجب إمالة رعوس أي سور خاصة كرعوس أي سورة طه والنجم وغيرهما.

٥- بيان ثراء النص القرآني الحكيم بالمعاني المتكاثرة، والتي سبيلها التفكير فيه، وكدّ الدّهن له.

٦- بيان إعجاز القرآن الكريم في ألفاظه بحيث لا تسد لفظة محل أختها ولا يمكن إيجاد البديل للفظة القرآن الكريم من الثراء بالمعاني في ذلك المحل، ولا شك أن للفاصلة جانبا كبيرا من هذا الأمر؛ إذ هي ألفاظ قرآنية ذات صبغة خاصة بكونها في نهايات الآيات.

(١) تنبه كثير من العلماء والباحثين في مؤلفاتهم إلى فوائد الفواصل القرآنية، ومن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر: " عبد الفتاح القاضي في "بشير اليسر شرح ناظمة الزهر"، والألوسي في كتابه "روح المعاني"، وحديثاً - كذلك - عبد الرزاق علي إبراهيم موسى في كتابه "مرشد الخلان إلى معرفة عد أي القرآن"، وكتابه: "المحرر الوجيز في عد أي الكتاب العزيز" - [ وقد قام قام الدكتور/ جمال محمود أبو حسان - مشكورا - بجمع تلك الفوائد وترتيبها في كتابه الممتع: "الدلالات المعنوية لفواصل الآيات القرآنية"، / جمال محمود أبو حسان، دار الفتح للدراسات والنشر، عمان، الأردن، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م، ط١، ص(١١٨-١١٩)].

(٢) المراد بالإمالة: هو ميل الحركة إلى حركة أخرى وميل الحرف إلى حرف آخر، والإمالة لغة بعض القبائل العربية، مثل تميم وأسد وقيس، والإمالة أن تُمال الفتحه لكي تكون قريبة من الكسرة وأن يمال الألف نحو الياء، وذلك لأسباب تتعلق باللفظ نفسه من حيث تجاوز الألفاظ أو من حيث الإشعار بأصل الكلمة، والغاية من الإمالة تيسير النطق؛ = فالفتح يحتاج إلى فتح الفم، والإمالة تُخفف من صعوبة النطق بالفتح في بعض الحالات، انظر في ذلك كتاب: "المدخل إلى علوم القرآن"، محمد فاروق النبهان، الناشر: جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، ٢٠١٤ م، ط٣، (١٨).

٧-الدفاع عن القرآن الكريم في مواجهة الانحراف الفكري والآراء العجيبة وقد استخدم بعض العلماء المتقدمين الفاصلة لهذا الغرض، ولعل من أظهر ذلك ما ذكره الألوسي دفاعاً عن انفصال سورتي الفيل وقريش؛ حيث زعمت بعض الروايات أنهما سورة واحدة، فقال الألوسي بعد هذا الكلام في هذا الشأن ما نصه: "ويؤيد الاستقلال كون أيها ليست على نمط أي ما قبلها"<sup>(١)</sup>، وهذا ظاهر في أنه يريد اختلاف الفواصل في كلتا السورتين. **ونتعرف في المبحث التالي إلى الخلاف حول مصطلح الفواصل القرآنية.**

### المبحث الثالث

#### الخلاف حول مصطلح الفواصل القرآنية والسجع

لم يسلم الأمر من خلافٍ ومعركة<sup>(٢)</sup> بين أنصار من نادى بمصطلح السجع وإسقاطه على الفاصلة القرآنية وبين من نادى بخصوصية المصطلح للقرآن الكريم، فلا يصح، ولا يليق إسقاط هذا على ذلك وإلا كان مُدخلاً يلج منه كل من كان بينه وبين القرآن عداً فيطعن ويشكك ويقدرح، وكأن القرآن قد سلم منذ أنزله الله من طعن أو تشكيك أو تجريح! وكأن القرآن - وحاشاه - يخشى من لغوهم وهشيم كلامهم! وهو المعجز في ذاته، العظيم في قدره.

وواقع الأمر أن منشأ الخلاف هو ما بين الفواصل والأسجاع من تشابه في الشكل فكانت النتيجة أن سمّاها البعض سجعا، وسمّاها آخرون فواصل أو رعوس الآي، والمسألة برمتها مسألة شكلية أخذت أكثر من اللازم من جهود العلماء والباحثين وهي جهود مهدورة؛ فالقرآن الكريم مليئٌ بالفواصل التي هي نهايات آياته، ولكن ليست كل فواصله مسجوعة ولا كلها مرسلّة؛ فمنها المسجوع ومنها المرسل، وكلاهما من أشكال البيان العربي قبل الإسلام وبعد دخول الإسلام، ولذا فإن استخدام مصطلح كمصطلح السجع - وهو أحد المصطلحات

(١) "روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني"، محمود شكري الألوسي البغدادي شهاب الدين، تحقيق: الشيخ الأرنؤوط، إدارة الطباعة المنيرية، دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٩٧٤م، (٣٠ : ٢٣٨).

(٢) انظر في بيان طرف ذلك الخلاف: "معاني القرآن"، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، محمد على النجار، دار الكتب، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م، (٣/٢٢٤) - "النكت في إعجاز القرآن"، أبو الحسن علي بن عيسى الرماني، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم، تحقيق: د/ محمد خلف الله أحمد، د/محمد زغلول سلام، ط٤، دار المعارف، ١٩٩٩م، ص(٩٧).

المهمة بعلم البلاغة العربية - في القرآن الكريم لا ينقص من قدر القرآن شيئاً، ولعلنا نقتبس هنا مقولة للشاعر أحمد شوقي لخص فيها ذلك الاعتقاد؛ فقال: "... وقد ظلم العربية رجال قبحوا السجع وعدوه عيباً وخلطوا الجميل المنقرد بالقبيح المرذول منه: يوضع عنوانا لكتاب، أو دلالة على باب، أو حشوا في رسائل السياسة، أو ثرثرة في المقالات العلمية، فيا نشء العربية، إن لغتكم لسرية مثرية، ولن يضيرها عائب يُنكر حلاوة الفواصل في الكتاب الكريم، ولا سجع الحمام في الحديث الشريف، ولا كل مأثور خالد من كلام السلف"<sup>(١)</sup>.

أمّا عن مصطلح رعوس الآيات فهو مُرادفٌ لمصطلح الفواصل التي هي بدورها نهايات الآيات، وظاهر الأمر أنّ مصطلح رعوس الآيات كان مزامناً لمصطلح الفواصل إن لم يكن متأخراً عنه في الظهور، لكنّ الجدل حول السجع في القرآن أبرز مصطلح "الفاصلة القرآنية"، وأضرّ بظهور مصطلح "رعوس الآيات" على الساحة النقدية، وشاهد ذلك ما قد حدث من اندهاش علماء أجلاء مثل د/ محمد مهدي علام، ود/ أحمد عمار عند سماعهما لمصطلح رعوس الآيات وذلك أثناء محاضرة كان يلقيها د/ إبراهيم أنيس في مجمع اللغة العربية<sup>(٢)</sup>.

نقول: إنّ الأمر الذي نحن في حاجة ماسة إليه في الدرس القرآني المعاصر هو طرح كل هذه الاختلافات والتشقيقات والتفريعات التي من شأنها شتات الفكر والروح، وقطع حبل الوصال والتدبر السليم بكتاب الله الكريم، وأول ما يجب أن يحدث هو طرح الخلاف جانبا والاتفاق على ضبط المصطلحات.

**وفي المبحث التالي نتناول تحديد الفواصل القرآنية، وطرق معرفتها، بشقيها الطريقة التوقيفية، والطريقة القياسية.**

(١) "أسواق الذهب"، أحمد شوقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٧١م، ص(١١٥).

(٢) أورد الدكتور محمد الحسناوي هذه القصة في كتابه: (الفاصلة في القرآن)، مرجع سابق، ص(١٣٨).

## المبحث الرابع

### تحديد الفواصل القرآنية وطرق معرفتها<sup>(١)</sup>

من المعروف بدهاء أنّ عدم تحديد الشيء وتصور ماهيته ووضع ضوابط محددة له يكون سببا في تشتت العقل وزلل القدم في أرضٍ سراپ، ولهذا كان لزامًا علينا أن نقوم بوضع الضوابط التي يستطيع المرء معها ترتيب أفكاره.

ونحن إن أردنا أن نقوم بضبط الفواصل القرآنية وبيان طرق تحديدها سنجد أنفسنا أمام طريقتين لا ثالث لهما، وهما ما نقله الزركشي في كتابه: "البرهان في علوم القرآن"<sup>(٢)</sup> عن الجعبري<sup>(٣)</sup>، وأوردهما الحسناوي - حديثًا - في كتابه: "الفاصلة في القرآن"، ولمعرفتها طريقتان:

( أ ) طريقة توقيفية. ( ب ) طريقة قياسية.

أ- الطريقة التوقيفية<sup>(٤)</sup>: وهي الطريقة التي كان يتلو النبي صلى الله عليه وسلم بها القرآن؛ فما وقف عليه دائما تأكد لنا أنه من الفواصل القرآنية، وما وصله دائما تأكد لنا أنه ليس من الفواصل القرآنية، وما وقف عليه مرة ووصله مرة احتمال الوجهين، وقد ورد عن أم سلمة<sup>(٥)</sup> رضي الله تعالى عنها عندما سئلت عن قراءة النبي صلى الله عليه وسلم قال: " كان

(١) تعددت المصطلحات المشيرة لتحديد الفواصل القرآنية؛ فمن الباحثين من يطلق عليها أسماء: [ طرق تحديد الفاصلة - ضوابط الفواصل - أركان الفواصل - حدود الفواصل، وغيرها]، ومهما تعددت الألفاظ واختلفت تبعًا للآراء والأهواء فإن مقصودها ودلالاتها النهائية واحدة، مع أمنيّتنا بتوحيد ألفاظ المصطلحات؛ فتحديد المصطلح أولى خطوات ضبط العقل واتزان الفكر.

(٢) انظر ذلك مفصلاً في: "البرهان في علوم القرآن"، الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ١٣٧٧هـ - ١٩٨٥م، ط١، مج١، ص(٩٨ - ١٠١).

(٣) الإمام الجعبري: واسمه إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل بن أبي العباس، وكنيته أبة إسحاق، واشتهر بألقاب: برهان الدين/ تقي الدين/ رضي الدين، وعُرف بالجعبري نسبة لقلعة جَعْبَر في شمال سوريا، انظر في ذلك: "الأعلام"، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط١٥، ١٩٨٥م، (١/٥٥).

(٤) التوقيف هنا هو التعليم، أي تعليم النبي صلوات ربي وسلامه عليه للأمة، وهو في هذا الموضع ما كان يقف عليه النبي صلى الله عليه وسلم في قراءته للقرآن بغرض التعليم، انظر في ذلك: "الموسوعة القرآنية المتخصصة"، مجموعة من الباحثين والمتخصصين، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، (١/٣٠٨).

(٥) هي هند بنت سهيل المعروف بأبي أمية القرشية المخزومية (٥٩٦هـ - ٦٨١م) من زوجات النبي صلى الله عليه وسلم تزوجها في السنة الرابعة للهجرة وكانت من أكمل النساء عقلاً وخلقاً، وبلغ ما روته من الأحاديث

يُقَطَّعُ قراءته آيةً آيةً، وقرأت: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ إلى "الذين" تَقِفُ على كل آية<sup>(١)</sup>، ومعنى "يُقَطَّعُ قراءته آيةً آيةً"؛ أي يقف على كل آية، وإنما كانت قراءته صلى الله عليه وسلم كذلك ليعلم رعوس الآيات.

ب- الطريقة القياسية<sup>(٢)</sup>: ومفادها أن القرآن الكريم محلّ فصل ووصل، والوقف على كل كلمة فيه هو أمرٌ جائز، ووصل القرآن كله - كذلك - أمرٌ جائز، فاحتاج - إذن - القياسي من الناس إلى طريقٍ تُعرِّفه موطن الفاصلة القرآنية؛ لذا جاز الانتقال في الفاصلة القرآنية من نوع إلى آخر بخلاف قافية القصيدة، ومن ثم ترى:

"يرجعون" مع "عليم"

في قوله تعالى: ﴿أَمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكَفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، [آل عمران: ٧٢] مع قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾، [آل عمران: ٧٣].

"الميعاد" مع "الثواب"

في قوله تعالى:

﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾، [آل عمران: ١٩٤] مع قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾، [آل عمران: ١٩٥].

"الطارق" مع "الثاقب"

في قوله تعالى:

(٣٧٨) حديثاً، انظر في ذلك: "الأعلام"، خير الدين الزركلي، مرجع سابق، (٨/ ٩٧) أنساب الأشراف للبلاذري، والطبقات الكبرى لابن سعد (٨/ ٦٠-٦٧) وصفة الصفوة لابن الجوزي (٢/ ٧٠) وتاريخ الطبري (٢/ ٤١٤) الأعلمي والإصابة لابن حجر ت (١٣٠٩) ونهاية الأرب في فنون الأدب للنويري (١٨/ ١٧٩) ووردت سنة وفاتها تسع وتسعون في ذيل المذيل (٧١ هـ).

(١) حسن صحيح، أخرجه الترمذي في سننه، رقم (٢٩٢٤) في أبواب ثواب القرآن، باب ما جاء كيف كانت قراءة النبي صلى الله عليه وسلم

(٢) الطريقة القياسية والمراد بها هو: "ردُّ أمرٍ غير منصوص عليه إلى أمرٍ آخر منصوص عليه؛ لاتفاقهما في العلة، وبالتالي الحكم، والقياسي من الناس هو من إذا اختلط عليه أمر استخراج الفاصلة القرآنية لجأ - عرضاً - إلى استخدام القياس الذي يوضح له طريق الفاصلة القرآنية وذلك عن طريق قياس الشعر والنثر على القرآن فيما يخص التشابه الشكلي واللفظي للفواصل القرآنية مع السجع في النثر والقافية في البيت الشعري، مع الأخذ في الاعتبار أن ما يُذكر من عيوب القافية من السناد والإقواء والتوجيه وغيره لا يُعد عيباً في الفاصلة القرآنية وكل ذلك مع احتفاظ القرآن الكريم بقديسيته.

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ . النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾، [سورة الطارق: ١-٣].

وهناك من الباحثين المجتهدين، وهو الدكتور/ السيد خضر<sup>(١)</sup> الذي اجتهد في وضع ضابطٍ للتحديد اللفظي للفاصلة القرآنية - أكثر تفصيلاً وإيضاحاً - من خلال وجه يتناسب مع واقع الأسلوب القرآني وتراكيب آيات القرآن؛ إذ قام بتقسيم الفواصل القرآنية باعتبار الصوت والدلالة إلى نوعين اثنين، وهما<sup>(٢)</sup>:

( أ ) باعتبار الصوت، نقول: إنّ الفاصلة آخر كلمة في الآية، وهي حاملة الصوت

المشابه الذي يحدث في التسجيع إن وجد، والفاصلة بهذا الاعتبار، تسمى كلمة الفاصلة.

(ب) وباعتبار الدلالة نجد جملة الفاصلة، وفيها تكون كلمة الفاصلة جزءاً من تركيب

جملة مستقلة في نهاية الآية، وهي جمل تأتي للتعقيب، أو لتقرير مضمون الآية غالباً، وهذه

الجمل المستقلة التركيب يقع فيها التصرف النحوي والتنوع لبناء الفاصلة<sup>(٣)</sup>، ففي الفواصل

المنصوبة سنجد تركيب الجملة النحوي يستدعي نصب آخرها كأن تكون خبراً لكان مثل قوله

تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾، [النساء: ١٠٠]، أو مثل قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا

حَكِيمًا﴾، [النساء: ١٦٥]، أما إذا كانت مرفوعة؛ فيأتي تركيب الجملة بالرفع، مثل: ﴿وَاللَّهُ

غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ و﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، [المزمل: ٢٠]، وهذا كثير في القرآن.

(١) هو الدكتور سيد خضر، أستاذ اللغويات المشارك بكلية التربية، جامعة المنصورة، وهو من الباحثين الجادين في مجال الدراسات اللغوية، وله مؤلفات عديدة حصلت على جوائز عدة، ومن أبرزها كتابه: "قواصل الآيات القرآنية - دراسة بلاغية دلالية" الفائز بجائزة مجمع اللغة العربية القاهري لعام ٢٠٠٠م.

(٢) انظر في ذلك: "قواصل الآيات القرآنية - دراسة بلاغية دلالية"، د/سيد خضر، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٩م، ط٢، ص (٥٦ - ٥٧).

(٣) [تجدد الإشارة بالذكر إلى أنه سيتم تناول المسألة الخاصة ببناء الفاصلة في موضعها من البحث، إضافة إلى ما تمتاز به به الفواصل القرآنية من دلالات لفظية وأخرى معنوية ذات صلة وثيقة ببناء الفاصلة القرآنية وعلاقته بسياق الآية من ناحية وتوافقه مع المضمون الكلي للسورة من ناحية أخرى].

## المبحث الخامس

### الفواصل القرآنية (أقسامها وأنواعها/أنماطها وأشكالها)<sup>(١)</sup>

#### أولاً - أقسامها وأنواعها<sup>(٢)</sup>:

وقد ترتب على اهتمام العلماء والباحثين بالبحث في الفواصل القرآنية والإشارة إلى أهميتها وطرق تحديدها وضبطها ومعرفة فوائدها الجمة الغزيرة أن اهتموا بالبحث في بيان أنواعها، وأنماطها، وأشكالها؛ رغبة منهم في حصرها وتسهيل أمرها لمن يأتي بعدهم، وبالتدقيق لاحظنا أن العلماء والباحثين - قديماً وحديثاً - قاموا بتقسيم الفواصل القرآنية تبعاً لثلاثة أقسام، كل قسم منها يندرج تحته عدة أنواع، وهذه الأقسام الثلاثة، كالآتي:

(١) تقسيمها، من حيث الوزن.

(٢) تقسيمها، من حيث التماثل والتقارب في الحروف.

(٣) تقسيمها، من حيث ارتباط الفاصلة بما قبلها.

#### القسم الأول :

قام العلماء بتقسيمها من حيث الوزن والروي فقسموها إلى أربعة أقسام، وهي:

- ١- المتوازي: والمراد به اتفاق الكلمتين وزناً وقافية - رويًا - وذلك مثل قوله تعالى: ﴿فِيهَا سُرُورٌ مَّرْفُوعَةٌ . وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾ [الغاشية: ١٣ - ١٤].
- ٢- المطرف: والمراد به اختلاف الكلمتين وزناً واتفاقهما رويًا، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا . وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾، [نوح: ١٢ - ١٣].
- ٣- المتوازن: والمراد به اتفاق الكلمتين وزناً فقط، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ . وَزَرَابِيُّ مَبْنُوثَةٌ﴾، [الغاشية: ١٥ - ١٦].

(١) انظر في ذلك: "البرهان في علوم القرآن"، الزركشي، مرجع سابق، (١/ ٥٧) - "الفاصلة في القرآن"، محمد الحسناوي، مرجع سابق، ص(١٣٧) - "الفاصلة القرآنية"، د/ عبد الفتاح لاشين، دار المريخ، الرياض، ط١، د.ت، ص(١٩) - "من بلاغة القرآن الكريم"، د/ أحمد أحمد بدوي، دار نهضة مصر، القاهرة، د.ت، ط١، ص(٨٨).

٤- التماثل: وهو تساوي الفقرتين وزنا لا قافية مع كون أفراد الأولى مقابلة لما في الثانية، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ . وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، [الصافات: ١١٧ - ١١٨].

### القسم الثاني :

قام العلماء بتقسيمها من حيث التماثل والتقارب، فلا يوجد غير هذين القسمين في كتاب الله كما جزم به غير واحد من العلماء والباحثين.

ومثال التماثل، وهو ما اتفقت فيه حروف الروي، كقوله تعالى: ﴿وَالطُّورِ . وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ . فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ﴾ [الطور: ١-٣].

ومثال المتقارب، وهو الذي تقاربت فيه الحروف ولم تتماثل - المراد من حيث المخارج - قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاحة: ٣-٤].

وقد أشار الدكتور محمد الحسناوي، قائلاً: "وهذان النوعان غالبان على الفواصل، لا يكاد أحدهما يزيد عدداً على الآخر، لكن الملاحظ أن الفواصل المتماثلة تشيع في الآيات والصور المكية على حين تغلب المتقاربة على الآيات المدنية"<sup>(١)</sup>.

### القسم الثالث :

قام العلماء بتقسيم الفواصل من حيث علاقة الفاصلة بما قبلها، فقسموها إلى أربعة أقسام<sup>(٢)</sup> كالتالي:

أولاً- التمكين: والمراد به أن يمهد للفاصلة قبلها تمهيدا تأتي به متمكنة في مكانها مستقرة في قرارها، مطمئنة في مواضعها، غير نافرة ولا قلقة، متعلقا معناها بمعنى الكلام كله تعلقا تاما بحيث لو طرحت الفاصلة جانبا لاختل المعنى واضطرب الفهم، ومثال هذا قوله تعالى: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾، [الأحزاب: ٢٥]، فلو وقفت الآية - مثلا - عند قوله تعالى: ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ

(١) "الفاصلة في القرآن"، د/ محمد الحسناوي، مرجع سابق، ص(١٧١).

(٢) "البرهان في علوم القرآن"، الزركشي، مرجع سابق، (١/ ٧٨) - "الإتيان في علوم القرآن"، جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، طبعة مصورة عن الطبعة الأولى، ١٣٦٨هـ، (١/ ١٠١) - "الفاصلة في القرآن"، الحسناوي، مرجع سابق، ص(٢٣٥ - ٢٣٦) - "الفاصلة القرآنية"، د/ عبد الفتاح لاشين، مرجع سابق، ص(٣٩).

الْقِتَالِ ﴿لَتَوْهَمَ بَعْضُ الضَّعْفَاءِ أَنَّ لِلرِّيحِ الْأَثْرَ الْمُبَاشِرَ فِي رَدِّ الْأَحْزَابِ، وَأَنَّ الْهَزِيمَةَ لَهُمْ بِسَبَبِهِ فَجَاءَتْ الْفَاصِلَةُ فِي تَمَامِ مَوْضِعِهَا.

ومما يجب علمه والإلمام به هو أَنَّ الفاصلة القرآنية - من جانب آخر - تحكم الفاظ الآية بعضها ببعض وتمكنها فتقدمها في حكمة مُسَاقَّةٍ أو حُكْمٍ مترابط، أو نصح أو إرشاد يتعانق فيه الكَلِمُ ويشد بعضه بعضاً<sup>(١)</sup>.

يقول الزركشي: " ... وحق الفاصلة ... تمكين المعنى المسوق إليه"<sup>(٢)</sup>، والتمكين من وجهين: تمكين معنى الآية، واستقرار الفاصلة في مكانها، كما قيل - أيضاً - إن الفاصلة " تقع عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها، وهي الطريقة التي يبين القرآن بها سائر الكلام"<sup>(٣)</sup>.

ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾، [سورة سبأ: ٤٠]، وخطاب الملائكة تقرع للكفار، وقد علم الله تعالى أَنَّ الملائكة منزهون براء مما وجه عليهم السؤال، وإنما ذلك عن طريق توقيف الكفار على سوء ما ارتكبه من عبادة غير الله.

وهؤلاء مبتدأ وخبره (كانوا يعبدون)، (وإياكم) مفعول يعبدون لما تقدم انفصل، وإنما قُدِّمَ؛ لأنه أبلغ في الخطاب ولكون (يعبدون) فاصلة فلو أتى بالضمير متصلاً كان التركيب "يعبدونكم"، ولم تكن فاصلة، واستدل بتقديم هذا المعمول على جواز تقديم خبر كان عليها إذا كان جملة<sup>(٤)</sup>.

ونلاحظ أَنَّ الفاصلة لا تخلو من الائتلاف والتعلق بمعنى الكلام الذي جاءت فيه تعلقاً تاماً، بحيث لو طرحت؛ لاختل المعنى واضطرب الفهم، ولو سكت عنها لتمكَّن السامعُ من

(١) "قضايا في الأسلوب القرآني"، د/ السيد عبد الغفار، دار المعرفة الجامعية، السويس، القاهرة، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م، ط ١، ص (٨٨ - ٨٩).

(٢) "البرهان في علوم القرآن"، الزركشي، مرجع سابق، (١ / ٨٨).

(٣) المرجع سابق، (١ / ٥٤)، وانظر كذلك: "الإتقان في علوم القرآن"، جلال الدين السيوطي، مرجع سابق، (٩٧/٢).

(٤) "التفسير الكبير المسمّى بالبحر المحيط"، ابن حيان الأندلسي، نشر مكتبة ومطابع النصر الحديثة، السعودية، د.ت، ط ١، ص (٧/٢٨٤).

أن يكملها بطبعه؛ إذ يشهد الذوق بانتهاء الكلام عندها، وهو ما أشار إليه ابن خلدون في مقدمته<sup>(١)</sup>.

وقد ترتب على ذلك اهتمام البلاغيين بهذا الأسلوب، حتى أنهم عدّوه واعتبروه من أهم سمات فصاحة الكلام وبلاغته؛ فأطلقوا عليه مصطلحاً يوافق وظيفته وغايته فكان (مصطلح التمكين) الذي يُمثّل ائتلاف نهاية الكلام.

والقرآن الكريم وافرٌ بالشواهد الدالة على التمكين، ومن ذلك - على سبيل المثال لا الحصر - قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾، [سورة هود: ٨٧]؛ فالمتأمل للآية السابقة يلحظ أنّ الآية قد تناولت أمر العبادة بالتوضيح والذكر، ثم تحدثت عن موضوع التصرف في الأموال، وقد اقتضى ذلك ذكر الحلم والرشد على ترتيب؛ ذلك لأنّ الحلم يناسب العبادات والرشد يناسب التصرف في الأموال، وهكذا كانت الفاصلة القرآنية في الآية السابقة الذكر مناسبة تمام المناسبة لسياق الآية ومضمونها.

نخلص من هذا بقولنا: إنّ هذا - لا شك - مظهرٌ من مظاهر إعجاز القرآن الكريم البلاغية والدلالية التي تشي بدقته في اختيار الألفاظ والكلمات ووضعها في محلّها مع عدم قدرتها على تغييرها أو الإتيان بلفظة أخرى مُشابهة لها لتحل محلها حتى، ولو خُيّل لنا تردافهما في المعنى؛ إذ ليس هناك ترادف مطلق بين الكلمات وبعضها فكل لفظة تحمل بطياتها معانٍ ودلالات لا تحملها لفظة أخرى<sup>(٢)</sup>.

ثانياً - التصدير: والمراد به أن تتقدم لفظة الفاصلة بمادتها في أول الآية، أو في أثنائها، أو في آخرها<sup>(٣)</sup> ويُسمّى هذا النوع برد العجز على الصدر<sup>(١)</sup>.

(١) قال ابن خلدون في معرض توصيفه للقرآن: "إن القرآن وإن كان من المنثور إلا أنه خارج عن الوصفين (وصفي النثر، وهما: السجع والمرسل) وليس يسمى مرسلًا مطلقًا ولا مسجعًا، بل تفصيل آياته ينتهي إلى مقاطع يشهد الذوق الكلام عندها، ثم يُعاد الكلام في الآية الأخرى بعدها، ويثني من غير التزام حرف لا يكون سجعًا ولا قافية، ويسمى آخر الآيات فواصل؛ إذ ليست أسجاعًا، ولا التزام فيها ما يلتزم في السجع ولا هي قوافٍ ..."، انظر في ذلك: "مقدمة ابن خلدون"، ابن خلدون، كتاب التحرير، القاهرة، ١٩٦٦م، ط١، ص(٥٠١).

(٢) "الفاصلة القرآنية"، عبد الفتاح لاشين، مرجع سابق، ص(٤٠).

ومن الشواهد عليه، قوله تعالى: ﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾، [سورة الإسراء: ٢١]، والشاهد في الآية الكريمة أَنَّ لفظة الفاصلة القرآنية كانت: (تَفْضِيلًا)، وقد تقدمت عليها في صدر الآية المادة التي اشتقت منها وهو فعل: (فَضَّلْنَا).

ومن شواهد التصدير - أو ما يسمى برد العجز على الصدر - في أثناء الآية ومنتصفها، قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾، [سورة آل عمران: ٨]، والشاهد في الآية الكريمة أَنَّ لفظة الفاصلة القرآنية كانت: (الْوَهَّابُ)، وقد تقدمت عليها في منتصف الآية المادة التي اشتقت منها وهو فعل: (وَهَّبَ).

ومن شواهد التصدير - كذلك - في أواخر الآيات، قوله تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى النَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾، [سورة التوبة: ١٠٨]، والشاهد في الآية الكريمة أَنَّ لفظة الفاصلة القرآنية كانت: (الْمُطَهَّرِينَ)، وقد جاءت المادة المشتقة منها - كذلك - في نهاية الآية، وهي الفعل: (يَتَّطَهَّرُوا).

ثالثاً - التوشيح: والمراد به أن يرد في الآية معنى يشير إلى الفاصلة حتى تُعرف منه قبل قراءتها، وبعبارة أخرى فالتوشيح هو أن يكون في أول الكلام ما يستلزم نهاية الآية، ومثاله قوله تعالى: ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾، [سورة يس: ٣٧]. وموطن الشاهد أَنَّ كلمة (نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ) تشير بلفظها إلى حصول الظلام فتم المراد بالإشارة قبل ذكر كلمة: (مُظْلِمُونَ) فهذا هو التوشيح، غير أَنَّ هذا الأمر يكون محتاجاً إلى لفهم ثاقب وعقلية مُلَمة باللغة العربية وألفاظها وأساليبها وإلا فلن يجني الباحث شيئاً من ثمارها.

أما عن الفارق بين كُلِّ من التوشيح والتصدير فهو أَنَّ التصدير يكون فيه اتفاق لفظي بين كلمة في الآية وبين الفاصلة، بينما التوشيح يكون فيه اتفاق معنوي بين لفظ معنوي بين لفظ من ألفاظ الآية والفاصلة.

(١) "معترك الأقران في إعجاز القرآن"، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد علي البجاوي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٩م، ط ١، ص (٤٨).

ومن الشواهد الدالة - كذلك - على التوشيح قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾، [آل عمران: ٣٣]، فَإِنَّ (اصْطَفَى) تدل على أَنَّ الفاصلة (العالمين) لا باللفظ، وإنما بالمعنى؛ إذ يعلم أَنَّ من لوازم اصطفاء شيء أن يكون مختاراً على جنسه، وجنس هؤلاء المصطفين (العالمين)<sup>(١)</sup>.

رابعاً - الإيغال: والمراد به أن تأتي الآية بمعنى تام، وتأتي فاصلتها بزيادة في المعنى من أجل الإيضاح، ومثاله قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا وُلِّوْا مُدْبِرِينَ﴾، [سورة النمل: ٨٠]، والمراد أَنَّ الموتى والصُّم لا يسمعون، وهذا معنى مفهوم، والداعي - إذن - لورود كلمة (وُلِّوْا مُدْبِرِينَ) في نهاية الآية بعد تمام معناها هو من قبيل الزيادة في المعنى؛ إذ لو افترضنا - مثلاً - أَنَّ الموتى والصُّم سيسمعون فإنهم في وقت دعوتك ووعظك لهم فإنهم سيولون الأدبار، ويتركوك منصرفين، وكأنهم لم يسمعوا شيئاً ولم يروا شيئاً!

ومن الشواهد الدالة - كذلك - على الإيغال، قوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾، [المائدة: ٥٠]؛ فالكلام قد تمَّ معناه عند قوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا﴾، ثم جاءت الفاصلة، وهي قوله: ﴿لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ لكي تتناسب المعنى السابق في الآية، وهو أفضلية حكم الله عز وجل وتقديره على الخلق، ولما كان المعنى المراد من الآية قد تمَّ وانتهى وفُهم من قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا﴾ كان مجيء الفاصلة، وهي: ﴿لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ زيادةً في المعنى من أجل زيادة الإيضاح.

إلا أن هناك ملحوظة غاية في الأهمية دفعا لأي توهم، أو تصور عقلي، ينتج عن عقلٍ موهوم فيعتقد أن تلك الزيادة التي تأتي في الآية السابقة - موطن الشاهد - وغيرها من الآيات المختصة بموضوع الإيغال، وهي أن هناك من الأفراد سَوَّغ لهم عقلهم وتفكيرهم إلى أن الزيادة التي يأتي بها القرآن في بعض الآيات هي معنى زائد عن الحدِّ وليست لها قيمة أو فائدة، وزادوا قائلين: إنها استطرادٌ في غير محله.

فنقول: إن المقصود بالمعنى الزائد - ليس زائداً عن حاجة الأسلوب، ولكنه زيادة في الإيضاح وفي البيان؛ لأن القرآن الكريم لم تختف ولم تغمض معانيه، بل هناك الكثير من

(١) "معتزك الأقران في إعجاز القرآن"، جلال الدين السيوطي، مرجع سابق، ص (٤٩).

الأساليب المتنوعة التي تعمل على وضوح المعنى وبيان ما فيه<sup>(١)</sup>، وقد اتضح ذلك فيما تناولناه في الشاهد السابق الخاص بسورة النمل في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾، [سورة النمل: ٨٠].

نخلص في النهاية للقول: إنَّ القرآن في مجيئه بهذه الزيادة اللفظية - التي هي الإيغال - هي من باب زيادة تأكيد المعنى وإيضاحه؛ فكل زيادة في المبنى تلحقها زيادة في المعنى، كما أنَّ هذه الزيادة تعتبر من باب التفصيل، والتفصيل - دومًا - أدلّ على الاحتياط، كما يُقال: (عليّ لا يستحق درهمًا ولا حبة، ولا كثيرًا ولا قليلًا)، ولو قال: (عليّ ما يستحق شيئًا) لكان أفضل من حيث إيجاز العبارة وقوة الدلالة، غير أنَّ التفصيل - هنا - أدلّ على الاحتياط وعلى شدة الاستبعاد في الإنكار، وهو أنَّ عليًّا لا يستحق أي شيء مهما كان صغيرا أو كبيرا، وعلى هذا كان قوله تعالى في الشاهد السابق الذكر من سورة النمل، في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾، [سورة النمل: ٨٠]؛ فزيادة جملة الفاصلة - هاهنا - أوضحت تفصيلا أنَّ التولي والإعراض عن الرسول لم يكن بتركه فقط، والذهاب عنه، بل إن التفصيل هنا قد أفاد أنَّ التولي والإعراض كان من جميع الجوانب؛ للدلالة على شدة إنكارهم رسالة الرسول إليهم إليهم.

ويطلق الزركشي على هذا النوع من التفصيل والزيادة في الآيات اسم: (إيغال الاحتياط)، ويشير إلى أنه يأتي من مجموع جمل متفرقة في ضروب من الكلام شتى يحملها معنى واحدا، كقوله تعالى: ﴿قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ [الإسراء: ٨٨]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣]، وكقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ﴾ [هود: ١٣]<sup>(٢)</sup>.

### ثانيا: (الفواصل القرآنية) (أنماطها وأشكالها)<sup>(٣)</sup>:

بالتدبر في كتاب الله الحكيم المعجز، وبملاحظة ما قد ورد فيه من فواصل؛ نلاحظ أن تلك الفواصل قد وردت على عدة أنماط وأشكال، ومن هذه الأنماط<sup>(١)</sup>:

(١) [للزيادة في ذلك انظر]: "قضايا في علوم القرآن تعين على فهمه"، د/ السيد عبد الغفار، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٥م، ص (٢٥٥).

(٢) [لمزيد من التفاصيل، انظر في ذلك]: "البرهان في علوم القرآن"، الزركشي، مرجع سابق، (١ / ٩١).

١- (الثبات): بمعنى ورود الفاصلة القرآنية على هيئة واحدة من بداية السورة إلى منتهاها، والأمثلة على من القرآن الكريم كثيرة ومتعددة، ومنها على سبيل المثال لا الحصر: سورة (ق) فإن كل آياتها تنتهي بحرف قبله مد بالواو أو الياء نحو: المجيد والوعيد والغروب والخروج.

وكذلك مثل سورة الحجرات، فإنها تنتهي بالألف عند الوقف نحو: مبنيًا - عظيمًا - أصيلاً.

والقرآن الكريم في توظيفه للفاصلة القرآنية إنما يُوظفها في موضعها بما تتيح اللغة استعماله؛ فيقدم لفظاً في موضع ما ويؤخرها في موضع آخر، أو أن يحذف منها حرفاً في موضع ويزيدها حرفاً في موضع آخر، والذي يجب التأكيد عليه والتشديد على فهمه هو أن القرآن الكريم لا يفعل ذلك على حساب المعنى مطلقاً؛ فالمعنى هو ما يأتي في الصدارة وهو المطلوب أولاً، فيأتي بالفاصلة منسجمة مع أخواتها من الفواصل الأخرى عند اقتضاء المعنى لذلك، فإذا اقتضى المعنى غير ذلك لا تهمة الفاصلة ولا يشغل باله بها؛ فالأولى عند القرآن هو اهتمامه بالمعنى في المقام الأول، ولذلك تتعدد الفواصل، وتختلف أشكالها، وتتنوع أنماطها وما هذا التعدد والتنوع في الشكل والنمط إلا بسبب مراعاة القرآن للمعنى والمضمون في المقام مما يجب الأول.

٢- (المغايرة)؛ فقد يغير في الفاصلة ليؤسس فواصل أخرى على نمطها، وقد يرجع إلى نمط الفاصلة الأولى أو لا يرجع، ومن الأول كثير في سور القرآن الكريم، مثل سورة البقرة وآل عمران وسورة النساء.

ومن الثاني ما ورد في سورة المرسلات مثلاً، يقول تعالى: ﴿ فَإِذَا الْنُجُومُ طُمِسَتْ \* وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ \* وَإِذَا الْجِبَالُ سُفِفَتْ \* وَإِذَا الرَّسُلُ أُنقِذَتْ \* لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴾، [سورة المرسلات: ٨-١٢]؛ فإنها تختلف عن نمط ما قبلها وما بعدها.

ومن ذلك ما ورد في سورة النجم، يقول تعالى: ﴿ أَرْزُقْهُ الْآزِفَةَ (٥٧) لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾، [سورة النجم: ٥٧-٥٨]؛ فإن الفاصلة القرآنية: (الآزفة) + الفاصلة القرآنية: (كاشفة) تختلفان عما قبلهما وما بعدهما من فواصل قبلية وبعديّة، وردت في السورة نفسها.

(١) أفدنا في هذه المسألة من: "من أسرار البيان القرآني"، د/ فاضل صالح السامرائي، دار ابن كثير، بيروت، لبنان، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م، ط ٢، ص (١٨٧) - "فواصل الآيات القرآنية"، د/ السيد خضر، مرجع سابق، ص (٨٦-٨٩).

٣- وقد تأتي فاصلة في آية قرآنية في آية واحدة ليس في سياقها مثلها، وربما كانت على نمطها فاصلة أخرى في السورة في موضع آخر، وقد يأتي بالفاصلة، وليس على نمطها فاصلة في السورة كلها.

ومن الأول قوله تعالى: ﴿وَلِلْكَافِرِينَ أَمْتَالُهُمْ﴾، [محمد: ١٠]، وليس في سياقها على نمطها، غير أنه ورد نحو ذلك في موضع آخر من السورة، قال تعالى: ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾، [محمد: ٢٤].

ومن الثاني قوله تعالى في سورة طه: ﴿فَأَتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِّنَ اللَّيْمِ مَا غَشِيَهُمْ﴾، [طه: ٧٨]؛ فليس في السورة نظير هذه الآية، وغيرها من الأمثلة الكثيرة التي يزخر بها الكتاب الحكيم.

٤- قد يُجرى شيء من التغيير في الفاصلة مما لا يخل بالمعنى، وذلك لأمر بياني، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا﴾، [الأحزاب: ٦٧]؛ فمدَّ السبيل مع أنه قتال في السورة نفسها ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾، [الأحزاب: ٤]، وكقوله في سورة الكافرون: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾، [الكافرون: ٦]، بحذف ياء المتكلم، ولم يحذفها من قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾، [الزمر: ١٤].

مع ملاحظة أنّ هذا من الممكن أن يجري في غير الفواصل أيضا؛ فقد يذكر الحرف في موضع، ويحذف في موضع آخر لأمر بياني مما لا يخل بالمعنى، وذلك مثل حذف الياء من الفعل أو الاسم، سواء كانت ضميرا أم حرفا نحو قوله: ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾، [سورة الكهف: ٦٤]، وذلك بحذف الياء، وقوله تعالى في آية أخرى: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي﴾، [سورة يوسف: ٦٥]، وقد ذُكرت الياء هنا.

كانت هذه أبرز أنماط الفواصل القرآنية، وأشكالها الواردة في كتاب الله العزيز، ولا زال الباب مفتوحا أمام كل مجتهد دؤوب.

**ونتعرف في المبحث التالي إلى البناء التركيبي للفواصل القرآنية .**

## المبحث السادس

### البناء التركيبي للفواصل القرآنية

لما كانت الفواصل القرآنية ليست بدعا من اللغة العربية؛ إذ نسجت بنيتها من حروف اللغة العربية، وأبنيتها المعروفة مع الاحتفاظ بالتفوق البلاغي للقرآن الكريم وإعجازه اللغوي، ولذلك فإن الناظر في البناء التركيبي للفواصل القرآنية يلحظ مجموعة من النقاط، ومنها:

أولاً- دوران الفواصل القرآنية على الصيغ الخاصة ب: ( المصادر والأسماء - الأفعال - الحروف - الضمائر)؛ فالناظر في فواصل القرآن يلحظ كثرة مجيئها في صيغة المصادر على اختلاف أنواعها المعروفة والمطرقة بأبواب النحو العربي، وكذلك فإن الفواصل لم تعد أن تأتي في صيغة الأفعال على اختلاف أنواعها - كذلك - من ماضٍ ومضارع وأمر. وعلى ذلك فقد تأتي الفاصلة في شكل كلمة مفردة اسما كانت مصدرا أو فعلا، وذلك في مذهب القائلين بكون الفاصلة هي الكلمة الأخيرة في الآية، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا﴾، [الأحزاب: ٦٧].

وقد تأتي في شكل الجملة اسمية كانت أو فعلية، وذلك عند القائلين بكون الفاصلة هي الجملة الأخيرة في الآية، مثل قوله تعالى: ﴿فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِّنَ اللَّيْلِ مَا عَشِيَهُمْ﴾، [طه: ٧٨].

وقد تكون حرفا في مذهب من يعتبرون أن الفاصلة القرآنية هي بمثابة الحرف الأخير في آخر كلمة ترد في الآية، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾، [القلم: ١]. أما بالنسبة لورود الفاصلة القرآنية في بنية الضمير فهو أمر قليل الحدوث، ولم يأت في القرآن إلا في ثلاث سور فقط، وهي: (محمد - القيامة - الزلزلة) (١).

#### ثانياً- دوران الفواصل القرآنية على بعض الصيغ والتراكيب، ومن ذلك (٢):

أ- إيثار بعض صيغ المبالغة النادرة على المشهورة الشائعة، مثل تفضيل صيغة: "أفعال" على صيغة: "فعليل"، ومن شواهد ذلك، قوله تعالى: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا

(١) انظر تفصيل هذه المسألة في الجزء المختص ببيان الدراسات الإحصائية، التي أجريت حول الفواصل القرآنية في هذا الفصل، ص(٤٩).

(٢) أفدنا في هذه المسألة من كتاب: "فواصل الآيات القرآنية"، د/ السيد خضر، مرجع سابق، ص(١٢٠).

لَشَيْءٍ عَجَابٌ ﴿٥﴾، [سورة ص: ٥]؛ فقد أوثرت صيغة "عجاب" على عجيب المستعملة فاصلة في موضعين، وهما: ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾، [سورة هود: ٧٢]، وكذلك قوله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾، [سورة ق: ٢]، والفواصل في سورة "هود": [يعقوب/ عجيب / مجيد]، والفواصل في سورة "ق": [مجيد / عجيب / بعيد]، حيث حرف المد قبل الفاصلة الياء أو الواو، وهما يتعاقبان كثيرا في الفواصل في موضع "عجاب" فهي: [كذاب/ عَجَاب/ يُرَاد]، وكلها بالألف قبل الفاصلة، وكل ذلك مراعى فيه التوافق الصوتي والإيقاع الجميل في كل موضع.

مع الأخذ في الاعتبار أنّ التفاضل في صيغ المبالغة وتفضيل صيغة على أخرى لا ينقص من قدر القرآن، وعظمته بقدر ما هو مراعاة منه؛ لاعتبارات كثيرة صوتية ودلالية فتكون تلك الصيغة أنسب من غيرها في هذا الموضع، أو ذاك حتى ولو كانت تلك الصيغة نادرة.

ب- إيثار اسم التفضيل على صيغة المبالغة، ويكون ذلك من أجل توافق الفاصلة مع الإيقاع وزيادة في الدلالة على المعنى المنوط بالآية إظهاره، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر، قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾، [سورة العلق: ٣-٥]؛ فقد أوثر اسم التفضيل "الأكرم" على صيغة المبالغة أولا: لتوافق الفاصلة مع الإيقاع وهو ما لا تحققه صيغة المبالغة "الكريم" - لو جننا بها - وأخرًا لإطلاق الكرم بصيغة اسم التفضيل المحلاة بالألف واللام وحذف المفضل عليه.

ج- إضافة إلى كثير من الصيغ التي تدور عليها الفواصل، كإيثار اسم الفاعل على الاسم الموصول، وإيثار صيغة المضارع على الماضي، وكذلك الاستغناء بصفة الشيء عن اسمه، وإيثار أغرب اللفظين؛ لغرابة المعنى، وإيثار المظهر على المضمرة؛ إضافة إلى ما يحدث من حذف بعض الألفاظ في الفواصل.

د- وكما أن الفواصل قد مالت إلى إيثار بعض الصيغ على صيغ وتراكيب أخرى فإنها كذلك لجأت إلى إحلال<sup>(١)</sup> صيغة محل أخرى كإحلال صيغة فاعل محل صيغة مفعول، وإحلال صيغة مفعول محل فاعل وإحلال المفرد محل المثني، وإحلال المثني محل المفرد وإحلال الجمع محل المثني، وإحلال صيغة العاقل محل صيغة لغير العاقل، وإحلال المفرد محل الجمع والمؤنث محل المذكر، والمذكر محل المؤنث، واستعمال حرف جر مكان آخر<sup>(٢)</sup>، وهكذا.

هـ - إنَّ النَّاطِرَ فِي فَوَاصِلِ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَةِ يَلْحَظُ أَنَّ أَكْثَرَ مَبْنَى الْفَوَاصِلِ يَكُونُ عَلَى الْوَقْفِ<sup>(٣)</sup>، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الزَّرْكَشِيُّ<sup>(٤)</sup>: " إِنْ مَبْنَى الْفَوَاصِلِ عَلَى الْوَقْفِ؛ وَلِهَذَا شَاعَ مَقَابِلَةُ الْمَرْفُوعِ بِالْمَجْرُورِ وَبِالْعَكْسِ، وَكَذَا الْمَفْتُوحِ وَالْمَنْصُوبِ غَيْرِ الْمَنْوُنِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾، [سورة الصافات: ١١]، وَذَلِكَ مَعَ تَقَدُّمِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَدَابٌ وَأَصِيبٌ﴾، [سورة الصافات: ٩]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾، [سورة الصافات: ١٠].

هذا بالنسبة إلى الوقف على السكون - وهو ما تدور حوالبه أغلب الفواصل القرآنية - لكن الفواصل المطلقة، يكون فيها الوقف - طبعا - بإطلاق الحركة ومدها، نحو قوله تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِأَنِيَّةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ﴾، [سورة الإنسان: ١٥]. ولذلك يرى بعضهم أن الوقف على الفواصل قد يوجد بلا سكون<sup>(٥)</sup>، وبه يُعْلَمُ أَنَّ الْعَدُولَ إِلَى السَّكُونِ، إِنَّمَا هُوَ عِنْدَ اخْتِلَافِ الْحَرَكَاتِ الْإِعْرَابِيَّةِ فِي أَوَاخِرِ الْفَوَاصِلِ<sup>(٦)(٧)</sup>.

(١) للمزيد من معرفة الفروقات بين الإحلال والإيثار، انظر في ذلك: " فواصل الآيات القرآنية"، د/ السيد خضر، مرجع سابق، ص(١١١).

(٢) [ للمزيد من التفاصيل، انظر في ذلك]: " فواصل الآيات القرآنية"، د/ السيد خضر، مرجع سابق، ص(١١١) - (١١٧).

(٣) "الفاصلة القرآنية"، محمد الحساوي، مرجع سابق، ص(١٣٥).

(٤) "البرهان في علوم القرآن"، الزركشي، مرجع سابق، (١/ ٦٩-٧٠)، وانظر كذلك: "صور البديع: فن الأسجاع"، د/ علي الجندي، دار الفكر العربيين القاهرة، ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م، ط١، (١/ ١٩٦).

(٥) "صور البديع: فن الأسجاع"، د/ علي الجندي، مرجع سابق، (١/ ١٩٦).

(٦) المرجع سابق، (١/ ١٩٦).

(٧) [ للمزيد من التفاصيل في مجيء الفواصل على الوقف والسكون، انظر]: " موسيقى الشعر"، د/ إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٥م، ط٣، ص(٣٢٩) - وانظر أيضا: "على هدى الفواصل القرآنية" / "البحوث والمحاضرات"، د/ إبراهيم أنيس، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٩٦١م - ١٩٦٢م، ص(١٠٧) - (١٠٨).

و- إضافة إلى شيء مهم جدا خاص بالبناء التركيبي للفواصل القرآنية، وهو أنه من الممكن أن تتغير بنية الكلمة من أجل الإيقاع، وهو قليل في القرآن الكريم، ومن شواهد ذلك، قوله تعالى: ﴿وَالْتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ . وَطُورِ سَيْنِينَ . وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾، [التين: ١-٣]؛ ذلك لأن طور سينين هو طور سيناء، وهو نفسه الوارد في قوله تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذُّهْنِ وَصَبْغٍ لِّلْأَكْلِينَ﴾، [المؤمنون: ٢٠]، إلا أن اللفظ في سورة التين جاء فاصلة مسبوقة ومتبعة بفواصل النون المسبوقة بحرف المد، ولهذا غيّرت بنية الكلمة من سيناء إلى سينين لموافقة الإيقاع<sup>(١)</sup>.

نخلص في النهاية للقول: إنَّ البناء التركيبي للفواصل القرآنية قد نَجَحَ بجدارة في تأدية الوظيفة المنوطة في جمعه لكل العلاقات التي تربط بين العناصر المؤلفة للبنية؛ إذ نجد في الفواصل القرآنية تضامًا خفيًا معجزًا بين البنى النحوية والصرفية والصوتية والموسيقية والدلالية، وقد انصهروا جميعا في بوتقة واحدة؛ لتخرج لنا الفاصلة القرآنية كيانًا مُعْجَزًا لا مثيل له في لغة العرب.

وستتناول إن شاء الله في المبحث القادم أهم الدراسات الإحصائية حول الفواصل القرآنية ودلالاتها التي تدل على السعة البلاغية والجلال الإعجازي للقرآن الكريم خاصة في جانب القراءات القرآنية.

(١) [لمزيد من التفاصيل حول ذلك، انظر]: "فواصل الآيات القرآنية"، د/ السيد خضر، مرجع سابق، ص(٩٠-٩١).

## المبحث السابع

### - الدراسات الإحصائية التي دارت حول الفواصل القرآنية ونتائجها ودلالاتها<sup>(١)</sup>

انشغل كثير من العلماء والباحثون بمحاولة إحصاء الفواصل الواردة في القرآن الكريم وتصنيفها - وهو بلا شك - أمر شاق ومتعب - وقد توصلوا إلى أن عدد الفواصل الفعلية الواردة في القرآن الكريم بلغت: (١٥٧٠ ألفاً وخمسمائة وسبعين فاصلة) فيكون المتبقي هو (٤٦٦٦) وهو أربعة آلاف وستمئة وستين فاصلة، وهو مجموع الفواصل الاسمية بإضافة الأحرف المقطعة إليها.

وهذه بعض القراءات النظرية المتعلقة بهذا الجانب من الفواصل:

أولاً- غالبية سور القرآن تشترك فواصلها في أن تكون بعضها اسمية وفي الآخر فعلية، إلا في إحدى وعشرين سورة كانت فواصلها كلها منتهية بكلمات اسمية، مثل سورة الإسراء، في قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلِداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِّنَ الدُّنْيِ وَكَبَّرَهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١]، ومنها سورة الكهف: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]، ومنها سورة الفرقان: ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ [الفرقان: ٧٧]، وكذلك من السور التي تنتهي فواصلها بكلمات اسمية سورة الأحزاب في قوله تعالى: ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٣]، وكذلك سورة الفتح في قوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩]، وكذلك ما ورد في سورة التغابن من قوله في نهاية السورة: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [التغابن: ١٨].

ثانياً- انفردت ثلاث سور في القرآن الكريم بكون بعض الفواصل فيها على هيئة (ضمائر)، وهي سورة القتال في قوله تعالى: ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِنُتْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ

(١) انظر في ذلك: الدلالات المعنوية لفواصل الآيات القرآنية، جمال محمود أبو حسان، طبعته جائزة دبي، ط ١، ٢٠١١م، ص (١٩١-١٩٢) وانظر كذلك: "فواصل الآيات القرآنية"، د/ السيد خضر، مرجع سابق، ص (١٦٥).

فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَنِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴿ [محمد: ١٨]، ومثل الفاصلة التي تنتهي بها سورة القيامة: ﴿ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴾ [القيامة: ٤٠]، ومثل سورة الزلزلة في قوله: ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة: ٨].

ثالثا - لفظ الجلالة (الله) لم يرد في فاصلة آية إلا مرة واحدة في آخر سورة الانفطار<sup>(١)</sup>، وذلك عندما أسند الأمر كله لله تعالى، يقول تعالى: ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾، [الانفطار: ١٩].  
رابعا- بالنسبة لفواصل الأفعال، فإن أغلب الفواصل القرآنية التي على هذه الصورة أفعال مضارعة جاءت في معظمها مسندة إلى ضمير جمع الذكور، ووقع في القرآن الكريم في سور متعددة ووقع فعل الأمر بصيغ مختلفة في (٣٤) موضعا، وجاءت الفواصل بالفعل الماضي في (١٧٠) موضعا من القرآن الكريم، فيكون عدد الفواصل المتكونة من أفعال مضارعة (١٣٦٦) ألفا وثلاث مئة وستا وستين فاصلة.

خامسا - سورة القمر ليس فيها أي فعل مضارع في الفواصل.

سادسا- انفردت بعض السور في أن تكون فواصلها كلها اسمية إلا في موضع واحد منها، وهذه السور، هي: ( النساء - ق - الحديد - الممتحنة - الطارق - البلد).  
سابعا - سورة الرحمن انفردت بكون فواصلها الفعلية كلها أفعالا مضارعة مسندة إلى ضمير المثني ووقع في سورة يوسف فاصلة واحدة على هذا النمط، وهي الآية الحادية والأربعون.

ثامنا - انفردت بعض السور بغلبة الفواصل المتكونة من فعل ماض على ما سواه من الأفعال، وهي: (طه - النجم - النازعات - عبس - التكوير - الانفطار - الشمس - الهمزة).

(١) هناك من الباحثين من اجتهد في التحليل والاستنباط فاعتبر أن ورود اسم (الله) كفاصلة مرة واحدة فقط في القرآن الكريم كله دليل على أنه اسم الله الأعظم، وهو اجتهد لا يتنافى مع شريعة أو اعتقاد، ولكل واحد أن يعتقد ما يشاء؛ فأسماء الله كلها بركة وعظمة ونجاة ومنجاة، وعلى المؤمن أن يعتقد في كل اسم من أسمائه عز وجل أنه عظيم، فكما يقولون دوما: كل الليالي ليلة القدر فاجتهد، وكل الأولياء الخضر فاعتقد، وعلى هذا فأمر الباحث ليس مردودا.

تاسعا - سورتا التكوير والغاشية انفردتا بأن كثيرا من أفعال فواصلهما على صيغة المبني للمجهول.

عاشرا - ليس في القرآن الكريم فعل واحد جاء في فاصلة مسندا إلى خصوص ضمير النسوة العقلاء، سواء أكان منفردا أم مثنى أم جمعا.

حادي عشر - لم يرد في القرآن في الفواصل الاسمية وصف للأنتى إلا على ثلاث صور، وهي: لفظ (الأنتى) في سور: (القيامة - الليل - النجم)، وكذلك لفظ: (أتراب) في سور: (ص - الواقعة - النبأ)، وكذلك لفظ: (أبكار) في سورتي التحريم والواقعة.

نخلص في النهاية للقول: إن اللجوء للدراسات الإحصائية ليس المراد منها أن نحيل النص إلى نسب وأرقام بقدر ما نستطيع من خلاله استنباط أمور دقيقة تخفى على العيون المجردة، وخير مثال على ذلك مسألة ورود الفاصلة في هيئة الضمير؛ حيث لم تأت إلا ثلاث مرات فقط في القرآن الكريم، وباب الاجتهاد مفتوح أمام كل مسلم ومسلمة، يمتلك الأدوات اللازمة للتدبر في كتاب الله عز وجل.

**وفي المبحث التالي نتعرف إلى الخصائص المميزة للفواصل القرآنية التي يأتي على رأسها مراعاة النظم، والتناسب السياقي، واهتمامها بالجانب المعنوي، والدلالات المعنوية حيث أسهمت الفاصلة القرآنية في إبلاغ عقيدة التوحيد، وبعثت الطمأنينة في نفوس أهل القرآن.**

## المبحث الثامن

### الخصائص المميزة للفواصل القرآنية

وبعد هذه الرحلة الشائقة الماتعة التي طوفنا فيها، وطوفت بنا بمروج زهر ورياض رياحين نستطيع أن نستخلص بعض الخصائص؛ التي تتميز بها الفواصل القرآنية في نقاط عامة لعلنا نجبر نقصها في كتاب مخصوص بالخصائص؛ مدعوماً بتطبيقات، ونماذج مثرية، فنقول:

#### من أهم هذه الخصائص ما يلي:

أولاً- مراعاة النظم والتناسب السياقي، ولعل هذه الخصيصة بمفردها من الممكن أن تفرد فيها الكتب والمؤلفات؛ فالفاصلة القرآنية ليست مجرد كلمة تأتي للتطريب أو تأتي لتمام المعنى، وإنما الموضوع أكبر من هذا وذاك فهناك علاقة تضامنية بين كل لفظة في القرآن الكريم وبما أن الفاصلة القرآنية جزء لا يتجزأ منه فإنها كذلك تتضامن؛ لتؤدي وظائف كثيرة في المعنى والسياق والأثر الموسيقي، وغيرها، وقد ظهر ذلك واضحا جليا حينما تحدثنا عن أقسام الفاصلة؛ من حيث التمكين والتوشيح والتصدير والإيغال.

ثانياً- الموسيقى، متمثلة في ذلك الإيقاع، الذي أغنى العرب عن استخدامهم للأسجاع في الماضي لدرجة أننا وجدنا خلال دراستنا للفواصل أنه من الممكن أن يتغير البناء التركيبي للفاصلة القرآنية لكي تتوافق مع الإيقاع ولا ينقص هذا من قدسية ولا عظمة القرآن في شيء وهذا كما ظهر لنا من دراستنا للبناء التركيبي<sup>(١)</sup> للفاصلة القرآنية من هذه الدراسة المتواضعة.

ثالثاً- تناسق الجرس الموسيقي مع الجو المعنوي للفاصلة القرآنية مع السياق العام للآية والسورة ككل.

رابعاً- اهتمام الفواصل بالجانب المعنوي والدلالات المعنوية؛ إذ ليست الفواصل مجرد جمل، أو كلمات تأتي لسد نقص لفظي، بل إن وجودها غاية في الدقة والبلاغة بحيث لا نستطيع إزالتها ووضع بدلا منها كلمة أخرى حتى ولو خُيِّل لنا أنهما مترادفتان!

(١) انظر في ذلك: مسألة تناولنا للبناء التركيبي للفواصل القرآنية في هذه الدراسة، ص (٣٩).

**وخلص القول..**

أسهمت الفاصلة القرآنية في إبلاغ عقيدة التوحيد؛ مثل التركيز على ضرورة الاتكال التام على الله تعالى، بتوظيف أسلوب الترتيب في فاصلة آية الاستعانة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

كما بعثت الفواصل الطمأنينة في نفوس معتقلي عقيدة القرآن، وذلك بدقة اختيار الحروف، التي تختتم بها النصوص العقديّة التي تعمل على ذلك، كحرف (ال) المتكرر في فواصل سورة (التوحيد).

وعملت الفاصلة على بيان أسماء الله وصفاته، وهي ركنٌ أساس من أركان التوحيد بشكل شديد الدقة؛ كالبدء باسم الله (الرحمن) بعد ذكر اسم (الرحيم) لارتباط الأول بالله وحده، وارتباط الثاني بالبشر المحتاجين للرحمة، فالله تعالى رحمن ورحيم بخلقه.

**وهكذا بعد أن تناولنا الأسلوب القرآني من جوانبه المتعددة في الفصول الثمانية التي تشكل مادة الكتاب يفضي بنا المطاف إلى خاتمة الدراسة، ومضامينها، وتوصياتها في الصفحات التالية.**

## خاتمة البحث

### وتشمل

أولاً : الهدف من البحث.

ثانياً : مكونات البحث.

ثالثاً : مستخلص البحث، وفوائده، والجديد في مادته.

رابعاً: التوصيات، والرؤية المستقبلية

## خاتمة البحث

### أولاً: الهدف من البحث:

يهدف هذا البحث أن يعطي صورة جلية عن خصائص الأسلوب القرآني، وذلك من خلال إلقاء الضوء على نقاط مضيئة في القرآن الكريم بالبحث والتقصي والتحليل من خلال عشرات العناصر الفرعية التي تتناول الجملة واللفظة في أبرز صورها البلاغية والإعجازية من حيث التناسب والترتيب والتألف، وتتوع المعنى واتساع الدلالة ودقة التعبير القرآني في إجماله وتفصيله.

كما يهدف البحث إلى إلقاء الضوء على تناسب القرآن وتألفه بكل درجاته من اللفظة إلى الجملة إلى الآيات والسور، وإلقاء الضوء على بلاغة القرآن في جوانبها العديدة، واتساع دلالة ألفاظ القرآن الكريم وتناسب آياته للمقام والحال ومناسبتها لغيرها من المفردات والجمال القرآنية .

ويهدف البحث أيضاً إلى تجلية التنوع الأسلوبي في القرآن الكريم ليعطي في النهاية صورة مجملّة لإعجاز القرآن الكريم الرباني من خلال نافذة اللغة وأسرارها التي تعد الوعاء الذي يشمل عظمة القرآن وإعجازه الشرعي والعلمي .

### ثانياً: مكونات البحث:

اشتمل هذا البحث على ثمانية فصول بالإضافة إلى المقدمة والخاتمة:

جاء الفصل الأول بعنوان: (نظرة عامة على الأسلوب القرآني) وقد اشتمل على أربعة مباحث تناولت سمات الأسلوب القرآني، والإعجاز في خواتيم السور، ونظرة تأملية في نماذج قرآنية، والأسلوب القرآني في تنوع الجمل والتألف بينها.

أما الفصل الثاني فقد جاء بعنوان: (خصائص الأسلوب القرآني) واحتوى على ثلاثة مباحث تناولت بالترتيب: ماهية خصائص الأسلوب القرآني، وتناسب القرآن وائتلافه، ونماذج جديدة لتناسب الأسلوب القرآني، وهو ما تناوله المبحث الثالث من هذا الفصل. واشتمل الفصل الثالث الذي جاء بعنوان: (أسرار البلاغة القرآنية) خمسة مباحث

تناولت في مبحثها الأول : بلاغة اللفظ القرآني واتساع دلالاته من خلال الجمع بين الحقيقة والمجاز، وفي المبحث الثاني: بلاغة اللفظ القرآني في جمعه بين المعني اللغوي، والمعنى الشرعي، ثم دقة عناية اللفظ القرآني بالفروق المعجمية بين الألفاظ ومناسبته للسياق ومقاماته، وبلاغة اللفظ القرآني والمشارك اللفظي؟ وأخيراً : بلاغة اللفظ القرآني واتساع دلالاته من خلال المتواطئ.

وجاء الفصل الرابع بعنوان : (الإعجاز في البيان القرآني) واشتمل على خمسة مباحث أيضاً، تناولت على الترتيب: تعريف البيان لغة واصطلاحاً، ووضوح البيان القرآني، ودقة تعبير القرآن، وجمع القرآن بين الإجمال والبيان، وطريقة القرآن الكريم في جمعه بين البيان والإجمال.

وفي الفصل الخامس الذي جاء بعنوان : (التوازن في أسلوب القرآن ولغته) تناولت مباحثه الخمسة تعريف التوازن، وتوازن القرآن الكريم في أسلوبه، والتوازن في التدرج بين الأمر والنهي، وتوازن الأمر والنهي في الأمور التعبدية، والتوازن في التقديم والتأخير.

وجاء الفصل السادس بعنوان : (الجانب الإعجازي في أساليب التوكيد في القرآن الكريم) ويندرج تحته أربعة مباحث تناولت : القيمة الإعجازية في أسلوب التوكيد بالقرآن، وأغراض أساليب التوكيد في القرآن الكريم، وأساليب التوكيد الواردة بالجملة الاسمية في القرآن الكريم، وأساليب التوكيد الواردة بالجملة الفعلية في القرآن الكريم.

وفي الفصل السابع الذي جاء بعنوان : (التنوع الأسلوبي في القرآن الكريم) اندرجت تحته خمسة مباحث تناولت : (التنوع الأسلوبي وتعدد المصطلحات، والتنوع الأسلوبي في مجال البناء النحوي، والتنوع الأسلوبي في مجالي الضمائر والعدد، والتنوع الأسلوبي في مجال الصيغ، والتنوع الأسلوبي في مجال الأدوات.

ويأتي الفصل الثامن والأخير بعنوان : (الفواصل القرآنية) ليشمل ثمانية مباحث، تتناول موضوع الفواصل القرآنية من حيث دراسة المصطلح، وأهمية الفواصل القرآنية وأغراضها وفوائدها والخلاف حول مُصطلح الفواصل القرآنية والسجع، وهو ما تعرض

له المبحث الثالث، وتحديد الفواصل القرآنية وطرق معرفتها، وأقسام الفواصل القرآنية وأنواعها وأشكالها، ليتناول المبحث السادس: البناء التركيبي للفاصلة القرآنية نحوياً/ صرفياً/ دلاليًا، وفي المبحث السابع يعرض للدراسات الإحصائية التي دارت حول الفواصل القرآنية ونتائجها ودلالاتها، ليأتي المبحث الثامن والأخير ليتناول الخصائص المميزة للفواصل القرآنية.

### ثالثًا: مستخلص البحث وفوائده والجديد في مادته:

تناولت الدراسة موضوع الأسلوب القرآني بالدراسة الموضوعية والتحليلية في ثمانية فصول وأعطت مادة ثرية بالبحث والدراسة تجلت فيها الصورة الإعجازية للأسلوب القرآني المحكم، وفي نهاية المطاف نلقي الضوء على بعض النقاط التي جلاها هذا البحث:

١- يتميز القرآن الكريم بصور إعجازية تتمثل في بلاغة الأسلوب القرآني ونسقه الإعجازي الذي يشمل أسرارًا متجددة لا ينفد معينها.

٢- جاءت خواتيم الآيات مثالًا للتأمل والإعجاز للأسلوب القرآني والتي وجب على كل مؤمن مسلم التدبر فيها لفهمها ومن ثم زيادة إيمانه وترسيخه، وإظهارها لعظمة الرب الخالق الصانع، يقول تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ [الكهف: ١].

٣- مدى التآلف والجمال الأسلوبي التركيبي في مثالين من القرآن الكريم:

المثال الأول في قوله تعالى في سورة الفجر ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ . ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً . فَادْخُلِي فِي عِبَادِي . وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر، ٢٧-٣٠].

والمثال الثاني: في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤].

٤- اتصاف لغة القرآن الكريم بالتمازج الأسلوبي بين أنواع الجمل الثلاث الفعلية والاسمية وشبه الجملة، وكل منها يؤدي وظيفة تتناسب تدفق المعاني وبسطها دون

إحساس المتلقي القارئ أو المستمع بأي فجوة أو جفوة أو تعقيد لفظي أو معنوي أثناء التلاوة.

٥- جاء القرآن الكريم بأسلوب فريد أخاذ، يقيم الحجج ويدحض الشبهات، ويجلي الحقائق ويقرر المعاني، فهو أسلوب انقشعت أمامه سحائب الشك، وتبددت تجاهه ظلمات الكفر، وانكشفت عنه حجب الضلال، وتجلى به نور الإيمان وهو أسلوب حري بالدراسة والتأمل.

٦- إذا نظرنا في كتاب الله تعالى وجدنا هذا التناسب والائتلاف بين ألفاظه ومعانيه جارياً مجرى الشمول والاستقصاء ويتمثل ذلك في تناسب الحروف في الكلمة والاسم والفعل وفي ترتيب السور، والسورة الواحدة، والسور المتعددة، والآية الواحدة، وترتيب الآيات.

٧- يُعدّ إعجاز اللفظ القرآني وبلاغته أبرز أنواع الإعجاز على الإطلاق، ونقصد به: دقة اختيار القرآن الكريم لألفاظه ذات الدلالة المعجمية المطابقة لسياقها ومقامها أتم المطابقة.

٨- اشتمل القرآن الكريم على الحقيقة والمجاز جرياً على اللغة العربية؛ فقد نزل بلسان عربي مبين، مما أعطى للقرآن شطر الجمال، ولا شك أن التعبير بالشيئين أوسع وأجمل وأبلغ من التعبير بالشيء الواحد خصوصاً بالمجاز، وسيما التعبير بالمجاز فيه توسع أكثر من التعبير بالحقيقة.

٩- من الشواهد المعبّرة - كذلك - عن الجمع بين المعنيين الحقيقي والمجازي في القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿ وَتَرَوُودُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ النَّقْوَى ﴾ [البقرة: ١٩٧]؛ حيث جعل الزاد جنساً يشمل كلا النوعين الحقيقي الحسي المعهود، أو المجازي المعنوي وهو تقوى الله تعالى؛ فحمل الزاد على معنبيه الحقيقي والمجازي.

١٠- نزل القرآن الكريم بلغة العرب، ووقع فيه من الألفاظ ما لها من دلالات خاصة في الشرع لم تكن معروفة قبل عند العرب، وهذه الألفاظ هي مصطلحات وأسماء شرعية، مثل: ألفاظ الجنة والنار، والصلاة والزكاة، والعمرة والحج، البعث والنشور.

١١- الناظر في القرآن الكريم يلحظ بعد طول مؤانسته له أنّ القرآن الكريم يراعي دقة الفروق المعجمية بين الكلمات بعضها وبعض موافقا للسياق الوارد فيه الكلمة ومناسبا له.

١٢- المشترك اللفظي له علاقة وطيدة بالإعجاز البلاغي، حيث تتعدد في التعبير القرآني الدلالات والمعاني والوجوه والنظائر لألفاظ محددة.

١٣- يفرق الأصوليون بين المشترك والمتواطئ وذلك أن: [اللفظ المشترك] هو اللفظ الواحد الموضوع لعدة معان وضعا أولاً، أما [المتواطئ] فهو لفظ يطلق على أشياء متغايرة، ولكنها متفقة في المعنى الذي وضع اللفظ له.

١٤- يوجد بالقرآن الكريم إعجاز بلاغي عظيم يتمثل في أنه يستعمل أشمل الكلمات في لغة العرب لمعان عديدة مقصودة، وبذلك تكثر معاني القرآن الكريم مع الإيجاز، وهذا من آثار كونه معجزة خارقة لعادة كلام البشر.

١٥- يتجلى وضوح الألفاظ والمعاني في القرآن الكريم فأنت تجد المعنى بعيدا عن التعقيدات، لا يحتاج إدراكه إلى مقدمات فلسفية، ولذا كانت معاني القرآن الكريم معجزة.

١٦- ويتجلى أيضاً في الإعجاز القرآني البلاغي وضوح الحجج، وكما جاء الأسلوب القرآني واضح الألفاظ والحجج، فهو أيضا واضح في بيان الأحكام.

١٧- دقة تعبير القرآن تتجلى في أمرين: وهما: الأول - دقة الألفاظ: فكل لفظ في القرآن الكريم في مكانه له دلالة الذي لا يؤدي إلا به، وتتبع ذلك باب من أبواب البيان تفرد به القرآن، الآخر: الدقة في التركيب: ومنها: الدقة في ترتيب الألفاظ والجمل في الآية للدلالة على المعنى المراد، وتساوي ألفاظها في الجزالة.

١٨- اختصاص الأسلوب القرآني بالبيان المطلق، واشتماله على الإجمال ميزة كبرى، ومزية عظيمة، وإنك لتعجب أشد العجب كيف يجتمع الإجمال والبيان معا في موضع واحد! مع ما اشتمل من الوضوح في فهمه، وكم من كلام مبسوط يصعب فهمه، ولا يتضح مقصده، فإن رام صاحبه الجمال والاختصار أفسد الكلام وشتت الفهم.

- ١٩- وكما اتَّسم الإجمال بالبيان فهو كذلك في تمام الإحكام، فما من لفظة كان الإجمال فيها محتاجاً إلى البيان إلا وتجد بيانها في القرآن شافياً.
- ٢٠- تنوعت أشكال البيان في أسلوب القرآن الكريم، فتارة يكون متصلاً، كقوله تعالى: {من الفجر}، بعد قوله تعالى: {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ} [البقرة: ١٨٧]، وتارة يكون منفصلاً في نفس السورة كما في قوله تعالى: {الطلاق مرتان} [البقرة: ٢٢٩]، {فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} [البقرة: ٢٣٠].
- ٢١- يمتاز القرآن الكريم بالتوازن في كل جانب؛ لأنه كلام الله العلي القدير الذي أعجز ببيانه بلغاء العرب، وأسكت بتوازنه أفواه الملاحدة والمتكلمين فيه، والمتصفح لسور القرآن الكريم وآياته يلحظ ذلك جلياً في كتاب الله.
- ٢٢- تجلت بلاغة القرآن الكريم في التقديم والتأخير بصورة كبيرة وإعجازية و"التقديم والتأخير حكم وأسباب كثيرة، وفوائد عديدة، بعضها في البلاغة وبعضها في الدلالة، وبعضها في الصوت والجرس، وغالبا تتفق هذه الحكم معاً في المثال الواحد، وما يدركه الناظر فيها ما هو إلا جزء من فوائدها، وربما غاب عنه الكثير.
- ٢٣- وقد بلغ القرآن الكريم في هذا الفن الذروة، كما بلغ في غيره من فنون اللغة، فلم توضع كلمة في القرآن الكريم في غير مكانها، وبهذا كان القرآن أبلغ الكلام، وأفصح الألفاظ، فقد قال تعالى: {نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ} [الزمر: ٢٣].
- ٢٤- للحذف في القرآن الكريم فوائد كثيرة منها: التفخيم والإعظام لما فيه من الإبهام، وزيادة لذة بسبب استنباط الذهن للمحذوف و"زيادة الأجر بسبب الاجتهاد في ذلك بخلاف غير المحذوف"، وطلب الإيجاز والاختصار، وتحصيل المعنى الكثير في اللفظ القليل، والتشجيع على الكلام، وموقعه في النفس، في موقعه على الذكر، والتناسق

الصوتي، والانسجام اللفظي، وصيانة القرآن الكريم من فرية الحشو، ويمنح الألفاظ فسحة أوسع في دلالاتها، فالمحذوف يكون أحيانا ذكره بمثابة قيد للمعنى، فحذفه يرفع هذا القيد، ويطلق العنان للمعنى كما أنه له نماذج كثيرة في القرآن الكريم .

٢٥- ما من أحد يستطيع إنكار ما اتسم به القرآن الكريم من قوة نظمه وتربط تراكيبه ومعانيه ودلالاته التي أثبتت - بما لا يدع مجالاً لأي شك أو ظن - مدى القدرة الإعجازية التي يتصف بها القرآن الكريم النازل بلسان عربي مبين؛ فأقام الحجة على كل كاذب أو مُشكك، واستخدام القرآن للغة العربية قد أكسبها ثراءً وتنوعاً في أساليبها وتراكيبها حتى عُدَّت لغةً لا نظير لها.

٢٦- يحظى جانب التوكيد في القرآن الكريم بأهمية خاصة وله أساليبه وأغراضه التي أتى بها القرآن في صورة جمالية بلاغية إعجازية، ولا يسعنا سوى التسليم بمدى قدرة القرآن الكريم على إحداث ذلك التنوع الملحوظ في الأسلوب التوكيدي، وقد استخدمه القرآن الكريم - كغيره من الأساليب - كوسيلة - مع غيره من الوسائل والأساليب والتراكيب - ل طرح قضايا معينة والتركيز على موضوعات تعين على فهم الإسلام، وما يدعو إليه ويحث البشرية على اتباعه؛ لأنه هو باب الخلاص والنجاة لمن أراد النجاة.

٢٧- تعددت وجوه إعجاز القرآن الكريم، وتنوعت فيه الظواهر، ومن تلك الظواهر ظاهرة المغايرة الأسلوبية، التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالبلاغة القرآنية ودقة القرآن في نظمه وتراكيبه ودلالاته.

٢٨- والناظر المتدبر في القرآن الكريم يلحظ أنّ القرآن قد قدّم ظاهرة المغايرة الأسلوبية بطريقة سلسلة شائقة تبعث في القارئ والمتدبر متعة لا حدود لها ورغبة في تحريّ الإعجاز أكثر وأكثر، ولعلنا قد وُفقنا في استنباط بعض أشكال استخدام القرآن الكريم لهذه الظاهرة.

٢٩- والفواصل القرآنية هي إحدى حبات ذلك العقد شغلت العلماء - منذ زمن بعيد ولا زالت تشغلهم - بأسرارها وبجمالها وبروعة جرسها وموسيقاها، والبحث في أمر

الفواصل القرآنية ليس بقريب عهد وإنما يضرب بجذوره في أعماق الثقافة الإسلامية منذ أن انتبه العلماء والباحثون لدراسة القرآن وتفسيره وبيان ظواهره البلاغية والإعجازية. ٣٠- وهب القرآن الكريم للفواصل القرآنية نعمة عظيمة، وهي نعمة الحسن والجمال الذي يبهر السمع والفؤاد فتتخلل السمع بآثارها الصوتية والموسيقية فتطرب لها الأذن ولا تجد لنفسها سبيلا سوى الانقياد التام لها.

٣١- اتضح أن القرآن في مجيئه ببعض الزيادات اللفظية - التي هي الإيغال - هي من باب زيادة تأكيد المعنى وإيضاحه؛ فكل زيادة في المبنى تلحقها زيادة في المعنى، كما أن هذه الزيادة تعتبر من باب التفصيل، والتفصيل - دوماً - أدل على الاحتياط. ٣٢- إن البناء التركيبي للفواصل القرآنية قد نجح بجدارية في تأدية الوظيفة المنوطة في جمعه لكل العلاقات التي تربط بين العناصر المؤلفة للبنية؛ إذ نجد في الفواصل القرآنية تضامناً خفياً معجزاً بين البنى النحوية والصرفية والصوتية والموسيقية والدلالية وقد انصهرت جميعها في بوتقة واحدة لتخرج لنا الفاصلة القرآنية كياناً معجزاً لا مثيل له في لغة العرب.

٣٣- غالبية سور القرآن تشترك فواصلها في أن تكون بعضها اسمية، وفي الآخر فعلية، إلا في إحدى وعشرين سورة كانت فواصلها كلها منتهية بكلمات اسمية، مثل سورة الإسراء.

٣٤- انفردت ثلاث سور في القرآن الكريم بكون بعض الفواصل فيها على هيئة (ضمائر)، وهي سورة القتال في قوله تعالى: ﴿الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [محمد: ١٨]، ومثل الفاصلة التي تنتهي بها سورة القيامة: ﴿الَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ [القيامة: ٤٠]، ومثل سورة الزلزلة في قوله: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٨].

**رابعاً: التوصيات والرؤى المستقبلية:****أولاً: المؤسسات البحثية والتعليمية:**

١. اهتمام المؤسسات البحثية بالأبحاث التي تتناول لغة القرآن وأسلوبه والعمل المؤسسي على هذا الجانب البحثي الثري الذي ينتج أبحاثاً تجلي القيمة البلاغية واللغوية للقرآن الكريم .
٢. تدريس منهج لغة القرآن الكريم في المؤسسات التعليمية التي تهتم باللغة العربية وآدابها وتراثها.
٣. الاهتمام بالشواهد البلاغية والأسلوبية من القرآن الكريم في المناهج التي تدرس البلاغة العربية .
٤. إقامة الندوات والمؤتمرات السنوية التي تجلي الخصائص البلاغية للغة القرآن الكريم .
٥. الاهتمام بدراسة لغة القرآن الكريم في الأبحاث الجامعية الدكتوراه والماجستير .
٦. ربط لغة القرآن بالجوانب الإعجازية للقرآن الكريم باعتبار أن لغة القرآن معجزة إلى جانب الإعجاز العلمي.
٧. زيادة الدعم المادي في الدول العربية للبحث في القرآن الكريم بصفة عامة وفي لغة القرآن بصفة خاصة باعتبار أن ذلك واجب لإحياء اللغة العربية التي تعد هوية الأمة العربية وعنوانها ورداد الشرف الذي يزينها.
٨. العمل على تحقيق المؤلفات التراثية التي تناولت الجانب الإعجازي اللغوي للقرآن الكريم والتفاسير القرآنية المخطوطة التي اتخذت من اللغة مدخلاً لفهم القرآن وتجليه جانبه الإعجازي .

**ثانياً: واضعو المناهج التربوية والإسلامية:**

٩. إضافة منهج بلاغة القرآن وإعجازه اللغوي في الكليات والمعاهد التي تهتم بالقرآن الكريم قراءة وتجويداً.

١٠. تدريس بلاغة اللغة القرآنية في الكليات والمؤسسات التي تضع على عاتقها الجانب الشرعي وتسعى إلى معرفة الأحكام القرآنية باعتبار أن فهم الحكم الشرعي يقوم في البدء على أعمدة الفهم اللغوي وإدراك بلاغته .

١١. اختيار نصوص قرآنية للتطبيق عليها في مناهج البلاغة العربية باعتبار أن النصوص القرآنية هي أرقى نصوص تجلت فيها البلاغة العربية بأسرارها العظيمة.

١٢. طباعة كتيبات من خلال المؤسسات الدينية الرسمية للتعريف ببلاغة اللغة القرآنية وتجليه أسرارها في صورة مبسطة.

١٣. تخصيص برامج في القنوات الرسمية تتناول الإعجاز اللغوي وخصائص الأسلوب القرآني واختيار علماء يتوفر فيهم العلم والإحاطة بأسرار اللغة للقيام بدور تجلية أسرار لغة القرآن في هذا المجال.

اللهم إنا نسألك خير المسألة، وخير الدعاء، وخير النجاح، وخير العمل،  
 وخير الثواب، وخير الحياة، وخير الممات، وثبتنا، وثقل موازيننا، وحقق إيماننا،  
 وارفع درجاتنا، وتقبل صلاتنا واغفر خطيئاتنا، ونسألك الدرجات العلا من الجنة،  
 اللهم إنا نسألك فواتح الخير وخواتمه وجوامعه، وأوله وآخره، وظاهره وباطنه،  
 اللهم إنا نسألك خير ما نأتي، وخير ما نفعل، وخير ما نعمل، وخير ما بطن،  
 وخير ما ظهر، والدرجات العلا من الجنة، اللهم إنا نسألك أن ترفع ذكرنا، وتضع  
 وزرنا، وتصلح أمورنا، وتطهر قلوبنا، وتغفر لنا ذنوبنا، اللهم أغننا بالعلم وزيننا  
 بالحلم.

## المصادر والمراجع

١. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق وتخريج: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط ١، ٢٠٠٨م، ١٤٢٩هـ
٢. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، طبعة مصورة عن الطبعة الأولى، ١٣٦٨هـ
٣. أخطاء اللغة العربية المعاصرة عند الكتاب، أحمد مختار عيد الحميد عمر، عالم الكتب بيروت، ط ١ ١٩٩٩م
٤. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم، محمد أبو السعود أفندي، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة، بالرياض- د . ت .
٥. أساليب التوكيد في القرآن الكريم، عبد الرحمن المطردي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ١٩٨٦م، ط ١
٦. أسس علم اللغة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط ٨، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م
٧. أسواق الذهب، أحمد شوقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٧١م
٨. الأضداد في اللغة، محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ١٩٨٧م، صيدا، بيروت، لبنان.
٩. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت الطبعة الثامنة، ١٤٢٥هـ.
١٠. آل حميم الشورى والزخرف والدخان دراسة في أسرار البيان، د. محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة القاهرة، ط ١،
١١. الإمام في بيان أدلة الأحكام، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، تحقيق: رضوان مختار بن غريبة، دار البشائر الإسلامية، بيروت لبنان، ط ١، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.
١٢. الانتصار للقرآن، محمد بن الطيب الباقلائي، تحقيق: محمد عصام القضاة، دار الفتح، عمان الأردن، ط ١ ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م

١٣. أنوار الربيع في أنواع البديع، صدر الدين المدني، علي بن معصوم المدني تحقيق: شاکر هادي، ط١، بغداد، ١٩٦٨م
١٤. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، عبد الله بن هشام الأنصاري المصري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط٥، ١٩٦٦م.
١٥. الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، ومكتبة المدرسة، بيروت لبنان، ط٦، ١٤٠٥هـ
١٦. البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، مكتبة ومطبعة النصر الحديثة، الرياض، د.ت، د.ط.
١٧. بدائع الفوائد، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، تحقيق: هشام عبد العزيز وآخرون، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م
١٨. البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ١٣٧٧هـ - ١٩٨٥م، ط١.
١٩. بلاغة القرآن، د/ عبد الحميد هنداوي، دار الهاني، مصر، ٢٠٠٥م، ط١.
٢٠. بلاغة الكلمة في التعبير القرآني د/ فاضل صالح السامرائي، دار ابن كثير، بيروت، لبنان، ٢٠١٩م، ط٣
٢١. البنية الأسلوبية في التراكيب النحوية، مهدي حمد مصطفى عبد الله العاني، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب جامعة بغداد، بإشراف هدى محمد صالح الحديثي، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م
٢٢. البيان في سياق بلاغة النسق القرآني، الأستاذ الدكتور عقيد خالد حمودي العزاوي، دار العصماء للنشر والتوزيع، سوريا، ٢٠١٦م، الطبعة الأولى
٢٣. البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، مكتبة الخانجي، القاهرة ٢٠٠٨
٢٤. تاريخ الإسلام للذهبي، تحقيق بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٣م
٢٥. التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، ٢٠٠٨م

٢٦. ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان، محمد بن إبراهيم الوزير الحسني اليمني الصنعاني، مطبعة المعاهد القاهرة، ١٣٤٩هـ
٢٧. التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم محم بن أحمد بن جزي الكلبي، تحقيق: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ
٢٨. التعبير القرآني: الدكتور فاضل صالح السامرائي، دار ابن كثير، ط٤، ٢٠٢١م
٢٩. تفسير الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، تحقيق: أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي بيروت، لبنان، ط١ ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢
٣٠. تفسير القرآن العظيم، الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، السعودية، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ط٢
٣١. التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط، ابن حيان الأندلسي، نشر مكتبة ومطابع النصر الحديثة، السعودية، د.ت، ط١
٣٢. تفسير المنار للشيخ محمد عبده، تأليف: محمد رشيد رضا، الطبعة الثانية، ١٩٤٧م، الهيئة المصرية العامة للكتاب
٣٣. التلخيص، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، أبو المعالي، إمام الحرمين، تحقيق: عبد الله جولم النبالي، وبشير أحمد العمري، دار البشائر الإسلامية، د.ط، د.ت
٣٤. التنازع والتوازن في حياة المسلم، محمد بن الحسن بن عقيل، مؤسسة الطباعة والصحافة للنشر، جدة السعودية، ١٤٣٥هـ
٣٥. تهذيب الغة، محمد بن أحمد بن الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط١، ٢٠٠١م
٣٦. التوازن القرآني في الألفاظ والتراكيب والأسلوب، عماد محمود الزقيلي، دار الذخائر ط١، ٢٠٠٩م
٣٧. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، تحقيق أحمد ومحمود شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠م

٣٨. جامع القرآن عن تأويل آي القرآن، الطبري، تحقيق: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، ٢٠٠١م.
٣٩. الجامع المسند الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل البخاري، نشر دار طوق النجاة، تحقيق محمد زهير.
٤٠. الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ٢٠٠٦م.
٤١. جماليات الاتساع في المعنى وتعدد، د/ عبد الحميد هنداوي، دار الهاني للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت، د.ط.
٤٢. جماليات السياق القرآني في الدرس البلاغي، للدكتور عقيد خالد الغزاوي، دار العصماء، دمشق، ط ١، ٢٠١٤م.
٤٣. خصائص الأسلوب القرآني، دكتور أبو بكر محمد فوزي البخيت، جامعة الملك سعود، كلية التربية، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ.
٤٤. خصائص التراكيب، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، ط ٣، د.ت.
٤٥. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، عبد العظيم إبراهيم، مكتبة وهبة، ط ١، ١٤١٢هـ.
٤٦. الخصائص لابن جني، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٢م.
٤٧. دراسات في علم اللغة، كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر، مصر، ط ٢، ٢٠٠٢م.
٤٨. دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، خالد قاسم بن دومي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠٠٦م.
٤٩. الدلالات المعنوية لفواصل الآيات القرآنية، / جمال محمود أبو حسان، دار الفتح للدراسات والنشر، عمان، الأردن، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، ط ١

٥٠. الدلالات المعنوية لفواصل الآيات القرآنية، جمال محمود أبو حسان، طبعته جائزة دبي، ط١، ٢٠١١م
٥١. دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير، عبد الحكيم بن عبد الله القاسم، ط١، دار التدمرية - الرياض، ١٤٢٥هـ
٥٢. دلالة السياق وأثرها في التفسير، ردة الله بن ردة بن ضيف الله، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٤هـ.
٥٣. الدلالة الصرفية والصوتية في سورة يوسف، نادية رمضان النجار، نشر بكتاب المؤتمر العلمي التاسع لكلية دار العلوم، عنوان الكتاب: الإبداع والحرية في الثقافة العربية الإسلامية، عام ٢٠٠٧م
٥٤. دلائل الإعجاز، لعبد القاهر الجرجاني، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط١، ١٩٩٥م
٥٥. دلائل النظام، عبد الحميد الفراهي الهندي، المطبعة الحميدية، ط١، ١٣٨٨هـ
٥٦. روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، محمود شكري الألوسي البغدادي شهاب الدين، تحقيق: الشيخ الأرنؤوط، إدارة الطباعة المنيرية، دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٩٧٤م.
٥٧. الروض المربع شرح زاد المستنقع في اختصار المقنع، لمنصور بن يونس البهوتي، تحقيق: سعيد اللحام، دار الفكر د.ط، د.ت.
٥٨. السياق والمعنى، عرفات فيصل المناع، مؤسسة السياب، ط١، لندن، ٢٠١٣م
٥٩. شرح الأشموني على ألفية ابن مالك المسمّى: [منهج السالك إلى ألفية ابن مالك]، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٥٥م، ط١
٦٠. شرح الرضى على الكافية تحقيق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قار يونس، د.ت، ط١
٦١. شرح المفصل، موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش، عالم الكتب، بيروت، ومكتبة المتبني، القاهرة، د.ت، ط١.

٦٢. شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول في الأصول، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس القرافي، مكتبة البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، لبنان د.ط، د.ت.
٦٣. شرح تنقيح الفصول، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، ط ١، ١٩٧٣م.
٦٤. الشفا بتعريف حقوق المصطفى، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، دار الفيحاء عمان، الأردن، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ.
٦٥. الصاحبى في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أبو الحسين أحمد بن زكريا المعروف بـ ابن فارس، تحقيق: د/ عمر فاروق، مكتبة المعارف، بيروت، ط ١، ١٩٩٣م
٦٦. الصحاح، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٤٠٧هـ.
٦٧. ظواهر أسلوبية في القرآن الكريم - التركيب والرسم والايقاع، عمر عبد الهادي عتيق، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط ١، د.
٦٨. علم الدلالة العربية، دكتور فايز الداية، دار الفكر العربية، بيروت لبنان، ط ١، ٢٠١٠م
٦٩. علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمد السعران، دار الفكر العربي، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٧م
٧٠. على هدى الفواصل القرآنية / البحوث والمحاضرات، د/إبراهيم أنيس، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٩٦١م - ١٩٦٢م
٧١. الفاصلة القرآنية، د/ عبد الفتاح لاشين، دار المريخ، الرياض، ط ١، د.ت.
٧٢. الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت، ط ١
٧٣. فواصل الآيات القرآنية - دراسة بلاغية دلالية، د/سيد خضر، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٩م، ط ٢.

٧٤. في النص الأدبي. دراسة أسلوبية إحصائية، سعد مصلوح، المكتبة العربية بيروت، ط٢، ٢٠٠٦ م
٧٥. القرآن المجيد د/محمد عزة دروزة، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د.ت، ط١
٧٦. القرآن ونقض مطاعن الرهبان، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم ط١، ٢٠٠٧م.
٧٧. قضايا في الأسلوب القرآني، د/ السيد عبد الغفار، دار المعرفة الجامعية، السويس، القاهرة، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، ط١
٧٨. قضايا في علوم القرآن تعين على فهمه، د/ السيد عبد الغفار، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، القاهرة، ط٢، ١٩٩٥م
٧٩. الكتاب ، عمر بن عثمان بن قنبر سيبويه تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٣، ١٩٨٨م، ١٤٠٨هـ.
٨٠. كتاب الصناعتين ، لأبي هلال العسكري، تحقيق علي البجاوي، المكتبة العصرية بيروت، ١٤١٩هـ.
٨١. الكتاب، سيبويه، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط٣، ١٩٨٨م ، مكتبة الخانجي، القاهرة.
٨٢. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، د.ت، د.ط
٨٣. الكشاف للزمخشري، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض ط١، مكتبة العبيكان، ١٩٩٨م ١٤١٨هـ.
٨٤. الكليات، أيوب بن موسى الكفوي الحنفي، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ط، د.ت.
٨٥. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، دار صادر، بيروت، د.ت، ط١.
٨٦. اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان عمر، عالم الكتب، ط٥، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

٨٧. اللغة، جوزيف فندريس، تعريب: عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٠ م.
٨٨. المتشابه اللفظي في القرآن ومسالك توجيهه عند أبي جعفر بن الزبير الغرناطي، رشيد الحمداوي، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، د.ط، ٢٠٠٣ م.
٨٩. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن الأثير، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢٠ هـ
٩٠. مجمل اللغة لابن فارس بن زكريا الرازي، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط٢، ١٤٠٦ هـ
٩١. مجمل اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت ط٢، ١٤٠٦ هـ
٩٢. مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع: عبد الرحمن بن قاسم النجدي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤٢٠ هـ
٩٣. المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز، محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ
٩٤. المحكم والمحيط الأعظم، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ابن سيده]، تحقيق: الدكتور عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٠
٩٥. المدخل إلى علم اللغة مناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤١٧ هـ، ١٩٩٧ م
٩٦. المدخل إلى علوم القرآن، محمد فاروق النبهان، الناشر: جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، ٢٠١٤ م، ط٣.
٩٧. المزهر في علوم اللغة وأنواعها السيوطي، تحقيق: [محمد أحمد جاد المولى - محمد أبو الفضل - علي البجاوي]، مكتبة دار التراث، د.ت، ط٣.

٩٨. مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، برهان الدين البقاعي، تحقيق: عبد السميع محمد أحمد حسنين، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٩٨٧م
٩٩. معالم التنزيل، الحسين بن مسعود البغوي، محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش الناشر: دار طيبة سنة النشر: ١٤٠٩ - ١٩٨٩
١٠٠. معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، محمد علي النجار، دار الكتب، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م.
١٠١. معاني النحو، د. فاضل السامرائي، بيت الحكمة بغداد، د.ط، ١٩٨٦م
١٠٢. معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد علي البجاوي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٩م، ط١
١٠٣. معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ
١٠٤. معجم العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال د.ط، د.ت.
١٠٥. معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٨م، ط٤.
١٠٦. معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلنجي، وحامد صادق قنبيي، دار النفائس، ط٢، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.
١٠٧. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: د. عبد السلام محمد هارون، دار إحياء الكتب العربية القاهرة، ط١، ١٣٦٦هـ.
١٠٨. معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، نشر دار الاتحاد العربي، ط٢ ٢٠٠٢م.
١٠٩. مفاتيح الغيب للفخر الرازي، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨، ط٥.
١١٠. مفتاح العلوم، لأبي يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٧هـ

١١١. مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني ، دار القلم، تحقيق: صفوان داوودي ط٣،  
٢٠٠٢م
١١٢. المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق  
عضيمة، عالم الكتب، بيروت، لبنان، د.ت، د.ط
١١٣. مقدمة ابن خلدون، ابن خلدون، كتاب التحرير، القاهرة، ١٩٦٦م، ط١.
١١٤. ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من أي  
التنزيل، لأبي جعفر بن الزبير، تحقيق: سعد الفلاح، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١،  
١٩٨٣م.
١١٥. من أسرار البيان القرآني، د/ فاضل صالح السامرائي، دار ابن كثير، بيروت،  
لبنان، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م، ط٢.
١١٦. من بلاغة القرآن، د/ أحمد أحمد بدوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر  
والتوزيع، مصر، ٢٠٠٣م، ط١
١١٧. مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى  
الحلبي البابي، ط٣، د.ت
١١٨. منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجي، تحقيق: محمد الحبيب بن  
الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٩٨٦م
١١٩. موسيقى الشعر، د/ إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٥م،  
ط٣
١٢٠. النبأ العظيم ، د/ محمد عبدالله دراز ، دار طيبة للنشر والتوزيع، السعودية،  
١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ط٢
١٢١. النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن الكريم، محمد عبد الله دراز، اعتنى به:  
أحمد مصطفى فضيلة، دار القلم للنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ
١٢٢. النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، مصر، د.ت، د.ط
١٢٣. النسق القرآني دراسة أسلوبية، محمد ديب الباجي، دار القبلة للثقافة  
الإسلامية، جدة، ط١، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م

١٢٤. نظرات في قصص القرآن، محمد قطب عبد العال، دار مصر للنشر، ط١،  
١٩٨٨م
١٢٥. نظرية السياق القرآني، المثني عبد الفتاح محمود، دار وائل للنشر، ط١،  
١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م
١٢٦. النكت في إعجاز القرآن، أبو الحسن علي بن عيسى الرمانى، ضمن ثلاث  
رسائل في إعجاز القرآن الكريم، تحقيق: د/ محمد خلف الله أحمد، د/محمد زغلول سلام،  
ط٤، دار المعارف، ١٩٩٩م.
١٢٧. النكت والعيون تفسير الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد أبو حبيب  
الماوردي، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت، د.ط،  
د.ت
١٢٨. النهاية في غريب الحديث والأثر، المبارك بن محمد بن الجزري بن الأثير،  
تحقيق علي بن حسن بن عبد الحميد الحلبي، ط١، ١٤٢١هـ، دار ابن الجوزي للنشر.

## الفهرس

الصفحة	الموضوع
٣	مقدمة .....
١١	الفصل الأول: نظرة عامة على الأسلوب القرآني.....
١٢	المبحث الأول: سمات الأسلوب القرآني [ نموذج وتطبيق ].....
١٤	المبحث الثاني: الإعجاز في الأسلوب القرآني في خواتيم السور.....
١٨	المبحث الثالث: نظرة تأملية في آيتين كريمتين من الذكر الحكيم.....
٢٤	المبحث الرابع: الأسلوب القرآني في تنوع الجمل والتألف بينها. ....
٢٩	المبحث الخامس : السياق والنسق في الأسلوب القرآني.....
٤٥	الفصل الثاني: خصائص الأسلوب القرآني.....
٤٦	المبحث الأول: ماهية خصائص الأسلوب القرآني.....
٥٠	المبحث الثاني: تناسب القرآن وائتلافه.....
٥٩	المبحث الثالث - نماذج جديدة لتناسب الأسلوب القرآني.....
٦٧	الفصل الثالث: أسرار البلاغة القرآنية.....
٦٩	المبحث الأول: بلاغة اللفظ القرآني واتساع دلالاته بالجمع بين الحقيقة والمجاز ...
٧٢	المبحث الثاني: بلاغة اللفظ القرآني في جمعه بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي
	المبحث الثالث: عناية اللفظ القرآني بالفروق المعجمية بين الألفاظ ومناسبته
٧٤	للسياق ومقاماته.....
٧٩	المبحث الرابع: بلاغة اللفظ القرآني والمشارك اللفظي.....
٨٢	المبحث الخامس: بلاغة اللفظ القرآني واتساع دلالاته من خلال المتواطئ.....
٨٤	الفصل الرابع: الإعجاز في البيان القرآني.....
٨٥	المبحث الأول: تعريف البيان لغة واصطلاحاً.....
٨٧	المبحث الثاني: وضوح البيان القرآني.....
٩٠	المبحث الثالث: دقة تعبير القرآن.....
٩٣	المبحث الرابع: جمع القرآن بين الإجمال والبيان.....

٩٥	المبحث الخامس: طريقة القرآن الكريم في جمعه بين البيان والإجمال.....
١٠٠	الفصل الخامس: التوازن في أسلوب القرآن ولغته.....
١٠١	المبحث الأول: تعريف التوازن.....
١٠٣	المبحث الثاني: توازن القرآن الكريم في أسلوبه.....
١٠٥	المبحث الثالث: التوازن في التدرج بين الأمر والنهي.....
١٠٧	المبحث الرابع: توازن الأمر والنهي في الأمور التعبديّة.....
١٠٩	المبحث الخامس: التوازن الأسلوبي في التقديم والتأخير.....
١١٣	المبحث السادس: التوازن الأسلوبي بين الحذف والإثبات.....
١١٧	الفصل السادس: الجانب الإعجازي في أساليب التوكيد للقرآن الكريم.....
١١٨	المبحث الأول: القيمة الإعجازية في أسلوب التوكيد بالقرآن.....
١١٩	المبحث الثاني: أغراض أساليب التوكيد في القرآن الكريم.....
١٢٠	المبحث الثالث: أساليب التوكيد الواردة بالجملة الاسمية في القرآن الكريم.....
١٢٥	المبحث الرابع: أساليب التوكيد الواردة بالجملة الفعلية في القرآن الكريم.....
١٣٢	الفصل السابع: التنوع الأسلوبي في القرآن الكريم.....
١٣٤	المبحث الأول: التنوع الأسلوبي وتعدد المصطلحات.....
١٣٥	المبحث الثاني: التنوع الأسلوبي في مجال البناء النحوي.....
١٣٨	المبحث الثالث: التنوع الأسلوبي في مجالي الضمائر والعدد.....
١٤٠	المبحث الرابع: التنوع الأسلوبي في مجال الصيغ.....
١٤٤	المبحث الخامس: التنوع الأسلوبي في مجال الأدوات.....
١٤٦	الفصل الثامن: الفواصل القرآنية.....
١٤٨	المبحث الأول: دراسة المصطلح لغة واصطلاحاً.....
١٥٠	المبحث الثاني: الفواصل القرآنية (أهميتها - أغراضها - فوائدها).....
١٥٣	المبحث الثالث: الخلاف حول مُصطلح الفواصل القرآنية والسجع.....
١٥٥	المبحث الرابع: تحديد الفواصل القرآنية وطرق معرفتها.....
١٥٨	المبحث الخامس: الفواصل القرآنية (أقسامها وأنواعها/أنماطها وأشكالها).....

١٦٧	المبحث السادس: البناء التركيبي للفاصلة القرآنية نحوياً/ صرفياً/ دلالياً.....
	المبحث السابع: الدراسات الإحصائية التي دارت حول الفواصل القرآنية ونتائجها ودلالاتها.....
١٧١	.....
١٧٤	المبحث الثامن: الخصائص المميزة للفواصل القرآنية.....
١٧٦	خاتمة البحث.....
١٧٧	الهدف من البحث.....
١٧٧	مكونات البحث.....
١٧٩	مستخلص البحث.....
١٨٥	التوصيات.....
١٨٧	المصادر والمراجع.....
١٩٨	الفهرس.....